دكتور
عبد الرحمن العيسوي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

أصول علم النفس الحديث

المكتب العربي الحديث
ت ٤٨٢٦٤٨٩ اسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يسرني أن أقدم للقارىء العربي العزيز كتابي اصول علم النفس الحديث العلم الحديث الذى بدأت أهميته تظهر وتتبلور فى شتى مجالات الحياة العصرية ومختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية والخلقية والتربوية إلى جانب أهميته بالنسبة لحياة الفرد الذى يتوق للتعرف على طبيعته الإنسانية ودوافعه ومحركاته وإتجاهاته وميوله وإستعداداته وقدراته تلك القدرات التى يكشف العلم الحديث يوما بعد يوم أنها لا تعرف الحدود فعبقرية الإنسان تتجلى بوضوح فى ذلك الفيض الغزير من الاختراعات والاكتشافات وشتى مظاهر الخلق والابداع والابتكار التى تزخر بها حياة الإنسان المعاصر . ولذلك قيل بحق فى وصف هذا العصر أنه عصر إكتشاف الثروات البشرية ذلك لأن القيمة الكبرى فى عصرنا الحاضر لم تعد الحديد أو النار أو غيرهما وإنما أصبحت عبقرية الإنسان ولم تحرز الدول المتقدمة ما حققته من تقدم وإزدهار بل من قوة وسلطان إلا بفضل إنتاج علمائها ومخترعيها ومبدعيها ولذلك تعد من الأهمية بمكان توجيه جل العناية لذلك الإنسان فعلى المجتمع أن يصون كرامته وأن يرعاه وأن يقدم له كل ما من شأنه أن تنمو قدراته وتزدهر مواهبه ويتطلب ذلك أن تحل مشكلاته وأن تتحرر طاقاته من كل ما يكبلها من قيود وأغلال بحيث ينطلق بكل طاقاته الخلاقة والمبدعة نحو الانتاج والبناء والتشييد ويتطلب ذلك تحريره من المشاكل التى تثقل كاهله وتربيته منذ نعومة أظفاره تربية سليمة صحية

مدوية فى أذان المسئولين والقادة فى أمتنا العربية لوضع البرامج الكاملة بحماية النشأ والشباب مما يثقل كاهلهم من المشكلات وأردت بها أن تكون دعوة نحو ضرورة توفير الاخصائيين النفسيين لتقديم خدماتهم النفسية لكل تجمع بشرى طلابا كانوا أم عمالا أم أحداث أم جند وسيرى القارىء أن الطالب العادى مثقل بالمشاكل التى لا تقل عند الطالب المتوسط عن خمس مشكلات فى المتوسط وهو فى سن الشباب فما بالنا بتلك المشاكل لو درسناها عند أرباب الأسر والعمال والموظفين ممن يتحملون الكثير من المسئوليات العائلية والاجتماعية والوظيفية .

والله ولى التوفيق والسداد أن يوفق أمتنا العربية الناهضة إلى تحقيق ما تصبو إليه من العزة والرفعة والرفاهية والتقدم والرخاء والازدهار حتى تتبوأ مكانتها المرموقة تحت الشمس وتستعيد مجدها الكبير وعظمتها الخالدة ؟

دكتور / عبد الرحمن عيسوى

الفصل الأول

١ ـ موضوعات علم النفس ومناهجه

من أهم خصائص العلم أنه نام ومتطور ، ولا يقتصر هذا النمو وذلك التطور على ما يكتشف العلم من أسرار جديدة وما يصل إليه من نظريات وحقائق ، ولكنه يتناول أيضا طبيعة العلم وموضوعات دراسته ، وعلم النفس من العلوم الحديثة ذات التاريخ القصير ولكنه مر بتطورات سريعة ومتلاحقة منذ نشأته حتى الآن . تناولت هذه التطورات موضوع دراسته ومنهجه ونظرياته فقديما كانت تدرس جميع فروع العلم المعروفة ضمن مباحث الفلسفة ثم أخذت هذه العلوم تنسلخ عن أمها الفلسفة وتستقل الواحد منها تلو الآخر ، وتهتم بموضوعات معينة وأصبح لها مناهج خاصة ، فقد كان علم النفس يعرف بأنه علم دراسة الروح ، ثم أصبح يشار إليه على أنه علم دراسة العقل البشرى ، ولكن بعد ظهور المناهج التجريبية فى دراسة العلوم الطبيعية ، لم يجد علم النفس بدآ من أتباع المنهج العلمى الذى تطبقه العلوم الحديثة فى دراسة موضوعاتها ، وعلى ذلك أصبح على علم النفس أن يحدد مجالات دراسته فى الموضوعات التى يمكن ملاحظتها وقياسها ووصفها والتحكم فيها والتنبؤ بها ، ولذلك أصبح يشار إلى علم النفس بأنه علم دراسة نشاط الفرد أو علم دراسة السلوك ولكن بالطبع هناك علوما أخرى تشترك مع علم النفس فى دراسة السلوك ، كعلم وظائف الأعضاء الذى يدرس الأعضاء والخلايا التى تعمل فى جسم الكائن الحى ، وعلم الاجتماع الذى يدرس الجماعات البشرية . أما علم النفس فإنه يختص بدراسة جوانب معينة من سلوك الفرد ، ويدرس نمو الفرد خلال مراحل الحياة المختلفة ، من الميلاد حتى الشيخوخة ، ويدرس كل

مرحلة من مراحل النمو وما تمتاز به وما تتطلبه حتى ينمو الفرد نموا صحيحا . كما يدرس ظــواهر نفسية أخرى كالتعلم والتفكير والتـذكر والإدراك والشعور والانفعالات والتخيل والملاحظة والتخطيط والرغبة والحب والكره أى أنه يختص بدراسة المناشط العقلية ومظاهر النمو الجسمى والعلاقة بين الجسم والحياة النفسية .

ولكن ينبغى الإشارة إلى أنه لا يوجد نشـــاط عقلى صرف مستقل كل الاستقلال عن النشاط الجسمى أو الحركى ، فإن العقل دائما يكون نشطاً أثناء قيام الفرد بأى نشاط ، حركيا كان أم عقليا . ومن المقرر أن عقل الانسـان ليس مستقلا عن جسمه كما أن جسم الإنسان لا يكون وحـــده قائمة بذاتها بل أن الانسان وحدة متكاملة متفاعلة من العقل والجسم معا . وأى نشـاط يقوم به الإنسان هو محصلة للتفاعل بين قواه الجسمية والعقلية معــا . ولكن هناك بعض المناشط التى يغلب عليها الطابع العقلى فتسمى ، تجاوزا ، مناشـــط عقلية ، كالتفكير ، وأخرى يغلب عليها الطـــابع الجسمى والحركى فتسمى ، مناشط حركية كالجرى أو اللعب أو الكلام . ولكن التأثير متبـادل بين الجسم والعقل ، فالتغيرات التى تصيب الجسم ، كما هو الحال فى حالة فى المرض الشديد ، تؤثر على النشاط الذهنى والعكس صحيح بالنسبة للحالة النفسية فالإنسان فى حالة الخوف الشديد يعترى وجهه الاصفرار ، وتزداد ضربات قلبه ، وترتجف يداه ويشعر بالبرودة . الخ .

نقول إن علم النفس هو العلم الذى يدرس دراسة علمية نشاط الفرد كما يؤثر ويتأثر هذا النشاط بالظروف البيئية التى يعيش فى وسطها الفرد .

فالإنسان منذ ولادته ، يعيش فى بيئة زاخرة بالأشيـــاء والموضوعات التى

تسلط عليه كثيرا من المنبهات والمثيرات المختلفة التى تحدد شخصيته وسلوكه . والإنسان يسعى إلى المحافظة على حياته وإلى كسب رزقه ويتطلب ذلك أن يكون على علاقة طيبة بالبيئة التى يعيش فى وسطها . فالإنسان عند ولادته ، يعيش فى بيئة معينة لها خصائص معينة ، وقد يضطره ذلك إلى تغير سلوكه أو أهدافه بحيث يتكيف مع البيئة المحيطة به وبحيث يحقق التوفيق بين مطالبه ومقتضيات البيئة المادية والإجتماعيه .

والإنسان فى سعيه الموصول للمحافظة على حياته يلقى كثيرا من الصعوبات والعراقيل ولذلك يضطر إلى إستخدام ذكائه ، وإلى ابتكار أساليب جديدة للتغلب على ما يواجهه من مشكلات ، فيفكر ويبتكر ويخطط ، ويتقدم وينسحب ويحب ويكره وينجح ويخفق ويسعد ويحزن وينفعل وهكذا .

وكما أن البيئة ليست شيئا سهلا طيعا أمام الإنسان ، فإن الانسان أيضا لا يقف منها موقفا سلبيا متقبلا لمؤثراتها ، بل أنه يقف منها موقفا إيجابيا فعالا فيغير من معالمها ويبدل من مظاهرها ، فهو يقيم السدود ، ويشق الطرق ويقطع الغابات ويضع الأسس والنظريات والقوانين الإجتماعية والسياسية التى تنظم حياته وهكذا . فان العلاقة بين الفرد وبيئته علاقة تفاعل وتأثير متبادل وعلم النفس هو الذى يدرس استجابات الفرد لما يقع عليه من مؤثرات العالم الخارجى ، وسوف يتضح لك طبيعة هذا العلم الناشىء من دراسة فروعه المختلفة التى امتدت إلى كثير من مظاهر حياتنا المعاصرة والتى أصبح لها دور هام وفعال فى جميع جوانب تلك الحياة .

فعلم النفس يلعب دورا هاما فى الحياة الصناعية والتجارية وفى الحياة العسكرية والتعليمية والقضائية والجنائية وسوف يتضح لك هذا من دراسة فروع علم النفس ومجالاته .

فالواقع أن لعلم النفس تعريفات كثيرة تختلف باختلاف علماء النفس والمدارس التى ينتمون اليها ، ولكن على العموم يعرف بأنه ذلك الفرع من علوم الحياة Biology الذى يهتم بدراسة ظواهر الحياة الشعورية .

The phenomana of conscious life

فيدرس طبقا لهذا التعريف مصدر الحيـــاة الشعورية ومظاهر نموها ومجالات نشاطها .

وهناك تعريف آخر ينظر لعلم النفس على أنه علم دراسة العقـل الإنسانى The study of the human mind ويقصد بذلك دراسة السلوك ، على أن لفظ السلوك هنا لا يقتصر على السلوك الحركى الخارجى ، ولكن يشتمل أيضا على مظاهر النشاط الذهنى الأخرى كالتفكير والتخيـــل والتصور والإدراك والتذكر ، ويعرفه معظم علماء النفس المعاصرين من أمثال هبنر Hepner . بالإشارة إلى منهجه ، بأنه دراسة السلوك الإنسانى باستخدام المناهج العلمية .

The study of human behaviour by scientific methods [1]

ويتضمن السلوك بهذا المعنى السلوك الشاذ كما يتضمن السلوك السوى للكائن الإنسانى مثل سلوك ضعاف العقول والمرضى والمجانين والاسوياء .

Normal and abnormal behaviour

ويعرفه انجلس A. Englieh على هذا النحو . علم النفس فرع من فروع العلم يتناول السلوك والأفعال أو العمليات العضلية والعقـل والنفس والشخص الذى يسلك أو الذى يقوم بالعمليات العقلية .

Poychology is a branch, of science dealing with behaviour, acts or mental processes' and with the mind, self. or person who behaves or acts or has the mental processes.

---

(1) Hepner, H, Psychology

يدرس علم النفس السلوك بغية وصفه والتنبؤ به والتحكم فيه وذلك لفهم وتفسير حياتنا وحياة الآخرين وتوجيهها توجيها ذكيا والتأثير فيها تأثيرا مرغوبا فيه . ويلاحظ أن دراسة علم النفس تعد من أهم الدراسات لأن الإنسان يعيش دائما مع نفسه ومع غيره من الناس وعلم النفس يتناول بالدراسة الإنسان الفرد ودوافعه وميوله وإتجاهاته وسلوكه عامة والسلوك هو ما يتنـــاوله علم النفس بالبحث والفحص والدراسة والقياس ومعرفة الفرد بقـــوانين الحيـاة العقلية ومبادىء السلوك الإنسانى تسـاعده على تحقيق مزيد من الرضا والتكيف مع نفسه ومع المحيطين به .

وتجدر الإشارة إلى أن السلوك الإنسانى ، سواء كان خارجيـا حركيا أو داخليا باطنيا ، لا يقوم به عضو واحـــد مستقل فى الإنسان ولكن يقوم به الإنسان ككل وكوحده متكاملة متفاعلة مكونة من الجسم والعقل ، لأن الإنسان وحدة جسمية عقلية نفسية وإجتماعية ، بل إن السلوك يأتيه الإنسان فى إثنـاء تفاعله مع عوامل البيئة الاجتماعية والمادية المحيطة به . أما تقسيم الظواهر إلى جسمية ونفسية واجتماعية فليس إلا من قبيل التحليل وسهولة الدراسة . والأمثلة على إرتباط كل من الجسم والعقل كثيرة ومتعددة . فقديما قالوا العقل السليم فى الجسم السليم . وهناك طائفة من الأمراض النفس جسمية التى يطلق عليها اسم الأمراض السيكوسوماتية وهى أمراض أسبابها نفسية وأعراضها جسمية ومنهـا الربو وقرحة المعدة وضغط الدم والسكر وما إلى ذلك .

٢ - فروع علم النفس

بعد أن استقل علم النفس عن الفلسفة من ناحيه وعن البيولوجي Biology من ناحية أخرى أخذ يتحول نحو التخصص الدقيق فنشأت له فروع مختلفة يختص كل منها بدراسة موضوع معين ومن هذه الفروع علم النفس العام General Psychology ويدرس النظريات العامه والأسس والمباديء التي يقوم عليها علم النفس .

علم النفس الفسيولوجي Physiological psychology :

ويدرس الظواهر الجسمية والداخلية من حيث اتصالها بالحالات النفسية ومن حيث الصلة بين الأحوال النفسية وبين الجهاز العصبي للفرد

The study of the correlations of physiological Processes. or activities with behaviour

علم النفس الصناعي Industrial psychology

ويدرس العمل والعمال واختيارهم وتوجيهم توجيها يتفق وما لديهم من ذكاء وقدرات خاصة وميول مهنية كما يدرس وسائل منع حوادث العمل ووسائل التدريب وأساليب تحسين الإنتاج كما وكيفا ودراسة الظروف الصحيحة للعمل كالاضاءة والتهوية وعوامل التعب والإرهاق كذلك يدرس الروح المعنوية Morale وأثرها على الإنتاج .

علم النفس التجاري Commercial psychology

ويدرس وسائل التأثير في المشترى وطرق معاملته ومعرفة دوافعه كذلك وسائل الإعلام والدعاية وطرق إدارة المؤسسات والشركات التجارية وأنسب الوسائل لتحقيق أكبر قدر من الربح بأقل قدر من الجهد

علم النفس الجنائى . Criminal psy

ويدرس أسباب الجريمة ودوافعها سواء كانت هـــذه الدوافع نفسية أو إجتماعية كما يدرس وسائل مكافحة الإنحراف ويساهم فى وضع السياسة العقابية التى تستهدف إصلاح الفرد بدلا من إنزال العقاب .

علم النفس الحربى . Militery psy :

ويدرس كيفية الإستفادة من قدرات ومواهب الجنود ووسائل تدريبهم وكيفية توزيعهم على الأسلحة المختلفة ووسائل المحافظة على معنوياتهم وطرق الحرب النفسية وأساليبها وكيفية التحصين ضدها .

علم النفس الفارقى . Differential psy

ويدرس الفروق التى توجد بين الأفراد والجمـــاعات التى ترجع إلى السن والجنس والسلالات والطبقة الإجتماعية التى ينتمى إليها الفرد .

علم نفس الطفل . Child psy :

ويدرس الطفل فى مراحل نموه المختلفة منـــذ ميلاده حتى مرحلة الرشد وكذلك يدرس كيفية إكتسابه للخبرات والمهارات المختلفة وطرق تفكيره وأساليب تعلمه كما يدرس دوافع الطفل وإتجاهاته وميوله ومشكلاته .

علم نفس الشواذ . Abnormal psy :

ويدرس المظاهر الشاذة فى سلوك الإنسان كالضعف العقلى Feeble mindeness وأضطرابات الشخصية Personality disorders والأمراض النفسية والعقلية كالعصاب Neurosis والذهان Psychosis .

ويدرس أسبابها كما يدرس العبقرية والتفوق العقلى .

علم النفس التربوى . Educational psy :

ويدرس نظريات التعلم وطرقه وشروطه كما يدرس التوجيه التربوى والتعليمى ويرسم طرق توزيع التلاميذ على أنواع التعليم المختلفة التى تتناسب وقدراتهم ويعالج حالات الضعف الدراسى والتحصيلى كما يقدم المقاييس العقلية والنفسية المختلفة للتلاميذ .

علم نفس الحيوان . Animal psy :

ويدرس سلوك الحيوان الإدراك والتعلم وكذلك ذكاء الحيوان ودوافعه وغرائزه المختلفة

علم النفس المقارن . Comparative psy :

ويهتم بمقارنة سلوك الإنسان بالحيوان وسلوك الطفل بسلوك الراشد والبدائى بالحضرى والسوى بالشاذ Normal and Abnormal

علم النفس التطبيقى . Applied psy :

ويستهدف أغراض عملية لا نظرية فيطبق المبادىء والنظريات النفسية على ميادين الحياة والعمل المختلفة ومن فروعه علم النفس التربوى والصناعى والجنائى ويقابل علم النفس العام .

علم النفس القضائى . Juridical psy :

ويدرس العوامل النفسية التى تؤثر فى جميع المشتركين فى الدعوة الجنائية كالقاضى والمتهم والمحامى والمجنى عليه والشهود والمبلغ والجمهور عامة والعوامل التى تؤثر فى القاضى والحكم كالصحافة والاذاعة ويستهدف مراعاة الظروف النفسية للمجرم ويدرس قدرة الشهود على التذكر والعوامل التى تؤثر فى الشهادة كما يدرس أثر الايحاء فى نفسية المشتركين فى الدعوة وما يمكن أن يؤثر به

الرأى العام والصحافة والإذاعة وحتى ما يتردد من إشاعات وذلك فى توجيه الدعوة وجهة معينه .

علم النفس الاجتماعى . Social psy :

ويدرس إتجاه الأفراد إزاء غيرهم من الناس والعلاقة بين الفرد وبين البيئة الإجتماعية كما يدرس جميع الظواهر التى لها شقان : شق فردى وشق جماعى .

ومن موضوعاته الإتجاهات والرأى العام والزعامة والقيادة والشخصية واللغة . يدرس علم النفس الاجتماعى إذن الظروف النفسية التى تحيط بنمو وتكوين المجتمعات البشرية فيدرس الحياة العقلية كما يبدو أثرها فى المؤسسات والمنظمات الإجتماعية وكما تظهر فى دساتيرها ومبادئها الثقافيه ، ويدرس أيضا نمو وسلوك الفرد كما هو مرتبط بالبيئة الإجتماعية ، وبعبارة أخرى يدرس المشكلات التى يشترك فيها الفرد والجماعة . ويميل أصحاب النزعات التجريبية من علماء النفس الإجتماعى إلى إعتباره الدراسه العملية لنشاط الفرد، تلك التى تتأثر بالأفراد الآخرين سواء كان هذا التأثير بطريقة مباشرة فى البيئة الراهنة للفرد أو بطريقه غير مباشرة كما يظهر من ثنايا تأثير التقاليد والعادات والنظم والتوقعات الإجتماعية .

هذه العوامل ولا شك تؤثر فى الفرد تأثيرا كبيرا حتى عندما يكون وحيدا فى موقف ما فإن ما يصدره من أحكام وما يأتيه من تصرفات إنما هو نتيجة لمجموعة من العوامل الإجتماعية المحيطة به ومن ناحية أخرى يدرس علم النفس الإجتماعى مدى تأثير الفرد فى الجماعات الإنسانية المختلفة ومعنى ذلك أنه يدرس التفاعل بين الفرد والجماعة . وهناك أمثلة كثيرة على مدى تأثير الفرد فى سلوكه وميوله وإتجاهاته وأحكامه بالمجتمع وقيمه ونظمه ومثله

٣ - مناهج البحث فى علم النفس

قلنا إن علم النفس يدرس مجموعة من الظواهر النفسية أو السلوكية فى الإنسان والحيوان ولكن كيف يدرس علم النفس هذه الموضوعات وبعبارة أخرى ما هو المنهج الذى يتبعه علم النفس فى دراسة موضوعاته وفى تحقيق أهدافه ؟

يقصد بمنهج البحث Method الطريقة التى يتبعها العالم فى دراسة الظاهرة وتفسيرها ووصفها والتحكم فيها والتنبؤ بها . كما يتضمن المنهج ما يستخدمه العالم من آلات وأدوات ومعدات مختلفة .

كان علماء النفس قديماً يتبعون منهج التأمل الذاتى أو التأمل الباطنى أو الإستبطان Introspection ويقصد بالإستبطان تأمل الحالات الشعورية الداخلية التى يشعر بها الفرد ، وتتراوح عملية الاستبطان من التأمل البسيط أو الوصف البسيط لما نشعر به فى حياتنا اليومية ،كما يحدث عندما نصف للطبيب ما نشعر به من ألم ، وبين التفكير العميق فى أحوال الفرد الذاتية ومشاعره الداخلية وتحليلها ومعرفة أسبابها و نتائجها .

وواضح أن هذا المنهج يعتريه النقص من جوانب متعددة نذكر منها ما يلى :

١ - فى أثناء عملية الاستبطان أو التأمل الداخلى ينقسم الفرد إلى ملاحظ وملاحظ فهو نفسه الذى يقوم بملاحظة نفسه وتسجيل ما تشعر به ،وهذا يؤدى إلى تغيير الحالة النفسية التى يريد تأويلها وتحليلها . فعندما ينصرف الإنسان لتأمل حالة الغضب التى يشعر بها مثلا فإن ذلك يخفف من حدة انفعال الغضب عنده ، فملاحظة الحالة الشعورية ومحاولة وصفها وتحليلها لا يمكن أن تحدث بدقة فى أثناء الحالة نفسها .

٢ - لا شك أن الحالات النفسية الشعورية معقدة من ناحية ومن ناحية أخرى سريعة التغير والزوال . وعلى ذلك فلا يمكن ملاحظتها ملاحظة ذاتية أو وصفها وصفاً دقيقاً

٣ - إن هذا المنهج يقوم على أساس الملاحظة الذاتية Self-observation أى ملاحظة الفرد لذاته فقط ، وعلى ذلك فلا يمكن أن يشترك معه غيره ومن ثم فلا تصلح هذه الطريقة للبحث العلمى ، الذى يقوم على أساس الموضوعية والعمومية وعلى ذلك فلا يمكن أن يتحقق باحث آخر من صدق الظواهر النفسية التى يمر بها الفرد . فما يمدنا به الاستبطان من معلومات ، حتى إن كانت صادقة ، فإنها لا تصدق إلا على صاحبها فقط ، وليس من الضرورى أن يكون عامة ومشتركة بين جميع الناس ، والعلم الحديث يقوم على أساس إكتشاف القوانين العامة التى تفسر السلوك عند كافة الناس .

٤ - لما كان هذا المنهج يقوم على أساس تحليل الفرد لذاته ، ووصفها ، فإنه يتأثر بميول الفرد واتجاهاته وأهدافه ونزواته الشخصية وتعصباته وتحيزاته ومن المعروف أن هذه الميول الشخصية تؤثر حتى فى إدراكنا للعالم الخارجى ، أما تأثيرها على وصف الإنسان لنفسه فإنه أكثر عمقاً لأن الانسان دائماً يتحيز لنفسه ، لا يحب أن يصارح نفسه أو أن يوجه اللوم إلى نفسه بل إنه يخفى على نفسه المشاعر والميول التى تعافها نفسه أو التى يخجل منها أو التى تظهره بمظهر غير خلقى أى غير إجتماعى ، ويسعى إلى إظهار نفسه فى صورة براقة مشرقة .

٥ - إن منهج الإستبطان الذى يعتمد على وصف الفرد لذاته لا يصلح فى دراسة الأطفال الصغار أو الحيوانات أو الصم والبكم أو الأجانب الذين لا يستطيعون التعبير اللغوى عن مشاعرهم .

ورغم وجود نواحى الضعف هذه فى منهج الاستبطان ، إلا أنه يفيد فى دراسة كثير من الحالات ، حتى فى علم النفس التجريبى ، فالباحث يسأل الشخص الذى يجرى عليه التجربه لكى يصف له ما يشعر به أو ما يراه أو ما يسمعه ، كذلك فإن الاختبارات التى يستخدمها الباحث لقياس سمات الشخصية تعتمد على ما يعطيه الفرد من معلومات عن نفسه عن طريق الاستبطان ، فقد يسأل الباحث الفرد : هل تشعر بالخجل عندما يكون عليك أن تلتقى بإناس لأول مرة ؟ وهل تفكر فى المستقبل كثيرا ؟ هل تهتم كثيراً بآراء الآخرين فيك ؟ هل يزعجك نقد الناس لك ؟ كذلك فإن الإستبطان ما زال هو المنهج الممكن الوحيد لدراسة كثير من الظواهر النفسية كالشعور والأحلام وغير ذلك من الخبرات الشعورية الذاتية. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الإعتماد على السلوك الظاهرى فقط قد يكون مضللا ومخالفا للحقيقة التى يشعر بها الفرد ، فالسلوك الذى يأتيه الفرد ليس دليلا على وجود ميل حقيقى لدى الفرد نحو هذا السلوك . فإن العوامل الإجتماعية قد تضطر الفرد إلى الإتيان ببعض مظاهر السلوك التى لا تتفق مع رغباته فقد يقدم لك صديقك لونا لا تحبه من الطعام على مائدته ، وقد تضطر إلى تناوله تمشيا مع الموقف ، كذلك قد يسلك الفرد سلوكا يدل فى ظاهره على الكرم ، بينما يكون الدافع الحقيقى حب الشهرة . ومهما يكن من قيمة المنهج الإستبطانى الذاتى ، فإن علماء النفس فكروا فى مناهج أخرى أكثر دقة ولذلك لجأ البعض إلى إستخدام ما يسمى بالمنهج الإسقاطى .

المنهج الاسقاطى

يقصد بلفظ « الإسقاط » Projection فى علم النفس أن يسقط أو أن يفرغ الفرد ما يشعر به هو على غيره من الناس ، وأن يترجم ويفسر سلوكهم بالرجوع إلى خبراته الذاتية هو ، فيرى الناس من زاويته هو ، وعلى ذلك فالمنهج الإسقاطى يتلخص فى قيام الباحث بملاحظة سلوك الإنسان أو الحيوان ثم تفسير هذا السلوك على أساس الخبرة النفسية للباحث نفسه تلك التى سبق أن خبرها هو فى مثل هذا الموقف السلوكى ، وعلى ذلك فاذا رأيت شخصا يبكى استنتجت أنه حزين ، وإذا رأيت شخصا يصول ويجول فى وسط الحجرة استنتجت أنه قلق وهكذا . ويعنى ذلك أننا نفترض أن أحوالنا النفسية تشابه الأحوال النفسية التى يخبرها الغير وذلك فى الظروف المتشابهة .

ومما يؤخذ على هذا المنهج القول بأنه يندر أن تتفق الظروف الجسمية والنفسية والعقلية لفرد ما مع فرد آخر ، بحيث يمكن أن يسقط أحدهما مشاعره على الآخر وبحيث يصدق هذا الإسقاط .

والواضح أن مثل هذا المنهج لا يصلح فى دراسة الحيوانات والأطفال وأبناء المجتمعات البدائية ، الذين تبعد الشقة بيننا وبينهم من حيث التكوين الشخصى والنمط الحضارى .

هذا ولا يخفى أن السلوك الظاهرى Overt behaviour قد يكون مجرد تضليل وتمويه لما يشعر به الفرد حقيقة . فمظاهر الكرم قد تكون لنيل المكاسب الشخصية أو لتغطية ميل شديد للشح والبخل ، فالسلوك الخارجى الظاهرى ليس دليلا حقيقيا فى جميع الأحوال على الحقيقة الداخلية للفرد ؟

تفاديا لهذة العيوب التى يعانى منها منهجا الاستبطان والإسقاط إتجه علم النفس الحديث نحو انتهاج مناهج العلوم الطبيعية الحديثة وسار على نفس الأسس العلمية والموضوعية التى تسير عليها هذه العلوم والتى وصلت بفضلها إلى نتائج باهرة .

المنهج العلمى الموضوعى

يستهدف المنهج العلمى Sciemtific Methed الموضوعى فى علم النفس دراسة الظواهر النفسية أو الظواهر السلوكية دون أن يسقط الباحث عليها حالاته الذاتية ، فلا يتأثر بحثه بميوله واتجاهاته وآرائه وتعصباته أو تحيزاته بل يسجل الوقائع كما هى فى الواقع بعيدة عن ذاته . فعند دراسة تطور لعب الأطفال مثلا فان الباحث ينسلخ بنفسه بعيدا عن الموقف ، ويصف ويسجل كل ما يلاحظه وصفا دقيقا موضوعيا . وكذلك الحال عندما يقوم الباحث بدراسة ظاهرة السلوك الاجرامى مثلا عند جماعة من الأفراد ، فانه لا يصدر أحكاما خلقية نابعة عن رأيه الشخصى فى مثل هذا السلوك ولكنه يسجله أو يحاول تفسيره بالاستناد إلى الحقائق التى حصل عليها .

وجدير بالذكر أن تطبيق المنهج العلمى فى علم النفس ليس عملا سهلا ميسورا ذلك لأن طبيعة الموضوعات التى يدرسها علم النفس تختلف إختلافا بينا عن طبيعة الموضوعات التى تدرسها العلوم الطبيعية . فالسلوك الذى يدرسه علم النفس يعد ظاهرة معقدة Complex Phenomenon تتدخل فيها عوامل معقدة نفسية وعقلية وجسمية وإجتماعية ومادية . ومن الصعوبة بمكان دراسة أثر أى من هذه العوامل مستقلا عن غيره من العوامل الأخرى . ذلك لأن عزل هذه العوامل يعتبر عملية بالغة الصعوبة ويكفى أن نتأمل أى عينه من سلوك فرد ما فى موقف ما لكى نتبين مدى تداخل العديد من العوامل المتشابكة فإذا ما تصورنا طالب يؤدى الامتحان فى مادة علم النفس مثلا فاننا نلمس العديد من العوامل التى تؤثر على مستوى أدائه فى هذا الموقف ومنها ما يلى :-

١ — مستوى ذكائه .

٢ — مقدار ما حصله من معلومات فى مادة علم النفس .

٣ — ميله نحو هذا العلم ومقدار اهتمامه به .

٤ — ما يوجد لديه من دوافع ورغبات فى اجتياز هذا الامتحان .

٥ — قدرته على التفكير فى حل المشكلات النفسية .

٦ — حالته النفسية والمزاجية والجسمية أثناء أداء الامتحان .

٧ — سنه ومستوى نضجه العام .

٨ — الظروف المادية المحيطة به أثناء الامتحان من حرارة ورطوبة وضوضاء وبرودة وتهوية وإضاءة .

٩ — ما يوجد فى الموقف من علاقات إجتماعية بينه وبين المحيطين به من زملاء ومشرفين .

فإذا أراد الباحث معرفة أثر أى من هذه العوامل على أداء الطالب وجب علية أن يعد تجربة بحيث يثبت بقية العوامل أو يضبطها control ثم يدرس أثر هذا العامل وحده ويترك الحرية لهذا العامل وحده لكى يتغير .

فإذا أردنا معرفة الذكاء Intelligence مثلا فى القدرة على التحصيل فى مادة علم النفس مثلا فإننا نأتى بمجموعتين من الطلاب أحداها تتمتع بمستوى عال من الذكاء والأخرى مستواها منخفض، بشرط أن يتساويا فى العوامل الأخرى كالسن والجنس والبيئة الاجتماعية ونوع المدرسة وطرق التدريس والظروف الجسمية والصحية ومقدار ميولهم نحو هذا العلم الخ ثم نكلف كلا من المجموعتين بتعلم قدر واحد من المواد النفسية وبعد فترة من الزمن نقيس تحصيل كل من المجموعتين ، ونقارن بينها فإذا حصلنا على أى فرق ذو دلالة إحصائية فلابد إذن أن يكون مرجعه هو الفارق فى مستوى الذكاء وجدير بالذكر أن

أن المنهج العلمى فى مثل هذه التجارب يتطلب أن تجرى التجربة على عدد كبير من الأفراد وأن تتكرر أكثر من مرة حتى يمكن الثقة فيما تعطى من نتائج وأن تكون العينة ممثلة تمثيلا حقيقيا للمجتمع الأصلى

وإلى جانب الصعوبة فى عزل العوامل المختلفة المحيطة بالسلوك والمسئولة عنه فإن السلوك نفسه يختلف عن الموضوعات المادية المحسوسة التى تدرسها العلوم الطبيعية فقياس الطول أو العرض يختلف عن قياس الشعور .

ولقد أتخذ علم النفس ، إلى جانب المنهج التجريبى والموضوعى ، أتخذ من علم الاحصاء Statistics وسيلة مبتكرة لمعالجة ما يحصل عليه من نتائج فأصبح مثلا يعرف المتوسطات الحسابية Means لمجموعات مختلفة من الأفراد فى والقدرات التحصيلية والمعرفية وغيرها ، وهكذا أصبح علم النفس يستخدم لغة الرياضة والأحصاء فى عرض البيانات واستخلاص النتائج . كذلك أصبح لعلم النفس الحديث معامل مزودة بأجهزة لقياس حدة السمع والأبصار والأدراك ودقات القلب وسرعة التنفس وهكذا .

كذلك أصبح علم النفس يعتمد على المقاييس العقلية Mental measurement المختلفة والأختبارات الدقيقة التى تقيس الذكاء والقدرات والمهارات وسمات الشخصية المختلفة ، كالخجل والأنطواء والعدوان والتعاون والطموح والقلق والخوف وغير ذلك . وسنرى نموذجا حيا من التجارب العملية فى الباب الخاص بالتعلم من هذا الكتاب .

وعلى العموم يعتمد المنهج العلمى على دعامتين أساسيتين هما الملاحظة والتجربة Experiment and observation فيلاحظ الباحث الظاهرة ملاحظة دقيقة ويسجل ما يرى كما يصمم التجارب التى تساعده على ملاحظة السلوك فى مواقف مظبوطة تشبه المواقف الطبيعية ، ويتضمن المنهج التجريبى إتباع الخطوات الآتية :—

١ — الملاحظة الدقيقة المقصودة حيث يلاحظ الباحث الظاهرة ويسجلها كما يلاحظ الباحث هبوط الأمطار أو هبوب الرياح أو سلوك التلاميذ في فناء المدرسة.

٢ — تحديد المشكلة تحديدا دقيقا ، ويتضمن ذلك وصفها وتعريفها، فقد يحدد الباحث المشكلة في تأخر الطالب في التحصيل في مادة ما أو إنحراف جماعة من الصبية

٣ — جمع البيانات والأدلة والشواهد والمعلومات الخاصة بالمشكلة وإجراء التجارب وغير ذلك من وسائل الحصول على المعلومات

٤ — وضع الفروض أو الحلول Hypotheses الممكنة لحل المشكلة ، على أن يكون وضع هذه الفروض قائما على أساس منطق معقول ، كما ينبغي أن تكون محددة المعنى بحيث يكون إخضاعها للتجريب والقياس ممكنا .

٥ - أختبار صحة الفروض أو الحلول أو التحقق من صحتها Verification وذلك عن طريق ما تمدنا به التجربة أو ما نحصل عليه من معلومات فيتناول الباحث الفروض فرضا فرضا بالفحص ، فإذا أيدت التجربة الفرض أصبح نظرية عامة أو قانونا مقبولا لتفسير وحل المشكلة ، وإذا أختلفت نتائج التجربة مع الفرض حذف الفرض أو عدل بحيث يتفق مع نتائج التجربة التى ينبغى أن تكون لها الكلمة الأخيرة .

فى هذه المرحلة بالذات ينبغى أن يتسم فكر الباحث بالمرونة ، وعدم التشبث أو التعصب لما يضع من فروض أولية بل يجب أن يكون مستعدا لحذف وتعديل وتغيير جميع فروضه ووضع غيرها . وجدير بالذكر أن المنهج العلمى لا يقوم على التجريب وحده وإنما هو فى جوهره يعتمد على التفكير المنطقى السليم وعلى أن يستخدم التجريب كوسيلة للحصول على المعلومات الدقيقة

اسئلة تطبيقية وتمرينات عملية

١ — حاول أن تضع تعريفا دقيقا لعلم النفس .

٢ — « لعلم النفس الحديث فروع متعددة تتناول جوانب الحياة المختلفة » أشرح هذه العبارة .

٣ — أشرح المقصود بمنهج الاستبطان فى علم النفس مع ذكر الانتقادات التى توجه اليه .

٤ — أمسك بورقة وقلم وأخلو إلى نفسك تماما ثم حاول أن تصف وتسجل جميع ما يجول بخاطرك من أفكار وموضوعات ثم حاول أن تتناول بالنظر الموضوعى الدقيق ما سجلت من معلومات وحاول إظهار مواطن الضعف فى هذا المنهج الاستبطانى .

٥ — أشرح المقصود بالمنهج الأسقاطى موضحا عيوبه ومواطن الضعف فيه .

٦ — تعد دراسة السلوك عملية صعبة نظرا لتدخل كثير من العوامل فى سلوك الإنسان ، أشرح هذه العبارة وأستعن بضرب الأمثلة .

٧ — كيف يمكن دراسة تأثير عامل معين على السلوك الانسانى ؟

٨ — أشرح أهم خصائص المنهج العلمى الموضوعى .

٩ — يقوم المنهج العلمى على دعامتين هما الملاحظة والتجربة . أشرح ذلك موضحا الفرق بين الملاحظة والتجربة .

١٠ — قارن بين المنهج العلمى والمنهج الاستبطانى فى دراسة موضوعات علم النفس

الفصل الثاني

تعريف السلوك وخصائصه

يقصد بالسلوك Behaviour بوجه عام الاستجابات الحركية والغددية ، أى الاستجابات الصادرة عن عضلات الكائن الحى أو عن الغدد الموجودة فى جسمه أو الأفعال والحركات العضلية أو الغددية . وهناك قلة من علماء النفس الذين يقصرون لفظ السلوك على السلوك الخارجى الذى يمكن ملاحظته ومشاهدته ولكن غالبية علماء النفس المعاصرين يقصدون بالسلوك جميع الأنشطة التى يقوم بها الكائن الحى ، وبذلك يدخل تحت مفهوم السلوك المناشط العقلية والمناشط الفسيولوجية التى تحدث داخل الكائن الحى ذاته ، وبذلك يشمل السلوك جميع مناشط الكائن الحى الداخلية والخارجية . ولكن يختص علم النفس على وجه الخصوص بدراسة بعض أنواع السلوك . مثل التفكير والتعلم والادراك والتخيل والتذكر بينما يختص علم الفسيولوجيا بدراسة مظاهر أخرى من السلوك كالتنفس والدورة الدموية والنبض وإفراز الغدد وهناك محاولات مختلفة لوصف السلوك فيقسم السلوك إلى سلوك فطرى وسلوك مكتسب متعلم ، وهناك سلوك سوى وسلوك مرضى . وهناك السلوك المقبول إجتماعياً والسلوك المضاد لمبادىء المجتمع وواضح أن الحيوان والإنسان يأتيان بكثير من أنماط السلوك وأن هناك بعض الظواهر السلوكية التى يختص بها الإنسان كالتفكير والتذكر والتخيل والتصور والنطق . وهناك بعض أنواع السلوك التى يشترك فيها الإنسان والحيوان مثل السلوك الجنسى والإخراج وتناول الغذاء .

والحيوانات كبيرها وصغيرها تقوم بأفعال كثيرة بطريقة فطريه تلقائية .

ونعنى بذلك أن الحيوان لم يتلق تعلما أو تدريباً فى أدائها . فصغار الأفراخ تلتقط الحبات الصغيرة مما يقدم لها من طعام دون أن تتلقى تدريباً فى أصول هذه العملية وكذلك الطيور تبنى أعشاشها لكى تعيش فيها وتضع بيضها بها . وذلك بلا سابق تعلم أو تدريب . وفى الواقع تقوم بعض الحيوانات بأنماط معقدة جداً من السلوك الذى تأتى به فطريا أو بلا تعلم أو تدريب .

فهناك نوع من الزنابير عندما توشك أنثاه على وضع البيض فإنها تحفر حفرة فى الأرض ثم تذهب لكى تصطاد نوعا معينـاً من العناكب وبعد أن تصطاده توخزه وخزة خفيفة بحيث لا يموت فى الحال ثم تحمله إلى حفرتها حيث يوجد بيضها ، فإذا ما خرجت صغارها وجدت أمامها العناكب طعاماً شهياً . والعجيب فى هذا الحيوان أن الأم تهجر بيضها بعد وضعه وإعداد الطعام لأفراخها الصغار ولا تراها بعد ذلك طوال حياتها .

هذه الأفعال وأمثالها أفعال فطرية موروثة Innate لم يكتسبها الحيوان عن طريق الخبرة أو التعلم أو التقليد والمحاكاة . فالزنابير لم يسبق لها أن رأت أمهاتها تقوم بهذا الفعل . ويلاحظ على مثل هذه الأفعال الفطرية أنها أفعال عامة يشترك فيها جميع أفراد النوع الواحد وليست خاصة بفرد واحد من هذه الحيوانات.

ومما يدل على أن مثل هذا السلوك فطرى وغير مكتسب أن صغار الحيوانات إذا عزلت فور ولادتها عن أمهاتها وكبار الحيوانات عامة وتربة فى بيئة صناعية فإن هذا السلوك يظهر لديها فى الوقت المحدد لظهوره .

فقد عزلت بعض الطيور الصغيرة وربيت فى أعشاش معدة صناعية ، ولكنها بمجرد أن شعرت بقرب موعد وضع بيضها بدأت فى بناء أعشاشها . وهناك قطعان من الطيور التى تهاجر شتاء إلى أماكن أخرى غير موطنها الأصلى وذلك طلبـــاً للدفء وسعياً وراء الطعام وكذلك تفعل الأسماك والفيلة والغزلان .

لايهتم علم النفس بدراسة كيفية قيام الأفــراد بأنماط مختلفة من السلوك فحسب ولكن أيضا بدراسة الأسباب التى تدفعهم إلى القيام بالسلوك ، ففى الاجابة على تساؤلنا لماذا يسلك الناس هذا السلوك تكمن مشكلة الدوافع الإنسانية. فعلم النفس يهتم بدراسة الدوافع لمحاولة فهم السلوك ومن ثم فهم الشخصية الإنسانية بوجه عام . ومن الواضح أن السلوك الأنسانى ظاهرة معقدة غاية فى التعقيد ، وكذلك الدوافع Motives التى تكمن وراء هذا السلوك ليست بسيطة كما يتصور البعض . كلما تقدم الإنسان من العمر فى الطفولة إلى المراهقة إلى الرشد كلما زاد تعقيد سلوكه ودوافعه .

وتنبع أقوى الدوافع الإنسانية من حاجات الجسم العضوية Biological needs وليس عليك إلا أن تلاحظ سلوك طفل جائع وهو يكافح من أجل الحصول على الطعام أو طفل عطشان أو متعب ، تلمس هذا الدافع الثابت .

وسلوك الفرد أياكان يستهدف دائما إشباع Satisfaction دافع معين، ولكن السلوك يعتمد أيضا على عدة عوامل منها درجة نضج الفرد وحالته الفسيولوجية وخبراته السابقة وميوله واتجاهاته .

أما الحاجات أو الدوافع الأولية فأنها تشتق من حاجات الجسم نفسه ومن أمثلة ذلك الحاجة إلى الماء والهواء والطعام والدفء . فالجوع مثلا ينشأ من حاجة الجسم إلى الطعام ومن نقص ما يوجد من غذاء داخل المعدة . ولذلك فإن رغبة الفرد فى الحصول على الطعام إنما تنشأ من حالة حسية مصدرها المعدة . هذه المثيرات الداخلية تثير مناشط عامة إلى جانب النشاط المباشر الذى يستهدف الحصول على الطعام وتناوله فقد دلت التجارب على أن الفرد إذا أنبطح فوق سرير ثم سجلت حركاته أثناء نومه وجد أن حركات القلق والحيرة تظهر أكثر ما تظهر عندما تكون المعدة فى حالة إنكماش أو تقلص كذلك دلت ملاحظات

تجريبية أن المشتغلات على الآلة الكاتبة ينتجن أكثر فى حالة عدم إمتلاء بطونهن بالطعام . والملاحظ على سلوك الطفل الرضيع فى حالة شعوره بالجوع أنه سلوك كلى ، فهو يحرك كل جسمه ويصرخ ويبكى ويحرك يديه ورجليه ورأسه . ولا يتخصص السلوك ويصبح نوعيا إلا بعد إكتساب الخبرة والمران عندما يتقدم الطفل فى العمر . وسترد الإشارة فى الباب الخاص بالتعلم ، أن التعلم يؤدى إلى تغيير السلوك حيث يتعلم الفرد الإتيان ببعض العادات التى تشبع دوافعه ، فهناك علاقة بين السلوك وبين قدرة الفرد على التعلم ، فالقطة الجائعة تتعلم أن تطلب الطعام وهى فى المطبخ ، وأن تنبش بأظافرها فى باب الحجرة التى يوجد بها الطعام وأن تصطاد وهى فى الطريق ، والطفل يتعلم كيف يطلب الطعام وكيف ينتظر حتى موعد الوجبات ، وأن يصنع لنفسه « ساندوتشا » ثم يتعلم كيف يشترى طعامه وكيف يعده لنفسه ، وبواسطة التعلم أيضا يتغير مثيرات السلوك ، فبدلا من أن يثير لعاب الفرد الجائع رؤية الطعام نفسه ، يصبح مجرد شم رائحته ، أو حتى مجرد الحديث عن الطعام ، سوف تجعل معدته تتقلص طالبة الطعام . فالسلوك ولاسيما سلوك الإنسان له خاصية المرونة والقابلية للتعديل والتغيير .

إن السلوك الفطرى لا يوجد لدى الحيوان فحسب ولكنه يوجد أيضا فى الإنسان ، فالطفل الصغير لم يتعلم من أحد الصراخ أو البكاء أو الإمتصاص والرضاعة أو الخوف من الأصوات العالية الفجائية . إلى جانب هذا اللون من السلوك الفطرى الموروث هناك نوع آخر من السلوك هو السلوك المكتسب الذى يتعلمه الكائن الحى من البيئة المادية والإجتماعية التى يعيش فيها . ومن أمثلة ذلك القراءة والكتابة والعزف الموسيقى والسباحة وركوب الدراجات وقيادة السيارات ولعب كرة القدم والتدخين وغير ذلك من المهارات والإتجاهات والميول والعقائد الإجتماعية والسياسية ، مثل هذه الإتجاهات يتعلمها الفرد من

الأسرة أو من المجتمع الذى يعيش فيه بطريق التعليم أو التقليد والمحاكاة فنحن نتعلم الإتجاه نحو حب الوطن والإتجاه نحو الحياة الديمقراطية ونحو الإيمان بالقيم الاشتراكية فى العدالة والمساواة نتيجة لما نلمسه من فوائد لمثل هذه النظم . ومن الملاحظ أن البيئة التى يعيش فيها الفرد تتناول سلوكه الفطرى والمكتسب بالتعديل والتطوير والتهذيب بحيث يتخذ الشكل المقبول الذى يرضى المجتمع فالمجتمع يعلم الفرد كيفية ضبط دوافعه الفطرية البدائية الجنسية والعدوانية كما يزوده بالقيم والمثل التى تجعل منه مواطناً صالحاً .

فتناول الطعام سلوك فطرى ولكن إستخدام الأدوات على المائدة تطوير إجتماعى لهذه العملية ، كذلك فإن عملية الإخراج عند الطفل عملية فطرية ، ولكن الطفل الصغير يتعلم كيف يؤدى هذه الحاجة بالطريقة التى ترضى أمه .

الفصل الثالث

دوافـــع السلوك

بعد هذا الوصف للسلوك الفطرى والمكتسب يحق لنا أن نتساءل لماذا تسلك الحيوانات والأطفال هذا السلوك ؟ بعبارة أخرى لماذا تبنى الطيـــور أعشاشها ولماذا تهاجر الأسماك من قارة إلى أخرى ، ولماذا تنقر صغار الأفراخ حبوبها ولماذا يسعى الطفل للحصول على الطعام ؟ .

لقد افترض علماء النفس القدامى أن هناك قوى حيوية هى التى تدفع بالكائن الحى للاتيان بمثل هذه الأفعال الفطرية وذلك للمحافظة على حياته والحفظ نوعه وأطلقوا على هذه القوى الحيوية اسم الغرائز . وأشاروا إلى السلوك الفطرى على أنه سلوك غريزى . أى ناتج عن الغريزة Instinct .

فما هى إذن الغريزة ؟

يعرفها إنجلش على هذا النحو .

An enduring tendency or dispositiom to act in an organized and biologi-cally adaptive way that is characteristic of agiven species

والاستجابة الغريزية تتميز بأنها فطرية وغير متعلمة من البيئة كما تمتاز بأنهـا توجد لدى جميع أفراد الجنس أو بواسطة الغالبية العظمى من أفراد الجنس .

ويضيف فرويد Freud خاصية ثانية للغريزة وهى أنها عنصر أولى لا يمكن تحليله إلى ما هو أبسط منه .

فالغريزة إذن عبارة عن محركات أولية للسلوك ، لا يمكن تحليلها إلى أبسط منها

وهى كالبديهيات فى الرياضة تبرهن بها النظريات ولا يمكن البرهنة على صحتها هى .
ولقد افترض بعض الفلاسفة فى بادىء ذى بدء وجود الغريزة لتفسير السلوك الغائى للحيوان أى الذى يستهدف تحقيق غاية معينة ، فذكر الحيوان يتصل جنسياً بأنثاه لتحقيق غاية هى الانسال ، والمحافظة على إستمرار بقاء النوع . ثم جاء دارون (صاحب نظرية التطور والنشوء) وقال أن الغريزة إذا كانت توجد فى الحيوان فلا بد أنها توجد أيضاً فى الإنسان ، وذلك لأنه كان يعتقد أن الإنسان لا يختلف عن الحيوان إلا من حيث الدرجة فقط .

ولقد اهتم كثير من علماء النفس بتصنيف الغرائز ووصفها . ومن أشهر هؤلاء العلماء مكدوجل الذى افترض وجود عدد كبير جدا من الغرائز منها :

(١) غريزة التماس الطعام وهى المسئولة عن سلوك الكائن الحى فى البحث عن الطعام وإنفعالها هو الجوع ، وتثير هذه الغريزة رؤية الطعام أو شم رائحته .

(٢) غريزة النبذ ويثيرها وجود شىء منفر فى الفم أو لمس شىء مخاطى لزج وإنفعالها النفور والتقزز ، وسلوكها هو نبذ هذه المواد .

(٣) الغريزة الجنسية أو غريزة التكاثر ، ويثيرها رؤية أفراد من الجنس الآخر وإنفعالها هو الشهوة وسلوكها هو الإتصال الجنسى والزواج .

(٤) غريزة الهروب Escape Instinct ويثيرها الأصوات العالية الفجائية وعلامات الخطر الخارجى والألم وإنفعالها هو الخوف وسلوكها هو تجنب الخطر .

(٥) غريزة حب الاستطلاع Curiosity ويثيرها الأشياء التى لا يعرفها الفرد ، وإنفعالها هو الدهشة . وسلوكها هو البحث والتنقيب وإرتياد الأماكن المجهولة .

(٦) غريزة الوالدية Parental Instinct ، أى الأبوة والأمومة ، ويثيرها رؤية صغار الإنسان أو الحيوان أو سماع أصواتها أو شم رائحتها وإنفعالها هو

الحنان وسلوكها هو حماية الصغار وتوفير الطعام لها .

(٧) غريزة التجمع ويثيرها رؤية أفراد النوع . وانفعالها هو الرغبة فى حياة الجماعة وسلوكها هو إجتماع الفرد ببنى جنسه .

(٨) غريزة الإنشاء والبناء ويثيرها وجود الأشياء التى يمكن بناؤها أو تركيبها وإنفعالها هو حب العمل البناء ، وسلوكها هو الأعمال الإنشائية والعمرانية .

(٩) غريزة الإستغاثة ويثيرها حاجة الفرد إلى المعونة وإنفعالها هو الشعور بالضعف وسلوكها هو الصراخ .

(١٠) غريزة المقاتلة أو العدوان Instinct of combativeness ويثيرها كل ما يحول دون حاجات الفرد وإنفعالها هو الغضب والثورة وسلوكها هو التحطيم والتخريب .

(١١) غريزة الخضوع ويثيرها وجود الفرد فى موقف يشعر فيه بالضعف وإنفعالها هو الخضوع وسلوكها هو الطاعة والاستسلام.

(١٢) غريزة السيطرة ويثيرها وجود الفرد مع أفراد أقل قوة منه وإنفعالها هو الزهو وسلوكها هو التحكم والغرور .

(١٣) غريزة الإمتلاك ويثيرها وجود أشياء يمكن للفرد إمتلاكها وإنفعالها هو حب التملك وسلوكها الاقتناء وجمع الأشياء .

وهناك عدد آخر من الغرائز مثل غريزة الضعف وغريزة التماس الراحة وغريزة النوم وغريزة الهجرة .

ويلاحظ أن بعض هـذه الغرائز يستهدف إشباع حاجات داخلية للجسم كغريزة التماس الطعام وبعضها الآخر يوجد من أجل التعامل مع البيئة الخارجية المادية والاجتماعية التى يعيش فيها الكائن الحى مثـل غريزة السيطرة وللغريزة

أيا كان نوعها مظهران : مظهر جسمى ومظهر نفسى . وأن كان هذان المظهران متكاملين وليسا منفصلين . فالمظهر النفسى يتمثل فى الانفعال والمظهر الجسمى فى النزوع أو السلوك .

ولقد اعترف مكدوجل أن هذه الغرائز لا تظهر كلها بدرجة واحدة عند الأجناس المختلفة كما أن العوامل الإجتماعيـــة والظروف المادية التى يعيش فى وسطها الكائن الحى تؤثر فى نمو هذه الغرائز وفى إتجاهها . ومع ذلك فإن السلوك الغريزى يوصف بأنه سلوك تلقائى ، يأتى دون تعلم أو إكتساب . كما يوصف بأنه عام ومشترك ويوجد عند جميع أفراد الجنس . كما يرى مكدوجل أن هذه الغرائز تتغير من حيث مثيراتها حيث تفقد بعض الغرائز مثيراتها الفطرية وتستعيض عنها بمثيرات أخرى . فالإنسان المعاصر على وجه الخصوص يتـــأثر فى سلوكه بالعوامل الحضارية والثقافيـــة فهو يخاف على مستقبله وأمنه أكثر مما يخاف الأصوات العالية المفاجئة . وكذلك ينفر الإنسان المتحضر من الكذب أو الرذيلة أكثر مما ينفر من لمس المواد المخاطية ، كذلك يغضب الإنســـان لنصرة الحق والعدل أكثر مما يغضب من الخطر المادى . وكما تتغير مثيرات الغريزة الفطرية تتغير جوانبها النزوعية أو السلوكية . فبدلا من مقاتلة الخصم بطريقة مباشرة أصبح الآن من الممكن التشهير به أو هجائه أو مقاضاته أمام القضاء .

وتتخذ غريزة حب الإستطلاع مثلا عند الإنسان المتحضر شكلا منظما فى صورة قراءة وبحث وتنقيب وتجريب وإستكشاف والقيام بالرحلات العلمية المنظمة . والواقع أنه يمكن التسامى Sublimation أو الإعلاء بكثير من الغرائز بحيث تتحرر من شكلها البدائى الفج وتتخذ شكلا أكثر تهذيبا ورقيا بحيث ترضى دوافع الفرد من ناحية وتتمشى مع المجتمع ومبادئه من ناحية أخرى .

لا شك أنه يمكن ترويض كثير من الدوافع الأولية الفطرية فى الإنسان .

ونحن نلاحظ أيضا أن مثيرا معينا قد يحرك أكثر من غريزة فى وقت واحد فموقف الخطر مثلا قد يثير غريزتى المقاتلة والهروب فى نفس الوقت وبذلك يتراوح سلوك الفرد بين الاقبال والادبار .

وقد يؤدى إثارة أكثر من غريزة فى وقت واحد إلى تضارب السلوك ووقوع الفرد فى حالة صراع أو حيرة فلقد تتضارب غريزة التماس الطعام فى حالة الجوع مع غريزة النبذ منه .

وبجمل القول أن هذه محاولة قام بها مكدوجل لتفسير السلوك الفطرى الغير مكتسب وقد لاقت هذه الفكرة رواجا كبيرا بين كثير من علماء النفس والإجتماع واتخذوها لبساطتها أساسا لتفسير كثير من الظواهر النفسية والاجتماعية كالزواج وتكوين الأسرة وبناء المجتمعات ونشأة الحروب والصراعات ولكن مع ذلك وجه إلى نظرية الغرائز كثير من النقد والإعتراض وأنكرها كثير من علماء النفس واكتفوا بالحديث عن السلوك الغريزى الفطرى بدلا من الغريزة .

تفسير فرويد للسلوك

وإلى جانب محاولة مكدوجل هذه هناك محاولات أخرى قام بها فرويد (صاحب نظرية التحليل النفسى Psycho-analysis) لتفسير السلوك الفطرى لدى الإنسان . ولقد رأى فرويد أن جميع دوافع الإنسان ورغباته يمكن ردها إلى غريزتين فقط هما :

١ — غريزة الحياة أو الغريزة الجنسية life Instinct .

٢ — وغريزة الموت أو العدوان والتدمير Death Instinct .

وتظهر غريزة الحياة فى كل ما نقوم به من أعمال إيجابية بناءة من أجل

المحافظة على حياتنا وعلى إستمرار وجود الجنس البشرى . أما غريزة الموت فتبدو فى السلوك التخريبى وفى الهدم والعدوان على الغير وعلى النفس . ولقد أطلق فرويد على كل من هاتين الغريزتين معاً لفظ « الليبدو » وعنى بذلك الطاقة الحيـــوية والنفسية فى الإنسان (libido) .

ولقد توسع فرويد فى مفهوم الغريزة الجنسية فلم يقصرها على وظيفة التناسل أو التكاثر وذلك لأنه رأى أن هناك طائفة من الأفعـــال ، التى هى جنسية فى طبيعتها ولكنها لا تؤدى إلى الأنسال والتكاثر كالعادة السرية والاحتلام . كما أنه رأى أن هذه الغريزة توجد فى الطفل منذ ولادته وليست كما يظن البعض لا تظهر إلا بعد سن البلوغ puberty ، فهناك فرق بين النشاط الجنسى وبين عملية الانسال نفسها ، تلك التى لا تظهر إلا بعد سن البلوغ . ولقد توسع فرويد فى مفهوم الغريزة الجنسية فجعلها مصـــدر كل محبة وعطف وحنان كما أنها تشمل مظاهر اللذة الحسية والعاطفية . فاللذة التى يجدها الطفل من عملية الامتصاص لذة جنسية واللذة التى يستحسها الطفل فى عمليتى التبول والتبرز لذة جنسية لأنها تؤدى إلى التخفيف من حدة التوتر الجسمى الذى يحس به الطفل . واللذة التى يشعر بها الطفل من حنان أمه لذة جنسية .

وقصارى القول فإن الغريزة الجنسية بمعناها الواسع عند فرويد تشتمل على:

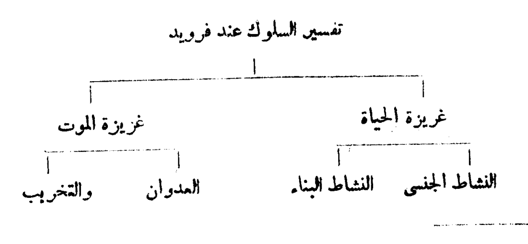
(١) الميول الجنسية التى تستهدف الانسال والتكاثر .

(٢) مظاهر الحب والود بين الآباء والأبناء وحب الذات وحب الأصدقاء وحب الحياة وحب الإنسانية عامة .

(٣) مظاهر اللذة الوجدانية كاللذة التى يشعر بها الطفل فى عملية الامتصاص والاخراج ونحوهما من النشاط الحركى .

أما الجانب الآخر من الدوافع عند فرويد فيتمثل فى غريزة العدوان أو الموت فكان فرويد يرى أن العدوان ينشأ من كبت الميول الجنسية ثم تطورت هذه الفكرة عنده وأصبح ينظر إلى العدوان على أنه إستعداد غريزى مستقل فى تكوين الإنسان النفسى وعلى ذلك فالدوافع للسلوك العـــدوانى فطرية وغير مكتسبة . وبناء على هذه الفكرة يصبح الإنسان عدوا لأخيه الإنسان بالفطرة والغريزة وتصبح رسالة المجتمع تهذيب دوافع الفرد وترويضها . ولاتبدو غريزة العدوان فى إعتداء الإنسان على أخيه الإنسان وحسب وإنما تبدو أيضا فى الرغبة فى تدمير الجمادات وتحطيمها . فالطفل قد يحطم دميته وأثاث حجرته . وليست الحروب وما تجلبه من دمار لمظاهر الحضارة المادية والإنسانية إلا مظهرا من مظاهر السلوك العدوانى الغريزى [1]

وجملة القول فإن فرويد يفسر السلوك الإنسانى عند الطفل الصغير والراشد الكبير ، فى الشخص السوى وفى الشخص الشاذ وسلوك الفرد وسلوك الجماعة ، بالقول بهاتين الغريزتين وبما يقوم بينهما من صراع أو تعاون فى الكائن الإنسانى . فاحداهما تنزع إلى البناء والأخـــرى إلى التدمير . وللمجتمع وظيفة هامة هى تغلب وظيفة البناء فى الإنسان على وظيفة التخريب .



(١) د . أحمد عزت راجح — أصول علم النفس .

٣ ـ الدوافع اللاشعورية للسلوك

تسير حياة الإنسان فى مطلع حياته مجموعة من الدوافع الجنسية والعدوانية الفجة ، ثم بتقدمه فى العمر يخضع لسلطات المجتمع ولقيمه ومبادئه . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن المجتمع بدوره يسعى إلى ترويض دوافع الفرد وتهذيبها بحيث تصبح مقبولة بالنسبة لذلك المجتمع . وعندما يضع المجتمع كثيراً من الضوابط والحواجز التى تقف بين الفرد وبين إشباع دوافعه الحيوانية الفجة ، فإنه لا يجد مناصا من كبح جماح نفسه وكبت هذه الدوافع ومقاومتها . ولذلك تترسب هذه الدوافع المكبوتة فى أعماق منطقة مظلمة غير مرتادة من الذات هى المنطقة التى أطلق عليها فرويد اسم « اللاشعور Unconsciousness » وبذلك تصبح تلك الدوافع نسياً منسياً ، ولا يفطن المرء إلى وجودها ولا يدركها ولا يعرفها بل ولا يعترف لنفسه بوجودها ومن ثم لا يستطيع إشباعها بطريقة مباشرة .

ولكن كبت هذه الدوافع وتراكمها فى أعماق اللاشعور لا يعنى إنعدامها على الإطلاق ولكنها تسعى من حين لآخر لكى تظهر ولكى تطفو فوق سطح الشعور Consciousness ويحس الفرد بتأثيرها وضغطها عليه ، فتبدو هذه الدوافع اللاشعورية فى سلوك الفرد بصور ملتوية مقنعة كما تبدو فى أحلامه وفى فلتات لسانه وزلات قلمه . يرى فرويد وغيره من أصحاب مدرسة التحليل النفسى أن معظم هذه الدوافع المكبوتة تدور حول عملية الرضاعة والفصام وحول علاقة الطفل بوالديه . ولذلك فإنه ينبغى أن يعامل الطفل فى مرحلة الطفولة بمزيد من الرعاية والعطف . ولا ينبغى أن يفهم من ذلك أن نفرط فى العطف والحنان على الطفل وأن نغالى فى تدليله وطاعة أوامره وتلبيه مطالبه . كما لا ينبغى أن نفرط فى القسوة عليه وفى كبله بسلاسل من الأوامر والنواهى وفى إنزال العقاب الصارم به . ولكن الموقف السليم هو موقف

الاعتدال والتوسط بين الصرامة والتدليل بحيث يحترم الطفل النظام وفى نفس الوقت يشعر بالحماية والدفء والحنان .

ومصدر الاهتمام بتربية الطفل تربية سليمة فى مرحلة الطفولة هو أن بذور شخصيته توضع فى هذه المرحلة المبكرة .

ترى مدرسة التحليل النفسى أن السلوك الذى نقوم به ليس من الضرورى أن يكون الدافع ورائه دافعا شعوريا محسوسا به وإنما قد يأتى الانسان بكثير من أنماط السلوك التى لا يعرف الدافع وراءها .

فدوافع السلوك إذن منهـــا الشعورى ومنها اللاشعورى .فالدافع الشعورى هو الذى يفطن الإنسان إلى وجوده ويستطيع تحديده . وتظهر الدوافع الشعورية أكثر ما تظهر فى الأفعال التى تقوم بها عمدا ، كذهابك لصديقك لرؤيته أو كذهابك لشراء سترة أو كذهابك المدرسة لتحصيل العلم أو ذهاب الموظف لعمله لاكتساب رزقه .

أما الدافع اللاشعورى فلا يدرك الانسان وجوده ولا يستطيع تحديدة ولا يعرف طبيعته ، فقد يكون الدافع مما يؤذى الانسان الشعور أو الاعتراف بوجوده وقد يتضمن أمورا تعافها النفس الشاعرة ، كما قد يكون الدافع منسيا من عهد الطفولة المبكرة .

فقد يدفع الانسان شعوره الدفين النقص والضعف إلى العدوان وأظهـــار القوة كما قد يدفع ميل الفرد البخيل إلى الاستحواذ على المال إلى التظاهر العلنى بالسخاء والعطاء ، وقد يدفع الفرد شعوره بالكراهية نحو زملائه للتشهير بهم والنيل منهم

فالدوافع اللاشعورية تسكن فى الجانب المظلم من التكوين النفسى للفرد الذى يحتوى على الغرائز الفطرية وعلى الميول والذكريات المنسية .

وفى داخل هذا اللاشعور تجرى عمليات لا يشعر الفرد بتأثيرها على سلوكه

الخارجى فقد تطيل التفكير فى مشكلة ما ، ثم يستعصى عليك حلها ، فتتركها وتنشغل بغيرها وعلى حين فجأة يهبط الحل إلى ذهنك . ومعنى ذلك أنك كنت تفكر فيها تفكيرا لا شعوريا وكذلك إذا عجز الدافع اللاشعورى عن الظهور الصريح فإنه يلح فى الظهور . فيبدو بصورة رمزية ملتوية مقنعة ، كأن يظهر فى صورة مرض نفسى أو صورة أحلام رمزية أو فى صورة نشاط ظاهرى يختلف عن أصل الدافع وطبيعته الأولية

أما الدوافع الشعورية فهى تلك الخبرات والمشاعر والميول التى يفطن الفرد إلى وجودها ويدرك معناها ومغزاها وهدفها كدافع الجوع أو كرغبتك الأكيدة الصريحة فى إحراز النجاح

أما الدوافع اللاشعورية فتتكون فى الفرد منذ عهد الطفولة أو تتكون فى مرحلة الرشد . فالطفل يقع تحت ضغط والديه وضغط المجتمع الذى يضع من القيود ما يحول بين الطفل وتحقق رغباته . فالطفل يرغب فى الإستقلال بتصرفاته وفى نفس الوقت يرغب أن يحظى برضاء والديه وإزاء ذلك يستشعر صراعا قويا لا خلاص منه إلا عن طريق كبت دوافعه الغير مرغوب فيها ونسيانها حتى لا يسبب له تذكرها الشعور بالتوتر والألم والإحباط . ونحن الكبار نكبت كل ما يسبب لنا الضيق أو يؤذى ذواتنا الشاعرة وما يتنافى مع قيم المجتمع وأخلاقياته وينال من شعورنا بالإعتداد بأنفسنا ومن ذلك الرغبات العدوانيه والإنتقامية نحو من نحبهم من الناس أو الرغبات الشاذة أو المخزية ومشاعر الشك والارتياب فيمن نثق فيهم .

كل هذه الأمور المنسيه لا تموت ولكنها تعمل عملها فى الخفاء . وتحاول أن تظهر سافرة عارية ، ولكن وجود ضمير الفرد conscience يمنعها ، ولذلك فإنها لا تظهر إلا بصورة مقنعة ورمزية .

أما عندما يغفل الضمير أو يضعف فإنها تجد الفرصة سانحة للظهور ، ويبدو نشاطها فى حالة المرض الشديد أو التعب أو التخدير أو السكر أو النوم أو التنويم المغناطيسى حينئذ يفلت زمامها وتظهر سافرة .

من هذا نرى أن الإنسان لا تحركه دوافع شعورية وحسب ولكن هناك أيضا دوافع لا شعورية تكمن وراء كثير من الأنماط السلوكية التى يقوم بها الفرد . بل الواقع إننا يجب أن نكون على حذر دائما من قبول الدوافع الشعورية كمبدأ لتفسير السلوك إذ كثيرا ما يكون الدافع الشعورى للسلوك مجرد تمويه وتغطية وتبرير لدافع آخر حقيقى لا شعورى .

٤ — كيف تتكون الدوافع اللاشعورية

أما عن الكيفية التى تتكون بها الدوافع اللاشعورية فى الإنسان ، فإن الطفل يولد مزوداً بطائفة من الدوافع الجنسية والعدوانية والأنانية وبتقدمه فى العمر يلمس أن المجتمع لا يرضى عن الإشباع المباشر الصريح لمثل هذه الدوافع ، بل إن الوالدين والمجتمع بأسره يسعيان إلى تهذيب هذه الدوافع ، وضبطها وتوجيهها . ولذلك يأخذ الطفل فى ضبط هذه الدوافع وفى إخفائها أو كبتها وعندما يتقدم الطفل فى العمر ينمو ضميره وهو البديل عن السلطة الأبوية , ويصبح هذا الضمير بمثابة الرقيب الداخلى والسلطة الداخلية الذاتية الرادعة ويسعى الطفل لتجنب تأنيب الضمير ولذلك يطرد الدوافع والميول والرغبات العدوانية أو الرغبات الشاذة التى تخدش كبرياءه أو التى تظهره بمظهر غير لائق وتدفن فى منطقة اللاشعور . وبذلك يبعدها عن حظيرة الذات الشاعرة الواعية .

سبق أن قلنا إن كبت هذه الدوافع لا يعنى إنعدامها أو موتها . بل أنها تظل حية فعالة مؤثرة تعمل جاهدة على الظهور . وتحاول أن تعبر عن نفسها

فى شكل رمزى مقنع ، فيبدو ذلك فى فلتات اللسان ، وفى بعض مظاهر الفكاهة وفى أحلام النوم وأحلام اليقظة كما تظهر فى صورة أعراض لبعض الأمراض النفسية . والسبب فى عدم ظهورها بصورة صريحة هو أن الضمير أو الرقيب يمنع ظهورها بصورة مكشوفة صريحة ، ولذلك فى الحالات التى تضعف فيها سلطة الرقيب أو سلطانه ، كما هو الحال فى حالة التعب الشديد أو الإرهاق أو التخدير أو السكر أو التنويم المغناطيسى ... تظهر هذه الدوافع .

لقد كان الناس يظنون قبل فرويد أن الإنسان لا تحركه إلا دوافع شعورية ، فكان سلوك الإنسان يفسر على أساس هذه الدوافع أو على أساس العادة والتقليد والمحاكاة ولكن الفضل يرجع لفرويد فى لفت الأنظار نحو حقيقة هامة هى أن كثير من أفعالنا ترجع إلى دوافع لا شعورية ، بل أننا يجب أن نكون على حذر فى قبول الدافع الشعورى « الظاهرى » ما هو إلا مجرد تمويه وتغطية لدافع حقيقى آخر لا شعورى . فقد يكون الدافع الحقيقى وراء تبرع شخص ثرى للفقراء لا العطف والشفقة ولكن حب الشهرة ونيل المنافع الشخصية .

ويمكن تلخيص المظاهر التى تعبر بها الدوافع اللاشعورية عن نفسها فيما يلى :

(١) فلتات اللسان ، فقد ينطق الفرد بعكس ما يريد أن ينطق به .

(٢) زلات القلم وذلك حين يكتب الفرد كلمات لا يرغب كتابتها أو كلمات لها عكس المعنى الذى يرغب ظاهريا فى التعبير عنه .

(٣) نسيان تنفيذ المواعيد والأعمال ، كأن تنسى لمدة طويلة أن تلقى بالخطاب الذى كتبته لأحد أفراد أسرتك ، أو تنسى موعدا إتخذته لمقابلة شخص ما . وقد يكون ذلك لرغبة لا شعورية فى عدم رغبتك فى اللقاء به .

(٤) فقدان الأشياء أو ضياعها لأسباب لا شعورية كالرغبة فى التخلص من هذه الأشياء ، فقط يكون ضياع دبلة الخطوبة تعبيراً عن رغبة لا شعورية فى فسخ الخطوبة .

(٥) الرسوم والأشكال التى يرسمها الفرد لا شعوريا تعبيرا عن بعض رغبات أو دوافع لا شعورية ، كالرغبة فى الحماية والأمن أو الرغبة فى قتل شخص ما .

(٦) الأعمال القهرية التى يجد الفرد نفسه مضطرا للقيام بها رغم سخفها أو عدم أهميتها كأن يغسل يديه عشرات المرات يوميا أو كأن يهتم بعد أعمدة النور أو كأن يجد نفسه مضطرا لسرقة بعض الأشياء رغم إحساسه أن السرقة عمل مرذول .

ويتضح لنا إذن أن الدوافع اللاشعورية تظهر إما فى شكل أنماط سلوكية سوية كالهفوات أو فى شكل أمراض وإنحرافات نفسية كالسرقة القهرية Compulsive .

٥ — تفسير المدرسة السلوكية للسلوك

تتخذ المدرسة السلوكية Behaviourism فى علم النفس ، ومن أشهر أنصارها ثورنديك Thorndike موقفا مختلفا من مسألة دوافع السلوك ، فترى أن سلوك الكائن الحى لا يأتى نتيجة لدوافع داخلية بل نتيجة لمنبهات فيزيقية حسية ، فهى لا تسلم بوجود دوافع فطرية لدى الكائن الحى وإنما تفسر السلوك تفسيرا آليا ميكانيكيا . فهناك منبهات حسية وحركية تثير سلسلة من الأفعال المنعكسة لدى الكائن الحى . فالتأثير العضوى لحالة الجوع مثلا هو الذى يثير فى الكائن الحى حركات البحث عن الطعام . فالفعل الغريزى فى نظر السلوكية ما هو إلا سلسلة من الحركات الآلية العمياء التى تثير بعضها بعضا . وعلى ذلك مادامت المسألة آلية

فليست هناك حاجة إلى الشعور أو إلى إفتراض غاية يرمى اليها الكائن الحى أو إفتراض دافع يحركه نحو تحقيق هذه الغاية. وكل ما فى الأمر أن الموقف الخارجى يكون مزوداً بعامل أو مثير ينبه الكائن الحى ثم يسير هذا التنبيه فى الأعصاب الموردة إلى المخ ثم يرتد هذا التنبيه فى عصب مصـــدر إلى العضلات أو الغدد فتتحرك عضلات الكائن الحى أو تقوم غدده بالإفراز والنشاط . وبتكرار هـذه العملية تتقوى الروابط العصبية بين عضو الإحساس وبين الأعضاء التى تصـدر عنها الإستجابات [1]

وبذلك نرى أن المدرسة السلوكية تفسر السلوك تفسيراً عصبيا فسيولوجيا ومن أجل ذلك حملت السلوكية حملة شعواء على اصطلاح الغريزة ، حتى كاد أن يختفى من ميدان البحوث النفسية الأمريكية وذلك لأن أنصـــارها يرون أنه اصطلاح غامض ومضلل وغيبى وليس له كيان محسوس .

هذا بالنسبة للدوافع الفطرية الأولية . أما الدوافع الأخرى كدافع السلوك الإجتماعى فى الإنسان مثلا ، فإنهم يرون أن هذه الدوافع مشتقة من الحاجات الفسيولوجية العضوية البحتـــه ، ويتعلمها الإنسان عن طريق التعلم الشرطى . ومن أمثلة ذلك الحاجة إلى التقدير الاجتماعى ، والحاجـــة إلى الشعور بالأمن والاستقرار أو الحاجة إلى السيطرة . الخ .

---

(١) د. أحمد زكى صالح — علم النفس التربوى .

٦ ـ تفسير مدرسة الجشطالت للسلوك

هذا هو موقف المدرسة السلوكية من مشكلة تفسير السلوك ، أما مدرسة الجشطالت Gestalt school ومن أشهر علمائها كوفكا Koffka وكهلر Kohler فإنها ترفض بكل قوة التفسير الآلي الفسيولوجي العصبي للسلوك القائم على أساس الفعل المنعكس، ولكنهم لا يفسرون السلوك بالغرائز كما فعل فرويد ومكدوجل، فالغريزة عندهم ما هي إلا إستعداد عام للنشـــاط والحركة يولد الكائن الحي مزوداً به . وترى مدرسة الجشطالت أن الكائن الحي يعيش في وسط بيئة إجتماعية ومادية معينة وأن أي تغيير في عناصر هذه البيئة يسبب للكائن الحي الشعور بالقلق والتوتر ، ولا يزول هذا التوتر إلا إذا قام الكائن بنشاط معين . على أن هذه البيئة تختلف من فرد إلى آخر أو بعبارة أدق يختلف معناها من فرد لآخر بحسب حاجاته وميوله وحالته المزاجية وخبراته السابقة وحالته العضوية فالطعام لا يثير اللعاب إلا إذا كان الفرد جائعا ، كما أن قطعة العظم تعد مثيراً قويا لكلب جائع ولكنها لاتسبب إثارة للأرنب أو صغار الدجاج . وحتى بالنسبة لحياة الإنسان اليومية فإن العالم الخارجي بالرغم من أنه ملىء بالموضوعات الخارجية ولكن الإنسان لايستجيب إلا لبعضها ، فلو فرض أن طاف نجار ومهندس وعالم بشوارع العاصمة ومتاجرها فإن أشياء وموضوعات معينة سوف تثير انتباه النجار ولا تثير انتباه العالم ، وأخرى تثير انتباه المهندس ولاتثير النجار والعالم . كذلك فإذا قمت بهذه الجولة مع طفلك الصغير فإن موضوعات معينة سوف تسترعي انتباهه ولا تسترعي انتباهك أنت كاللعب والحلوى وملابس الأطفال .

وعلى ذلك يتضح لنا أن هناك فرقاً واضحا بين البيئة الجغرافية الواقعية وبين البيئة السلوكية للكائن الحي . فالبيئة الجغرافية هي البيئة الواقعية المـــادية التي توجد وجوداً مستقلا عن الكائن الحي . أما البيئـــة السلوكية فهي البيئة كما

يراها الفرد ويحس بها ويدركها ويستجيب لها . فالبيئة السلوكية هى البيئة كما يفهمها الفرد وبذلك فهى تختلف من فرد إلى فرد . على حين أن البيئة الجغرافية واحدة، فالبيئة الجغرافية لسكان مدينة القاهرة مثلا بيئة تكاد تكون واحدة بالنسبة لهم جميعا ، أما بيئتهم السلوكية فإنها تختلف بالنسبة لكل فرد منهم . فالبيئة السلوكية بالنسبة لموظف يعمل فى إحدى دواوين الحكومة بالقاهرة تختلف عن البيئة السلوكية لتاجر قاهرى أيضاً ، فالبيئة السلوكية بالنسبة لذلك الموظف تتلخص فى ذهابه إلى عمله ثم الانصراف لإنجاز عمله المكتبي اليومى ثم العودة إلى منزله . وقد يخرج فى المساء للتنزه بعض الوقت . أما البيئة السلوكية للتاجر فإنها تتضمن فتح متجره فى الصباح الباكر ثم استقبال العديد من زبائنه من مختلف الطوائف والطبقات ممن يتطلب التعامل معهم أنماطا سلوكية مختلفة وخبرات متنوعة . وإلى جانب هذا فإنه يقوم أيضاً بشراء السلع اللازمة لسد ماينقص من متجره . وهو فى نشاطه المتنوع هذا يسعى سعيا موصولا لجلب أكبر عدد ممكن من الزبائن وإكتساب رضائهم وثقتهم وفوق كل ذلك يسعى إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح وذلك بتلمس حركة الأسواق ومعرفة ظروف العرض والطلب بالنسبة لما يبيعه من سلع . وبالمثل فإن البيئة السلوكية للطفل تختلف عن البيئة السلوكية للراشد الكبير حتى وإن اتحدت بيئتها الجغرافية كذلك فإن البيئة السلوكية لفتاة مراهقة تختلف عن البيئة الجغرافية لأم لعدد من الأطفال. وتختلف البيئة السلوكية بإختلاف مستوى الذكاء ، فالبيئة السلوكية لفرد ضعيف الذكاء أضيق من بيئة الذكى وكذلك الشخص المصاب بعمى الألوان بيئته تختلف عن بيئة صاحب الإبصار السليم . وعلى ذلك نرى أن البيئة السلوكية تنشأ من تفاعل الفرد مع الظروف المحيطة به ، أو تفاعل مجموعة العوامل الداخلية النفسية والجسمية والعقلية مع مجموعة العوامل الخارجية المادية والاجتماعية .

وفى ضوء ذلك نرى أن السلوك يفسر على أساس البيئة السلوكية للفرد التى يطلق عليها أحيانا «المجال السلوكى Behavioural Field» أو «المجال السيكلوجى» وعندما يختل توازن المجال السلوكى يؤدى ذلك إلى شعور الكائن الحى بحالة من التوتر والقلق والانفعال. فإذا حقق الفرد غايته ونال هدفه وأشبع حاجته عاد إليه الشعور بالتوازن والهدوء. فالغرض إذن من السلوك هو إعادة التوازن للكائن الحى والإحتفاظ بحالة الإتزان وخفض حالة الشعور بالقلق والتوتر. فعندما أشعر بالجوع أحس بالقلق، وأظل أبحث عن الطعام حتى أناله وأشبع حاجتى منه فتهدأ نفسى وتعود حالة التوازن الجسمى والنفسى إلى.

وجملة القول أن الجشطالت ترى أنه لتفسير السلوك لابد من دراسة المجال السلوكى وما يوجد به من عناصر، وأن السلوك لا يفهم إلا فى ضوء المجال الذى يؤدى فيه ولا تحركه غرائز أو قوى حيوية كما ذهب أنصار مذهب الغرائز. كما أنه ليس نتيجة للعوامل والمنبهات الحسية الفسيولوجية كما ذهب السلوكيون. وإنما هو نتيجة للشعور بالتوتر الذى ينشأ من اختلال توازن المجال النفسى أو السلوكى. فدوافع السلوك فى نظر مدرسة الجشطالت ما هى إلا توترات تنشأ نتيجة لاختلال توازن عناصر المجال السلوكى، ويستهدف السلوك دائما إزالة هذا التوتر واستعادة حالة التوازن للكائن الحى. وعلى ذلك فتفاعل الفرد مع البيئة المادية والإجتماعية المحيطة به هو الذى يفسر السلوك، كما أن هذا التفاعل هو الذى يحدد نوع السلوك لأن للبيئة أثر كبير فى تحوير السلوك وفى توجيهه.

وأخيراً فإن السلوك يستهدف تحقيق غرض معين وقد يكون هذا الغرض واضحا أمام الفرد وقد يكون هدفاً لا شعورياً لا يعرفه الفرد.

ولعل عرض هذه النظريات يمكننا من فهم طبيعة دوافع السلوك فهما أكثر عمقا وشمولا ولكن ما هو الدافع نفسه؟

٧ — تعريف دوافع السلوك

يمكن تعريف الدافع Motive بأنه حالة داخلية أو استعداد داخلي فطرى أو مكتسب شعورى أو لا شعورى ، عضوى أو اجتماعى أو نفسى ، يثير السلوك ، ذهنيا كان أو حركيا ، ويوصله ويسهم فى توجيه إلى غاية شعورية أو لاشعورية . فمن الدوافع ما هو فطرى وما هو مكتسب ثم ما هو شعورى وما هو لا شعورى [١]

فالدافع الفطرى يمتاز بأنه عام ومشترك بين جميع أفراد النوع ، ومن أمثلة ذلك دافع الجوع ودافع الجنس ، ولكن هذا لا يمنع من وجود بعض الحالات الفردية الشاذة التى تنحرف عندها هذه الدوافع . فالدافع نحو الأمومة قد يضعف عند بعض الأمهات أو الدافع الجنسى عندما يتخذ شكلا شاذا عند بعض الرجال والنساء كما هو الحال فى حالات الشذوذ الجنسى مثل السادية Sadism أو المازوخية Masochism أو الاستمناء Masturbation .

وإلى جانب ذلك فإن الدافع الفطرى يمتاز بظهوره منذ الميلاد أو على الأقل فى سن مبكرة أى قبل أن يستفيد الفرد من الخبرة ومن أساليب التربية التى يقدمها له المنزل والمدرسة والمجتمع بأسره .

الدافع الفطرى لا يتكون بالإكتساب عن طريق الخبرة والتعلم ، فالطفل الصغير ليس فى حاجة إلى من يعلمه كيفية البكاء أو الصراخ أو كيف يقوم بعملية الإخراج أو كيف يمتص ثدى أمه .

ومن بين الدوافع المكتسبة العواطف والميول والإتجاهات والحاجات المكتسبة وهى دوافع مشتقة أصلا من الدوافع الفطرية الأولية ، وذلك بحكم تأثير المجتمع وما يفرضه من قيود على سلوك الفرد وما يمليه من تهذيب وتعديل

---

(١) راجع أصول علم النفس للدكتور أحمد عزت راجح .

على أنماط السلوك الفطرى الأولى وذلك حتى تتخذ شكلا مهذباً ومقبولا لدى المجتمع ويتم ذلك عن طريق عملية التنشئة الإجتماعية للطفل Sociaization وهى العملية التى بموجبها يكتسب الطفل الحساسية للدوافع الاجتماعية ولحياة الجماعة ولقيمها ومعاييرها ومثلها .

٨ — تصنيف دوافع السلوك

هناك تصنيف للدوافع يقسمها إلى دوافع إيجابية وأخرى سلبية فمن الدوافع السلبية الرغبة فى تجنب الألم أو المذاق الغير مستساغ ، أما الدوافع الإيجابية فإنها تدفع نحو الإقتراب من موضوع الإثارة مثل الرغبة فى تذوق الأشياء ذات المذاق الحلو . وأحيانا يكون للدافع الواحد جانبا إيجابيا وآخر سلبيا . فالشعور بالجوع يدفع صاحبه لتجنب الشعور بالألم الناتج عن حالة الجوع وفى نفس الوقت يسبب الشعور باللذة من التمتع بطعم الأكل وكما أن الدافع الواحد قد يسبب عدة أنماط من السلوك فإن السلوك المعين قد ينتج أيضا من مجموعة متداخلة من الدوافع ومن أمثلة السلوك الذى ينتج من عدة دوافع مجتمعة عملية التدخين ، فهو لإشباع رغبة فى التقليد والمشاركة الاجتماعية ورغبة فى القبول الإجتماعى ، والشعور داخلى بالنقص والرغبة فى تهدئة الأعصاب أو فى التركيز وغير ذلك من الدوافع .

ومن الدوافع الإجتماعية هناك الدافع نحو القبول الاجتماعى والدافع نحو السيطرة Dominance والدافع نحو الخضوع Submission وبطبيعة الحال هذه الدوافع الاجتماعية مكتسبة وليست فطرية وعلى ذلك فهى تختلف من مجتمع لآخر.

وإلى جانب الدوافع الفطرية والمكتسبة الشعورية واللاشعورية فهناك عوامل أخرى تدفع الإنسان نحو السلوك منها الاتجاهات والميول والعواطف .

الفصل الرابع

العاطفة كدافع للسلوك

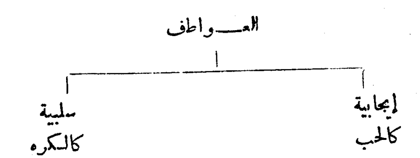
كثيراً ما نتحدث عن العاطفة كمحرك للفرد نحو القيام ببعض مظاهر السلوك فما هو المعنى المقصود بكلمة عاطفة ، وما مدى تأثيرها على سلوك الفرد ؟ .

يقصد بالعاطفة Sentiment بالمعنى الدارج الحب والشفقة ولكن لفظ العاطفة فى علم النفس له معنى واسع . فينطبق على عاطفة الكره ، والبغض ، والحقد ، والحسد ، وغير ذلك من العواطف السلبية . ولكن كيف تتأكد من وجود العاطفة ؟ .

تبدو العاطفة فى كثير من مظاهر السلوك العادى فمثلا عاطفة الحب تبدو مظاهرها السلوكية فى حالة الأم التى تحب أبنها أو الزوجة التى تحب زوجها .

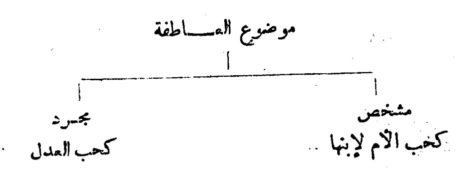
وجدير بالملاحظة أن سلوك الأم لا يقتصر على مجرد الشعور بالحب تجاه إبنها ولكنها أيضا تسر إذا رأته وتحزن إذا غاب عنها، وتخاف عليه إن تعرض للخطر وتغضب إذا وقع عليه عدوان ، وتفخر وتزهو به إذا حقق نجاحا، وتحس باليأس إذا فشل فى محاولاته ... ألخ .

أما عاطفة الكره فتبدو مظاهرها مثلا فى حالة التلميذ الذى يكره زميلا له فإنه يحزن لرؤيته ويتحاشى لقائه ويفرح إن تغيب ويسعد إذا أصابه سوء ويحزن إذا لحقه نجاح ويغتاظ إذا سمع ثناء زملاءه عليه ، ويسر إذا سمع من يهجوه ، وهكذا يتضح لنا إن العاطفة حبا كانت أم كرها - إستعداد وجدانى مركب وليس بسيطا ، تدفع صاحبها نحو الشعور بإنفعالات معينة وإلى الإتيان بأنواع معينة من السلوك نحو شخص معين أو نحو موضوع ما .



فحبك للوطن يدفعك للذود عنه ، وحب الأم لابنائها يدفعها للسهر على راحتهم ورعايتهم .

وفى هذا الصدد يلزم التمييز بين العاطفة وبين الإنفعال Emotion فالعاطفة تنظيم نفسى له صفة الدوام والثبات ، بينما الإنفعال، ما هو إلا خبرة نفسية طارئة كإنفعال الغضب الذى يحدث إذا أهين الفرد ، أو إنفعال الخوف الذى يتأتى إذا تعرضت حيـــاته للخطر ، وللعواطف موضوعات مختلفة فقد يكون موضوع العاطفة شخصا ما كالإبن أو الصديق وقد يكون جماعة من البشر كجماعة رفقاء النادى أو المدرسة أو الأسرة أو أبناء الوطن الواحد وقد يكون شيئا ما كحب الطفل للعبته أو لمنزله أو لمدرسته وكحب الرجل لسيارته أو لحديقته وقد يكون مزيجا من الأشياء والناس والقيم والمبادىء وذلك كعاطفة حب الوطن بما فيه من ناس وأشياء وما يوجد به من قيم وككره الأعداء وما ينتمى إليهم ، وقد يكون موضوع العاطفة معنى مجردا كحب العدالة والدفاع عن الحق وإحـــترام المبادىء الدينية والخلقية وحب العمل وتقديره وإحترامه وحب الواجب وكره الرذيلة والنفاق .



كيف تتكون العواطف

هذه هي طبيعة العواطف ، أما كيفية تكوينها فإن النمو العاطفي لدى الطفل يبدأ بتكوين اتجاهات عاطفية نحو الموضوعات المادية المحيطة به ثم بتقدم الطفل في العمر تتركز عواطفه نحو أمه نظراً لما تقدمه له من ضروب الحنان والعطف والاشباع . فهي مصدر لإشباع حاجته إلى الطعام والشراب والدفء والحنان . كما أنها مصدر لشعوره بالأمن وعدم الخوف . وبمرور الوقت تشمل عاطفته حب أبيه وإخوته وباقي أقاربه . فإذا ما ذهب إلى المدرسة دخلت موضوعات جديدة إلى دائرة اتجاهه العاطفي كالمواد الدراسية والمدرسين والأقران والأنداد ، وباقتراب الطفل من مرحلة النضج يصبح قادراً على تكوين عواطف نحو الموضوعات المعنوية المجردة كحب العدالة والأمانة والشجاعة وكره الغش والخداع والكذب والرياء . ويأتي تكوين مثل هذه العواطف متأخراً نسبياً بسبب ما تحتاجه من العواطف من نضج عقلي لكي يسمح الطفل بإدراك معاني مثل معنى العدالة والعفة والشجاعة والأمانة . ولا يتسنى له ذلك إلا إذا مر بخبرات ومواقف عملية يثبت له فيها قيمة هذه المبادئ وفوائدها . فلا بد أن يلمس الطفل في موقف أو مواقف عملية في حياته اليومية أن للعدالة قيمة عظيمة . فإذا ما وقع عليه عدوان مثلا ورأى أن مدرسته عاقبت المعتدى عقابا عادلا وردت له حقه . وإذا ما تكرر مثل هذا المعنى في حياته فانه يؤمن بقيمة العدالة ومن ثم تتكون لديه عاطفة حب العدالة ومناصرتها . وليست العواطف اتجاهات جامدة بل أنها نامية متطورة . فالطفل إذا نشأ على حب أبيه وتقبل سلطته نمت عنده هذه العاطفة وأصبح يقبل عن رضا كل مظاهر السلطة والقيادة في المجتمع الخارجي . أما إذا شب على كره أبيه والتمرد على سلطته إمتد هذا

الاتجاه إلى كره كل مظاهر السلطة فى المجتمع وأصبح متمردا على رؤسائه وزملائه . كذلك فإن تربية الطفل على حب الاسرة والولاء لها هى النواة الحقيقية لتكوين عاطفة حب الوطن بأسره ، وقل مثل هذه بالنسبة للقيم والمبادىء الخلقية والسلوكية ، لأن غرس هذه القيم مبكراً فى نفوس الأطفال مدعاة إلى نشأتهم نشأة إجتماعية صالحة . وعلى الجملة تمكن تصنيف العواطف إلى نوعين: —

(١) عواطف إيجابية تدفع صاحبها إلى التجاوب مع موضوعاتها والتلطف بها ومن ذلك عاطفة الحب والشفقة والحنو والولاء .

(٢) عواطف سلبية تدفع صاحبها إلى الإبتعاد عن موضوعاتها والنفور منها ، ومن أمثلة ذلك عاطفة الكره والحقد والحسد .

قلنا أن العاطفة تتكون من تكرار ارتباط مشاعر وإنفعالات معينة بمواقف أو أشخاص أو أشياء معينة ، فحب الزوج لزوجته يأتى من تكرار إرتباط الزوجة بمواقف تؤدى إلى شعور الزوج بالرضا والسعادة والاشباع ، فالزوجة هى التى تسهر على راحة زوجها وقضاء حاجاته وهى التى تنجب الأطفال له الذين يشبعون عنده عاطفة الأبوة ، وهى التى تشعره بالألفة وتشبع عنده الحاجة إلى الحياة مع غيره من بنى البشر . وكلما كانت فى تعاملها معه عطوفة حنونة كلما زادت عاطفة الحب نحوها وبالمثل تتكون عاطفة الكره نحو العدو مثلا وذلك نتيجة لإرتباط مشاعر الحزن والألم والقسوة به كنتيجة طبيعية لما يقوم به من أعمال عدوانية علينا .

وعاطفة حب الوطن تنمو بسبب مايؤديه الوطن للفرد من ضروب الاشباع ومشاعر الرضا والإطمئنان فالوطن هو الذى يوفر لك الحماية والأمن طوال مراحل حياتك ، من الطفولة إلى الشيخوخة وهو الذى يوفر لك العلاج والوقاية

والتعليم وهو الذى يتيح لك حرية التعبير عن ذاتك وحرية العمـــل والأقامة والعقيدة ، وهو الذى يشعرك بالكرامة والقوة والانتماء .

هذا هو النمط السائد والغالب فى تكوين العواطف إلا أن العاطفة أحيانا قد تتكون فجأة دون حاجة إلى تكرار المواقف أو الخبرات أو المشاعر . فحب الزوج لزوجته قد ينهار فجأة ويحل محله البغض والكراهية أثر اكتشافه خيانتها الزوجية مثلا . كذلك فإنك قد تحب شخصا أنقذ حياتك من موت محقق وتظل تحبه وتكن له التقدير طوال حياتك [illegible] يتكرر منه مثل هذا السلوك .

والعواطف بوجه عام [illegible] تأثيرا كبيرا فى سلوك الإنسان ، فعاطفة حب الأم لإبنها تدفعها إلى القيام بكثير من الأعمال والمناشط التى تكفل لإبنها السعادة والراحة ، فهى تكرس جهودها وطاقتها لراحتـــه وتسهر على تحقيق سعادته واستقراره حتى وإن كان ذلك على حساب التضحية بسعادتها هى . وهى إزاء كل هذا لاتحس بأنها تقوم بعبء ثقيل أو تستشعر بالغضاضة ، لأن سلوكها هذا يتمشى مع عاطفتها ومن ثم يجلب لها السعادة . فالعاطفة دافع قوى نحو السلوك . كذلك فان للعواطف تأثيرا كبيرا فى ثبات السلوك وفى التنبؤ به .

فبحكم ما يوجد لدينا من عواطف نستجيب استجابات ثابتة للمواقف المتشابهة فالشخص الذى يؤمن بالعدالة يسلك سلوكا واحدا معروفا كلما مر بموقف يتصل بعاطفة العدالة وهو فى ثباته هذا يختلف عن الشخص الذى لاتوجد عنده مثل هذه العاطفة . ونظرا لثبوت الإستجابة فإننا نستطيع إذا عرفنا عاطفة شخص ما نحو موضوع معين ، أن نتنبأ مقدما بسلوكه إزاء هذا الموضوع . فنحن نستطيع أن نتنبأ بسلوك الشخص الذى اكتسب عاطفة حب الأمانة أو الصـــدق أو الشجاعة الأدبية فى المواقف المقبلة التى تتصل بهذه العواطف .

فالعاطفة إذن من العوامل الهامة التى تنظم سلوك الفرد وتضمن له الاستقرار والثبـــات وبذلك تساعدنا معرفة عواطف الفرد على التنبؤ بنوع السلوك الذى يأتيه فى كثير من المواقف .

تحدثنا عن محاولات تفسير السلوك فى ضوء نظـــريات الغرائز ومذهب السلوكية ومدرسة الجشطلت وعن دور العاطفـــة فى السلوك ، أما التفسير الموضوعى Objective Interpretation of Behaviour للسلوك فهو الذى يتناول دوافع السلوك الخارجية والداخلية والظروف البيئية المحيطة بالكائن الحى التى تؤثر فى سلوكه . وهو التفسير الذى يتبعه العلماء فى دراسة السلوك فى الوقت الحاضر .

الفصل الخامس

التفسير الموضوعى للسلوك

التفسير فى العلوم التجريبية الحديثة Modern Experinmental Sciences يستهدف وصف الظاهرة ومعرفة الظروف التى تحدث الظاهرة فى ضوئها ، كذلك معرفة الأسباب أو العلل Causes المسئولة عن حدوث هذه الظاهرة فنحن نقول إن سبب انفجار البارود يرجع إلى عدة عوامل منها مرور شرارة مشتعلة عليه ، وجفاف البارود ، ووجود قدر من الهواء ، وتمدد الغازات التى تحدث نتيجة لإحتراق البارود ، وهكذا نفسر ظاهرة انفجار البارود . وقد نركز الاهتمام على أهم هذه العوامل وأقربها اتصالا بالظاهرة فنقول إن سبب انفجار البارود الشرارة المشتعلة . فالعلم يستهدف وصف الظاهرة وتحديدها وتفسيرها والتحكم فيها (١) .

ومن البديهى أن مجموعة من العوامل تتضافر فى أحداث ظاهرة ما ويندر أن يكون المسئول عن الظاهرة عامل واحد بعينه ، فقد يقال إن فلانا مات متأثراً بمرض الحمى ولكن الواقع إنه كان يعانى أيضا من حالات مرضية أخرى أو من حالة ضعف عام . وبالمثل فى تفسير السلوك الانسانى فى علم النفس فإن وراء كل سلوك عامل رئيسى يتضافر مع مجموعة أخرى من العوامل المساعدة .

فاذا أردنا تفسير ظاهرة سلوكية مثل انحراف شخص نحو الجريمة وارتكابه نوعا معينا من الجرائم ، فاننا فى الغالب سنجد أن المسئول عن انحرافه أكثر من عامل بعينه . فقد يدخل فى ذلك مستوى ذكائه واستعداداته الجسمية والعقلية وظروفه الأسرية ونوع جماعة الأقران أو الأنداد الذين يعاشرهم ، وفشله الدراسى

(١) د . أحمد عزت راجح ــ أصول علم النفس .

وقلة الرقابة الأسرية عليه وفرص العمل التى أتيحت له الخ .

وعلى الجملة نستطيع القول إن المسئول عن السلوك ، أيا كان ، مجموعة من العوامل الذاتية الداخلية فى الفرد ومجموعة العوامل الخارجية المتصلة بالبيئة المادية والاجتماعية التى يعيش فيها .

التفسير الموضوعى للسلوك

مجموعة العوامل الداخلية كالغرائز أو الدوافع	مجموعة العوامل الخارجية البيئية كوجود الطعام أو فرد من أفراد الجنس الآخر

سوف نتحدث فى باب التعلم عن تجارب «ثورنديك» على القطط ونذكر أن القط ظل يحاول فتح باب القفص حتى تمكن من فتح الباب والخروج من القفص والحصول على الطعام الذى وضعه المجرب خارج القفص . وسوف نرى إن سلوك القط وهو جائع يختلف عن سلوكه وهو شبعان . كذلك فإن سلوك القط قبل أن يتعلم طرق فتح باب القفص يختلف عنه بعد أن اكتسب هذه المهارة وإن سلوكه يختلف فى حالة وجود طعام خارج القفص عنه لو أن هذا الطعـــام حذف من الموقف التجريبى . فدوافع الكائن الحى واستعداداته وميوله تحدد نوع السلوك الذى يأتيه كما إن العوامل الخارجية البيئية تسهم فى حدوث السلوك وتحديد نوعه.

ومن العوامل الداخلية التى تحدد نوع السلوك والتى تكون بالتـــالى أساسا لتفسيره ما يلى : —

١ — التكوين الوراثى للكائن الحى ، فهـذا التكوين هو الذى يجعـل القط يحب السمك ويميل إليه ويسعى للحصول عليه ، بينما لا يعبأ بالتفاح مثلا .

٢ — الحالة الجسمية للكائن الحى ، كالجوع والعطش والألم وعوامل المرض والتعب والإرهاق أو غير ذلك تحـدد نوع السـلوك الذى يستطيع أن يقوم به الفرد ، فسلوك الشخص المريض يختلف عن سلوك السليم المعافى .

٣ — الحالة النفسية للفرد ، فسلوك الفرد الحزين يختلف عن سلوك الشخص السعيد ، كذلك سلوك الشخص القلق يختلف عن المستقر الهادىء ،ومن المعروف مثلا إن انفعال الغضب يعرقل قدرة الفرد على التفكير السليم .

٤ — الخبرة السابقة ، تساعد فى تحديد نوع السلوك الذى يمكن أن يقوم به الفرد فما يوجد لدى الفرد من مهارات ومعارف ومعتقدات يساعد فى معرفة نوع السلوك الذى سيسلكه فى المواقف المقبلة .

٥ — وضوح الغرض من السلوك فى ذهن الفرد، فكلما كان الهدف الذى يسعى إليه الفرد من وراء سلوكه واضحا كلما كان سلوكه أميل إلى النجاح ، ولكن غموض الهدف أو عدم وجود هدف على الإطلاق يجعل الفرد يتخبط ويسلك سلوكا عشوائيا .

أما العوامل الخارجية فتنحصر فى الظروف المادية والاجتماعية المحيطة بالفرد ، فهى التى تسقط على الفرد منبهات معينة تحدد سلوكه وتعدله ،فسلوك سكان المناطق الحارة يختلف عن سلوك سكان المناطق الباردة ، وسلوك سكان الصحارى يختلف عن سلوك سكان الحضر وسلوك سكان المناطق الزراعية يختلف عن سلوك المناطق الصناعية وهكذا . وسنرى إن الإنسان يضفى على بيئته المادية معانى خاصة وطبقا لهذه المعانى فانه يحدد سلوكه حيال البيئة .

والواقع إنه ينبغى ألا ننظر لسلوك الإنسان فى حد ذاته غافلين ما يحيط به من ملابسات وظروف بيولوجية ونفسية وإجتماعية ومادية . ينبغى النظر إلى كل ذلك لا فى ضوء الحاضر وحسب ولكن فى ضوء الماضى أيضا . فالشىء لايفهم إلا فى ضوء ظروفه وملابساته أى فى ضوء الكل الذى يحتويه ، فالسلوك إذا أخذ فى حد ذاته منعزلا عما يحيط به بدا سلوكه شاذ أو غريبا . أما إذ عرفت العوامل المحيطة به بدا سلوكا معتدلا ومعقولا . فقد نرى فى مكان هادىء شخصا يجرى أو يصيح وقد يبدو لك ذلك مستغربا حتى إذا

عرفت أنه يريد أن يلحق بالقطار أو أن ينقذ حياة شخص فى خطر ، بدأ لك سلوكه هذا معقولا وهادفا .

وعلى ذلك فينبغى أن تكون نظرتنا لسلوك الفرد نظرة شاملة وكلية تأخذ جميع الإعتبارات والعوامل فى الحسبان .

وقصارى القول فان هناك عدة مبادىء لابد أن تؤخذ فى الحسبان عند تفسير سلوك الفرد منها ما يلى :—

١) أن العوامل الراهنة لا تكفى وحدها لتفسير السلوك ،فلابد من معرفة الخبرات الماضية للفرد ، فالحاضر لايفهم إلا فى ضوء الماضى . بل أن الحاضر ليس إلا إمتداد للماضى ومن المعروف فى علم النفس أن ما يتلقاه الطفل فى طفولته الأولى يؤثر فى مراهقته وما يلقاه فى مراهقته يؤثر فى مرحلة الرشد والكبر .

٢) أن السلوك مهما كان بسيطا فهو محصلة التفاعل بين مجموعة للعوامل الداخلية والخارجية وليست الدوافع إلا أحد هذه العوامل لأن هناك عوامل أخرى تسهم فى تحديد السلوك ، فالطالب قد يكون لديه الدافع نحو الإستذكار ولكن عوامل أخرى كصحبة أقران السوء أو عدم القدرة على التركيز والإنتباه قد تحول بينه وبين تحقيق هذا الغرض .

٣) إننا فى تفسير السلوك قد نضطر إلى إفتراض قوى أو غرائز أو إستعدادات أو قدرات نفرض وجودها إفتراضا لتفسير السلوك تفسيرا علميا ، وإن كان ليس من الضرورى البرهنة على وجودها ككائنات مستقلة موجودة فى الكائن الحى . فقد تفسر التفوق الدراسى بالذكاء كما نفسر سعى الفرد للحصول على الطعام بالقول بغريزة التماس الطعام ولكن ليس ذلك إلا من قبل سهولة الوصف والتفسير ، إذ لا يوجد دليل على وجود الذكاء أو الغريزة إلا السلوك

نفسه الذى نفترض أنه يدل على الذكاء وهكذا فالذكاء والغرائز والقدرات كلها مفهومات إفتراضية تجريدية نحصل عليها بعملية تجريد لبعض أنماط من السلوك

ويمكن تلخيص موضوع دوافع السلوك على النحو الآتى :—

الدوافع عبارة عن حالة داخلية ، فسيولوجية أو نفسية تدفع الفرد نحو السلوك وتوجهه نحو غاية معينة ، فالدافع قوة محركة للسلوك وفى نفس الوقت موجهه له . فأنت تستذكر دروسك بدافع الرغبة فى النجاح أو التفوق وبدافع الإحساس بالواجب أو بدافع الحصول على مركز إجتماعى مرموق . وقد تكون جهودك فى الدراسة نتيجة لكل أو بعض هذه الدوافع .

والشخص الذى يسعى إلى كسب عيشه يكون الدافع من وراء ذلك هو التماس الشعور بالأمن أو التقدير الاجتماعى أو الدافع إلى السيطرة والظهور أو توكيد الذات أو توفير وسائل المعيشة لأبنائه .

يمكن تقسيم الدوافع إلى ما يلى : -

١) دوافع عضوية أو فسيولوجية كالجوع والعطش ثم هناك دوافع نفسية وإجتماعية كالحاجة إلى الامن وإلى التقدير الإجتماعى وتوكيد الذات وإلى الإنتماء إلى جماعة .

٢) وتقسم الدوافع أيضا إلى دوافع فطرية موروثة يولد الإنسان مزودا بها منذ الميلاد كالحاجة إلى الطعام والحاجة إلى النوم . وهناك دوافع مكتسبة كالعادات الثابتة مثل عادة التدخين .

٣) وتقسم الدوافع إلى دوافع أساسية أولية كالحاجة إلى الأمن ودوافع مشتقة . فالحاجة الى الأمن تولد الحاجة إلى الأدخار والحاجة إلى الإدخار تولد الحاجة إلى مضاعفة الجهد وهكذا .

٤) وهناك الدوافع العاملة المشتركة بين جميع أفراد الجنس البشرى مهما إختلفت بيئاتهم الإجتماعية أو المادية كالحاجة إلى الطعام وهناك الدوافع الفردية الخاصة بشخص معين مثل الميل إلى جمع طوابع البريد أو الرسم أو المصارعة .

٥) وهناك الدوافع الشعورية التى يشعر بوجودها الفرد وبالهدف الذى ترمى إليه كرغبتك فى النجاح أو رغبتك فى السفر لزيارة بلد معين . وهناك الدوافع اللاشعورية وهى التى لا يفطن الفرد إلى وجودها عنده ولا يحب أن يعترف بها ومن أمثلة ذلك الشعور الدفين بالنقص الذى قد يدفع البعض إلى الاتيان ببعض أنماط السلوك التى تؤكد ذاتهم وتشعرهم بقوة الشخصية .

وأخيرا فإن الدوافع تنمو فى الفرد نتيجة لنضجه العام ونتيجة للمران والعلم ولما يكتسبه من خبرات .

يتضح لنا من دراسة السلوك ودوافعه أن الدوافع تلعب دورا هاما فى حياة الكائن الحى وفى المحافظة على حياته وإستمرار بقاء النوع وفى تحقيق كثير من أهدافه . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يتضح لنا أن السلوك يمكن تعديله بعد معرفة دوافعه وظرفه وملابساته يمكن التحكم فى هذه الدوافع وضبط تلك العوامل وعلى ذلك فان السلوك يمكن ترقيته باستمرار وتوجيهه الوجهة السليمة التى ترضى الفرد وترضى المجتمع فى نفس الوقت .

اسئلة تطبيقية وتمرينات عملية

(١) قارن بين السلوك الفطرى والسلوك المكتسب مع ضرب أمثلة لكل منهما .
(٢) أعراض لنظرية مكدوجل فى تفسير السلوك وإنتقد هذه النظرية .
(٣) ماهى أهم الغرائز التى قال بها مكدوجل وما مظاهر كل منها .
(٤) قارن بين تفسير مكدوجل للسلوك وتفسير فرويد موضحا وجهة نظرك

(٥) قارن بين غريزتى الحياة والموت عند فرويد مع بيان بعض المظاهـــر السلوكية لكل منهما .

(٦) ماهو الدليل على أن هناك بعض الدوافع اللاشعورية التى تحرك سلوكنا ؟

(٧) كيف تتكون الدوافع اللاشعورية فى الطفل ؟

(٨) كيف فسرت المدرسة السلوكية السلوك وما هى الانتقادات التى توجه إلى هذا التفسير ؟

(٩) قارن بين تفسير مدرسة الجشطالت والمدرسة السلوكية للسلوك موضحا وجهة نظرك .

(١٠) قارن بين البيئة الجغرافية والبيئة السلوكية مع الإستعانة بضرب الأمثلة ؟

(١١) كيف يمكنك تصنيف دوافع السلوك ؟

(١٢) عرف العاطفة بمفهومنا الواسع المستخدم فى علم النفس وأضرب أمثلة لبعض العواطف .

(١٣) تتبع الخطوات التى يمر بها تكوين عاطفة ما .

(١٤) « قد يكون موضوع العاطفة شيئـــا أو شخصا أو فكرة » إشرح هذه العبـارة .

(١٥) « تلعب العاطفة دورا هاما فى تحـــديد السلوك وتوجيهه » ناقش هذه العبارة .

(١٦) ما الذى نقصده بالتفسير العلمى الموضوعى للسلوك ؟

(١٧) يقال إن المسئول عن السلوك هو مجموعة العوامل الداخلية والخارجية أشرح هذ العبارة مدعما إجابتك بالأمثلة .

الفصل السادس

أهمية دراسة النمو

لدراسة مراحل النمو Developmental Stages أهمية بالغة بالنسبة للمشتغلين بكثير من ميادين العلم المختلفة , فمعرفة خصائص نمو الطفل والمراهق والراشد والشيخ الكبير تفيد الطبيب والإخصائى النفسى والإخصائى الإجتماعى والمعلم والقادة وزعماء الاصلاح الاجتماعى والسياسى والدينى ، كما يفيد منها على وجه الخصوص الآباء والامهات ، وذلك لأن معرفة طبيعة المرحلة التى يمر بها الفرد، طفلا كان أم مراهقا أم راشدا ، تساعد على توجيهه الوجهة السليمه التى ينبغى أن يسير فيها لكى يصبح مواطنا صالحا متكيفا مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه

وإذا كانت معرفة خصائص النمو فى جميع مراحل الحياة المختلفة هامة فان معرفة تلك الخصائص فى مرحلة الطفولة .Childhood بالذات تعد أكثر أهمية ذلك لأن مرحلة الطفولة هى المرحلة التى يتكون فيها بذور شخصية الفرد ويتحدد إطارها العام وهى التى يتكون خلالها ضميره الواعى وذلك لأن الطفل يكون فى طور التكوين والاكتساب ، كما أن عقله يتصف بالمرونة وتقبل الأتجاهات الجديدة ، ولذلك تنطبع فيها الخبرات التى يمر بها الطفل وتظل ثابتة إلى حد كبير طوال مراحل حياته المقبلة وعلى وجه التحديد تفيد دراسة مراحل النمو فى وضع المعايير والمقاييس التى يعرف بواسطتها مدى تقدم الطفل أو تأخره فى أى ناحية من نواحى النمو , فاذا دلتنا دراسة مراحل النمو اللغوى مثلا أن طفل الثالثة المتوسط يستطيع أن يكون جملا مفيدة ، نستطيع أن نعرف اذا كان طفلا معينا ينمو فى هذه القدرة ، نموا طبيعيا أو شاذا ، سواء كان نموه أسرع من المتوسط أم أبطأ منه ، وبذلك نستطيع بناء على هذا التشخيص أن

نضع وسائل العلاج اللازم ، إذا كان النمو متأخرا ، وأن نضع الخطط التى تفيد فى تربية الطفل إذا كان نموه سريعا ، وقس على ذلك فى جميع مظاهر النمو الجسمى والحركى والعقلى والإجتماعى والانفعالى ، ولا شك أن معرفة خصائص النمو وسرعته تساعدنا فى التشخيص والعلاج وفى رسم الخطط والبرامج للافادة من مواهب المتفوقين من التلاميذ .

وإلى جانب هذا فان دراسة مراحل النمو تساعدنا فى معرفة تأثير البيئة على مظاهر النمو المختلفة ، وذلك بمقارنة الطفل البـــدائى بالطفل الحضرى أو طفل المدينة وطفل القرية وطفل الطبقات الاجتماعية المتوســـطة والطبقات العليا والدنيا ويساعدنا هذا فى معرفة البيئة المثالية لنمو الطفل ومن ثم نعمـــل على توفيرها ، ولذلك لا تقتصر دراسة النمو على معرفة خصائص النمو الطبيعى الجسمى والعقلى والنفسى ، ولكنها تهتم أيضا بمعرفة أثر العوامل البيئية المختلفة كالتغذية أو التربية ، وكذلك أثر العوامل الوراثية كإفرازات الغدد والجهاز العصبى فى سرعة النمو وإتجاهاته .

ويمكن تلخيص أهمية دراسة النمو فيما يلى :

(١) أهداف تربوية ، Educational Aims حيث أن معرفة خصائص النمو فى كل مرحلة تساعد على توفير أنواع النشاط الجسمى والعقلى والإجتماعى التى تتناسب وقدرات الفرد ، وعلى ذلك فلا يعقل ن تطلب من طفل السادسة ما تطلبه من الراشد الكبير ، ذلك لأن تكليف الطفل القيام باعبـــاء تفوق قدراته الطبيعية من شأنه أن يشعره بالفشـــل والاحباط Frustration ويولد عنده الشعور باليأس والنقص Inferiority . وبالمثل فاذا عرفنا أن من خصائص النمو مرحلة المراهقة مثلا ميـل المراهقين نحو النشـاط التعـــاونى

والعمل الجماعى ، فإننا نسعى لتوفير مثل هـذه الأنشطة فى المـدارس والأندية وجماعات الـكشافة والشبيبة وفى الأسرة وغير ذلك من المجالات .

(٢) أهداف علاجية Therapeutic Aims تنتج عن معرفتنا بالميول الطبيعية والنزعات الشاذة فى كل مرحلة ، فمن المعروف أن ما هو طبيعى فى مرحلة قد يعد شاذا فى مرحلة أخرى ، فالطفل إذا تبول تبولا لا إراديا فى عامه الأول لا يعد ذلك شذوذا ومن ثم لايدعو إلى شعور الآباء بالقلق ، أما إذا استمر الطفل فى ذلك حتى سن السادسة مثلا اعتبر ذلك غير طبيعى ، ووجه أنظارنا إلى ضرورة توفير العناية اللازمة للطفل لمساعدته للتخلص من مثل هذه العادة وغنى عن البيان أن المعرفة بجميع العوامل التى تؤثر فى سلامة النمو وسرعته تفيـــد فى الوقاية من الإصابة بكثير من الإضطرابات كما تفيد فى تقديم العلاج Therapy .

(٣) أهداف علمية بحته ، حيث تفيدنا دراسة مراحل النمو المختلفة فى معرفة الصفات الوراثية Inherited characteristics التى يولد الفرد مزودا بها وتلك الصفات المـكتسبة من البيئة ، ونحن نحصل على مثل هذه المعرفـــة عن طريق مقارنة أطفال من بيئات مختلفة وأجناس مختلفة ومن أعمار مختلفة ، فما يوجـد عند جميع الأطفال الذين ينحدرون من بيئات اجتماعية وجغرافيـة مختلفـة فهو وراثى فطرى ، وما يوجد عند أبناء بعض البيئات ولايوجد عند غيرهم فلا شك أنه مـكتسب Acquired بالخبرة والتعلم . وعلى هذا النحو يمـكن تحديد الصفات الوراثية والصفات المكتسبة . وعن هذا الطريق أيضا يمـكن تحديد الأعمار التى تظهر وتنضج فيها قدرات الطفل الحركية والعقلية المختلفة .

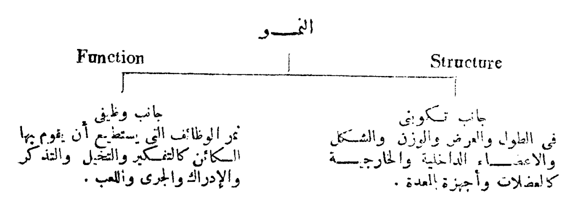
(١) النمو : تعريفه وخصائصه

والآن يجدر بنا أن نتسائل ... ما هو إذن معنى النمو ؟

نحن نعرف من مجرد الملاحظة العابرة أننا نرى الطفل رضيعا ثم نراه طفلا ثم صبيا مراهقا ثم رجلا ناضجا ثم شيخا كبيرا ، وهكذا ... ويعنى ذلك أن النمو سلسلة متتابعة من التغيرات التى تسير نحو اكتمال النضج ، فهو إذن ظاهرة طبيعية وعملية مستمرة تسير بالكائن الحى نحو النضج . ومن أبرز خصائص هذا النمو أنه لايحدث فجأة ، أى أن الإنتقال من مرحلة إلى أخرى لا يحدث فجأة وإنما يتم تدريجيا ، فالطفل لا يصبح مراهقا بين يوم وليلة ، ولكنه لا ينتقل من الطفولة إلى المراهقة إنتقالا تدريجيا كما أنه لاينتقل من المراهقة إلى مرحلة الرشد إنتقالا مفاجئا وإنما يتم الانتقال تدريجيا .

Development = a sequence of continuous change in a system extending over a considerable time.

ونحن نلاحظ أن النمو يحدث فى جانبين . جانب تكوينى حيث ينمو الفرد طوله وعرضه ووزنه وشكله الخارجى ، كما ينمو نموا تكوينيا أيضا ولكنه نمو داخلى فى أعضائه ، أما الجانب الآخر فهو الجانب الوظيفى ونقصد به نمو الوظائف الجسمية والعضلية والعقلية والاجتماعية ، فالطفل ينمو تفكيره وإحساسه وإدراكه وخياله كما تنمو قدرته اللغوية وسلوكه الإجتماعى ، وذلك طوال انتقاله من مرحلة إلى أخرى .



ونحن نلاحظ أن نمو الفرد قد يكون نموا طبيعيا أى سريعا أو بطيئا ، كما أنه قد يكون نموا فى الاتجاه المنحرف ، فقد تنمو اتجاهات الطفل الاجتماعية نحو اكتساب الأصدقاء الأسوياء وقد تنمو نحو صحبة أقران السوء والأشرار .

ومن الخصائص الأساسية فى عملية النمو أيضا أنه يسير من العام إلى الخاص ، أو من الكلى إلى الجزئى ، فحركات الطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة تكون حركات كلية وعشوائية وإجمالية بحيث لايقوم بها أعضاء متخصصة من جسمه بل يقوم بها كل جسمه تقريبا ولكن بمرور الزمن تأخذ هذه الحركات فى التخصص والإنتظام . واستجابات الطفل تسير من العام إلى الخاص أو من الكلى إلى الجزئى. والطفل عندما يحاول أن يتعلم مهارة الكتابة فإننا نلاحظ أنه يكتب بكل ذراعه، بل ويحرك كل جسمه ، وقد يخرج لسانه ، ويظهر التحمس والإنفعال واضحا على تعبيرات وجهه .

وتتصل بهذه الخاصية خاصية أخرى هى أن النمو يسير نحو التكامل والتآزر والتناسق والتعاون بين الاستجابات المختلفة ، حيث تتعاون عضلات الجسم فى أداء الوظائف المختلفة ، فاليد تتآزر فى حركاتها مع العين ، والقدمان تتعاونان مع اليدين كما يحدث مثلا فى حالة إتقان مهارة ركوب الدراجات ، أو كما يحدث فى عملية السباحة ولعب الكرة والرسم وغير ذلك من الأنشطة .

من الحقائق الأساسية أيضا فى عملية النمو أنه لا يسير فى النواحى المختلفة بمعدل واحد خلال مراحل النمو المختلفة ، فمن المعروف أن النمو يسير بمعدل سريع فى مرحلة الصغر ثم تقل سرعته تدريجيا بالتقدم فى العمر حتى يصل الفرد إلى مرحلة الشيخوخة فتبدأ حيويته فى التناقص ، وينطبق هذا المبدأ على النمو العقلى والنمو الجسمى أيضا ، فمثلا وزن الطفل عند ولادته يكون فى المتوسط حوالى سبعة أرطال ، وعندما يصبح سنه ستة شهور يرتفع وزنه إلى نحو خمسة عشر

رطلا . وعندما يصل الطفل إكتمال عامه الأول يصبـــح وزنه ٢٢ رطلا وفى سن ١٨ شهرا يصل وزنه إلى حوالى ٣٠ رطلا . ويعنى ذلك أنه أصبح يزن أربعة أمثال وزنه عند الميلاد فى مدة مداها ١٨ شهراً ، ومعدل السرعة هذا لا يحدث فى أى مرحلة من مراحل النمو اللاحقة .

كذلك من الحقائق الأساسية المعروفة عن عملية النمو أن لكل فرد سرعته الخاصة ، ولذلك يوجد فروق فردية واســـعة بين الأفراد فى سرعة قدراتهم ومستوى نضجها ، فقد يتأخر وصول الطفل إلى مرحلة معينة ولكن هذا يجب ألا يسبب شعور الأم بالقلق لأنه سيصل حتما إلى هذه المرحله ، ولكن وفقا لمعدل سرعته هو .

ولذلك فنحن نلاحظ أن جميع الأطفال لا يبدأون المشى أو الكلام فى سن واحدة ذلك لأن لكل منهم معدل السرعة الخاص به حسب تكوينه البيولوجى ، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك الطفل المتوسط الذى يسير مع غالبية أطفال سنة. كذلك فان هذا لا يمنع من أن غالبية الأطفال الأسوياء لا بد وأن يمروا بمراحل النمو المختلفة ، فالمفروض أن غالبية الأطفال يصلون إلى مرحله البلوغ فى السن التى تتراوح بين تسع سنوات ، ١٤ سنة .

وأخيرا فإنه من الحقائق المعروفة عن النمو أيضا أن نمو البنات يسبق نمو البنين بنحو سنة أو سنتين ، فنحن نلاحظ أن البنات يصلن إلى مرحلة المراهقة فى سن مبكرة عن البنين بنحو عامين وهـــذا هو الحـــال فيما يتعلق بالنمو الجسمى عامة .

ويلاحظ أنه من الخصائص الأساسية لعملية النمو أنها عملية داخلية وكلية بمعنى أنها تحدث داخل الكائن الحى نفسه أى أن الكائن الحى هو نفسه مصدر نموه كما إن النمو كلى بمعنى أنه يحدث فى جميـــع النواحى الجسمية والعقليـــة

والنفسية والاجتماعية على حد سواء . والنمو عبارة عن وحدة مستمرة ومتصله يتأثر فيها النمو فى المرحلة الراهنة بالنمو فى المراحل السابقة ، كما أن مظاهر النمو الحالى تؤثر فى مظاهر النمو فى المراحل المقبلة فالنمو يتأثر بالمراحل السابقة ويؤثر فى المراحل اللاحقة . ولقد دلت التجارب على أن عملية النمو ليست عملية تلقائية ثابتة ولذلك يجدر بنا أن نتساءل عن العوامل التى تؤثر فى سير عملية النمو .

٣ ـ العوامل التى تؤثر فى النمو

يتأثر نمو الفرد بمجموعة مختلفة من العوامل من أهمها ما يلى :

١ — العوامل الفطرية أو الوراثية التى تنتقل إليه من آبائه وأجداده والسلالة التى ينحدر منها كالمورثات أو الصفات الوراثية Genes التى تحدد صفاته الأساسية مثل طول القامة ولون البشرة وشكل الشعر والعينين .

٢ — التكوين العضوى للفرد ووظائف الأعضاء الداخلية كالغدد الصماء Ductless glands التى تفرز هرمونات Hormones تؤثر على سرعة النمو .

٣ — البيئة الاجتماعية ومايوجد بها من مؤثرات وما تتيح للفرد من فرص التعليم واكتساب الخبرات وتنمية مهاراته وقدراته واستعداداته ، وعلاقة الطفل بأمه وأبيه ثم علاقته بإخوته وبأخواته فى المدرسه والنادى وأخيراً علاقته بزملاء العمل . كل ذلك يؤثر على إتجاه نموه وسرعته . والغذاء حيث يؤثر فى بناء خلايا الجسم ويعوضه عما فقده من طاقة وأنسجة نتيجة لقيام الكائن الحى بالأنشطة المختلفة .

محددات النمو

مجموعة العوامل الوراثية	مجموعة العوامل البيئة
كالتكوين الجسمى	كالتغذية
والجهاز العصبي والجهاز	والتربية
الغدى ... الخ.	والتعليم ... الخ.

ويلاحظ أن العلاقة بين العوامل البيئية والعوامل الوراثية علاقة تفاعل وتأثير متبادل Interaction فالوراثة تعطى المواد الخام على شكل استعدادات وقدرات فطرية ، والبيئة تتناول هذه الاستعدادات بالتنمية والتطوير والتعديل بحيث تعطيها شكلها النهائى . فالظروف الاجتماعية والتربوية التى تتوفر للطفل هى التى تسمح لذكائه مثلا بالظهور أو الذبول . وهى التى تتيح للطفل أن يستخدم ذكاءه فى النشاط الإيجابى والبناء ، أما إذا لم تكن هذه الظروف مواتية فإنها تطمس ذكاءه ، وقد يستغله فى الجريمة والانحراف .

ولقد دار جدال طويل بين علماء النفس حول أثر كل من البيئة والوراثة ، فنهم من يؤيد أثر الوراثة فى تكوين الشخصية ، ومنهم من يناصر أثر العوامل البيئة ولكل فريق حججه وبراهينه ، ولكن لم يتمكن أحد من الفريقين من إنكار أثر أى من العامل كلية وإثبات أثر العامل الآخر ، وعلى ذلك بات من المقرر الاعتراف بأثر كل من العاملين : الوراثة والبيئه بيد أن تحديد الأثر النسبي لكل من الوراثة والبيئة خلق جدالا آخر ، وأصبح من الواضح أن الأثر النسبى لكل من الوراثة والبيئة أمر يصعب تحديده ، نظراً لتفاعل العوامل البيئية مع العوامل الوراثية منذ ميلاد الطفل ، بل حتى فى مرحلة ما قبل الميلاد . فالجنين فى بطن أمه يتأثر نموه بما يقع على الأم من مؤثرات كالمرض الطويل أو الاضطرابات النفسية ،

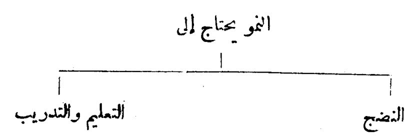
وسوء التغذية كما أنه يتأثر بما يقع للأم من حوادث وبما يتعرض له الجنين من صعوبات أو تعسر أثناء الوضع نفسه . فمسألة أيهما أكثر تأثيراً فى نمو الفرد ، البيئة أم الوراثة مسألة صعبة جداً .

ولكن مع الإعتراف بصعوبة فصل أثر العوامل الوراثية عن العوامل البيئية إلا إننا نستطيع أن نلمس أثراً قويا للعوامل الوراثية فى صفات معينة كطول القامة ولون البشرة والعينين وشكل الشعر . أما البيئة فيظهر أثرها أكثر فى الصفات الخلقية والاتجاهات والميول والعادات . وعلى كل حال يميل علماء التربية ورجال الإصلاح الإجتماعى فى العصر الحديث إلى الاهتمام بالعوامل البيئية ، ذلك لأنهم يستطيعون تناولها بالتعديل والتقويم ، فنحن نستطيع أن نتحكم فى تغذية الطفل ، وفى توفير فرص التعليم ، بالكم والكيف المناسبين له ، وتوفير الجو الأسرى الملائم للنمو الطبيعى ، ولكن الاعتماد على الوراثة فى السلوك يغلق الباب أمام مجالات الإصلاح والعلاج والتنمية الصحيحة بجميع مظاهرها الشخصية والإنسانية .

٣ ـ العلاقة بين النضج والتدريب

والآن ينبغى أن نتساءل عن الأمور التى يحتاجها الفرد لكى ينمو نمواً سليما . يحتاج النمو إلى نضج العضلات وأعضاء الجسم المختلفة بحيث تصبح هذه العضلات وتلك الأعضاء قادرة على أداء عملها . فالطفل الرضيع لا تسمح له عضلات ساقية وعظامه بالمشى ، كما لا تستطيع يداه القبض على الأشياء الصغيرة الدقيقة ولكن بمرور الوقت تنضج هذه العلات وتصبح قادرة على أداء وظائفها ، ولكنها لا تستطيع أن تؤدى عملها من تلقاء نفسها إذ لابد أيضا أن يتوفر عامل التعليم والتدريب والمران . فالطفل إذا تربى فى وسط حيوانات الغابة شب يسير على أربع

وعجز عن المشى على قدميه كما يعجز عن استخدام اللغة التى يستخدمها الإنسان . وعلى ذلك فالنمو يحتاج إلى المران والتدريب بحيث تصبح استعدادات الفرد قادرة على القيام بوظائفها.



ولكن هل يمكن لنا أن ندرب الطفل على أداء أى وظيفة فى أى سن ؟ . بالطبع لا يمكن أن نطالب الطفل بالتدريب على أداء عمل معين قبل أن ينضج النضج الكافى ، فمن العبث مثلا محاولة تدريب طفل الرابعة على حل معادلات رياضية أو الكتابة على الآلة الكاتبة ، إذ لابد أن تصل أجهزة الجسم إلى حالة من النضج Maturation تسمح لنا بتدريب الطفل دون أن نلحق به أى ضرر .

ولقد أجرى بعض العلماء بعض التجارب للتحقيق من العلاقة بين النضج والتدريب ومن أشهر هذه التجارب تجربة « جزل A. Gesell » التى أجراها على توأمين عمرهما ٤٦ أسبوعا .

أعطى « جزل » التوأم (أ) تمرينا منتظما على اللعب بالمكعبات وتسلق درج السلم لمدة ٦ أسابيع بمعدل ٢٠ دقيقة فى اليوم ، وترك التوأم (ب) بدون أى تمرينات ، وعندما أصبح عمرهما ٥٢ أسبوعا وجد أن قدرتهما متساوية فى اللعب بالمكعبات ، أما فى تسلق درج السلم فكان الطفل (ب) فى حاجة إلى بعض المساعدة ، فأعطاه تمرينا لمدة أسبوعين فقط . وقاس قدرتهما معا فوجد أنهما متساويان فى تسلق درج السلم .

ومعنى هذا أن التدريب الذى تلقاه التوأم (أ) وهو فى سن مبكرة لم يستفد منه كثيراً ، حيث أنه (ب) استطاع أن يستفيد فى اكتساب نفس الدرجة من المهارة فى مدة أسبوعين فقط عندما بدأ فى تلقى تدريباته بعد أن توفر له مزيد من النضج فى العضلات .

فالتدريب يجب إلا نبدأ به إلا بعد وصول الطفل إلى مرحلة كافية من النضج العقلى والعضلى . ولكن ينبغى إلا نهمل فى تقديم التعليم للطفل حتى سن متأخرة بل يجب أن يتوفر له الفرص بمجرد نضج عضلاته وإستعداداته بحيث تحقق الاستفادة من قدراته الطبيعية بمجرد اكتمال نضجها .

الفصل السابع

مراحل النمو

يقسم علماء الحياة دور حياة الفرد ، من اللحظة الأولى التى يتم فيها التقاء الحيوان المنوى Male gamete مع البويضة egg ، وحدوث الأخصاب Fertilization حتى مرحلة الرشد وإكتمال النضج إلى مراحل مختلفة ، تمتاز كل مرحلة بخصائص معينة ، ولكن ليس هناك تقسيم واحد ، إذ الواقع أن هناك كثيرا من التقسيمات التى تختلف باختلاف العلماء وباختلاف الأساس الذى يتخذه العالم لتقسيمه وتقسيم علماء الحياة لطور الحياة يقوم على أساس عضوى جسمى .

ويقصد بالمرحلة فترة من عمر الفرد يمتاز فيها بالاتصاف بمجموعة معينة من الصفات ، ومن أمثلة التقسيمات الأخرى تقسيم ستانلى هول S. Hall صاحب « النظرية التلخيصية » التى ترى أن الطفل فى خلال تطوره يمثل تطور الجنس البشرى كله فيمر بمراحل تشبه تطور مراحل البشرية ذاتها من الانسان الأول حتى العصور الحديثة :

(١) المرحلة الأولى تمتد من الميلاد حتى سن الخامسة وفى هذه المرحلة يتركز إهتمام الطفل فى إشبـاع مطالب جسمه ، كالأكل والشرب والإخراج واللبس ، وتمثل هذه المرحلة حياة الإنسان الأول الذى كان يهتم ، فى المحل الأول ، بالمحافظة على حياته ضد أخطار الطبيعة .

(٢) المرحلة الثانية وتمتد من سن أربع سنوات إلى سن الثانية عشرة وتمتاز بازدياد النشاط الحركى لدى الطفل وبذلك ترى الطفل يميل إلى اللعب والصيد والقنص وتسلق الإشجار وغير ذلك من المناشط الحركية .

وتشبه هذه المرحلة حياة الإنسان فى مرحلة القنص والصيد وإرتياد الغابات والاماكن المجهولة الأخرى .

٣ - المرحلة الثالثة وتمتد من ٩ سنوات إلى ١٤ سنة، ويظهر خلالها نزعات حب التملك وإقتناء الأشياء ، كجمع الطوابع البريدية والقواقع وورد القز وتشبه هذه المرحلة تلك المرحلة التى بدأ فيها الإنسان بناء المساكن وإستئناس الحيوان وتربيته

(٤) المرحلة الرابعة وتمتـــد من سن ١٢ إلى سن ١٩ عاما ، ويبدو لدى الفرد فيها اهتمامه بمناشط فلاحة البساتين والإهتمام بالأحــــوال الجوية . تماثل هذه المرحلة الرابعة من حياة الإنسان ، تلك التى بدأ فيها الانسان فى إدراك أهمية إستغلال الأراضى وزراعة المحاصيل ، ومن ثم الاهتمام بالأحوال الجوية وإستغلال مياه الأمطار .

(٥) المرحلة الخامسة وتبدأ من سن ١٨ سنة فأكثر ، ويمتاز سلوك الفرد فيها بالرغبة فى التعامل مع الغير والأخذ والعطاء والبيع والشراء ، وتماثل هذه المرحلة التى بدأ فيها الانسان الاهتمام بالنشاط التجارى بعد أن تبين له ضرورة عدم الأكتفاء بالنشاط الزراعى .

ويلاحظ على هذه النظرية التكلف وإخضاع مظاهر نمو الطفل لتطور البشرية عامة . وقد إثبتت الأبحاث عدم صحة هذة النظرية فالطفل فى تطـــوره من مرحلة إلى أخرى لا يكرر حياة البشرية عامة ، تلك التى تأثرت بعوامل متعددة مناخية وجغرافية وتاريخية :

وهناك حقيقة هامة سبقت الأشارة اليها وهى أن عمليـة النمو عملية متصـلة ومتدرجة فالطفل ينتقل من مرحلة إلى المرحلة التى تليهـا بالتدريج وليس على شكل إنتقال فجائى وطفرى ، كما أن النمو يسير فى خطوات متتالية متعاقبـــة ومنتظمة. فالطفل الرضيع لا يصبح مراهقا قبل أن يمر بمرحلة الطفولة ، وكذلك

فان الطفل الصغير يتعلم كيف يحبو قبل أن يصبح قادرا على المشى ، كما أنه يتعلم لغة الكلام قبل أن يتعلم لغة الكتابة .

ورغم أنه لكل مرحلة من مراحل النمو خصائصها وسماتها إلا أن هذه المراحل لا تنفصل بعضها عن بعض إنفصالا مطلقا ، فالحدود بين مراحل النمو ليست حدودا فاصلة قاطعة ، وإنما يوجد دائما كثير من مظاهر التداخل بين مظاهر المرحلة الحالية والمراحل السابقة واللاحقة .

ورغم كل ذلك فإن ظاهرة النمو تقسم إلى مراحل معينة وذلك بقصد سهولة الوصف والتحليل ولتيسير عملية البحث والدراسة ، ويشبه ذلك تقسيم السنة إلى فصول معينة ، ويحدد لكل فصل بداية ونهاية كما يحدد لكل فصل خصائص معينة إلا أن هذه الخصائص متداخلة ، فخصائص الصيف مثلا لا تختفى بين ضحية وعشاها ليحل محلها خصائص فصل الخريف .

وإلى جانب ذلك فان تقسيم النمو إلى مراحل ليس تقسيما مطلقا أو ثابتا بل أنه يختلف باختلاف العلماء وإختلاف الأساس الذى يتخذ للتقسيم فقد يقوم التقسيم على أساس عضوى جسمى أو على أساس نفسى أو إجتماعى أو تربوى وهكذا .

اسس تقسيم النمو الى مراحل :

(٢) تقسيم مراحل النمو أحيانا على أساس نمو بعض الغدد ، ويعرف هذا الأساس باسم الأساس الغدى العضوى . وجوهر هذا الأساس هو أن الغدة التيموسية Thymus وتقع تحت الرقبة تكون نشيطة فعالة فى بدء حياة الطفل وعندما يبلغ الطفل حوالى سن ١١ سنة تبدأ فى الضمور والاضمحلال كما أن الغدة الصنوبرية pineal تقع فى المخ تضمر عند البلوغ بينما يزداد نشاط الغدد التناسلية . وينتج عن نشاط الغدد التناسلية ظهور الصفات الجنسية على المراهق والمراهقة . ويستمر نشاط الغدد التناسلية ، حتى يأخذ فى الضعف تدريجيا فى

مرحلة الشيخوخة ، وعلى هـذا الأساس العضـوى تقسم ظاهرة النمو إلى مرحلة الطفولة والمراهقة والرشد والشيخوخة .

وتقسم مرحلة الطفولة إلى مرحلة ما قبل ميلاد الطفل ومرحلة ما بعد الميلاد وتبدأ مرحلة ما قبل الميلاد باخصـــاب البويضة وتنتهى بولادة الطفل ومدتها حوالى تسعـة أشهر ويمتـــاز النمو فيها بالسرعة الزائدة ، حيث يتطـور الكائن الميكروسكوبى حتى يصل وزنه إلى ٧ أرطال .

وعلى كل حال تبعـا للأســاس العضوى أو الغــــدى يقسم النمو إلى المراحـل الآتية : —

١ — مرحلة ماقبل الميلاد وتمتدمن الاخصاب إلى الولادة ومدتها تسعة أشهر
٢ — مرحلة الرضاعة وتمتد من بداية الاسبوع الأول إلى نهاية السنة الثانية
٣ — مرحلة الطفـــولة المبكرة وتمتد من بداية السنة الثانية حتى نهاية السنة السادسة .

٤ — مرحلة الطفولة المتأخرة وتمتدمن بداية السنه السابعهحتى نهايةالعاشرة وذلك عند الاناث ، ومن السابعة حتى الثانية عشرة عند الذكور .

٥ — مرحلة البلوغ وتمتد من بداية الحـــادية عشر حتى الثالثـة عشر عند الأناث ومن نهاية الثانية عشر إلى نهاية الرابعة عشر عند الذكور .

٦ — مرحلة المراهقة Adolescence وتمتد من بداية الرابعة عشر حتى نهاية السابعة عشر عند الاناث ومن بداية الخامسة عشر حتى نهاية السابعـة عشر عند الذكور .

٧ — مرحلة الرشد وتمتـد من سن الحـادية والعشرين حتى سن الأربعين ،
٨ — مرحلة وسط العمر وتمتد من سن الأربعين حتى سن الستين .

٩ — مرحلة الشيخوخة وتمتد من سن الستين إلى نهاية الحياة .

وتجدر الإشارة إلى أن الاعمار التى يحـدد على أساسها بداية ونهاية المراحل ليست إلا متوسطات عامة ، ولكن هناك فروقا فردية individual differences واسعة بين الأفـراد فى السن الذى يصلون فيه الى هذه المراحل فهناك أشخاص سريعو النمو وهناك متأخرو النمو .

٢ – تقسيم النمو على أساس اجتماعى :

يعتمد هذا النوع من التقسيم على مدى تطور علاقات الطفل مـع البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها وعلى مدى إتساع الدائرة التى تدور فيها علاقات الطفل الاجتماعية وتعاملاته مع الآخرين ، وعلى التطور النفسى والاجتماعى الذى يظهر فى نشاطه كاللعب مثلا باعتباره عينة من سلوك الطفل الاجتماعى فيقسم اللعب إلى الانواع أو المراحل الآتية : —

(١) مرحلة اللعب الإنعزالى حيث يفضل الطفل اللعب بمفرده دون أن يشارك أحد فى ألعابه .

(٢) مرحلة اللعب الإنفرادى وفيها يلعب الطفل مـع جماعة من أقرانه ولكنه يحتفظ بخصائصه الفردية .

(٣) مرحلة اللعب الجماعى وهنا يفضل الطفل اللعب مع زملائه ويحترم روح الجماعة ، ومن أمثال هذه الألعاب الجماعية كرة القدم أو السلة .

وواضح أن الاعتماد على اللعب فى تقسيم مراحل النمو لا يعتد به لأن اللعب ماهو إلا نوع واحد من الأنشطة العديدة التى يمكن أن يقوم بها الطفل ، والتقسيم على أساسه يعتبر تقسيما قاصرا إذ لابد أن يؤخذ فى الاعتبـار نشاط الطفل الجسمى الحركى والعقلى والاجتماعى معا .

٣ - تقسيم النمو الى مراحل على أساس تربوى :

يهتم المشتغلون بالتربية والتعليم بتقسيم النمو إلى مراحل تناظر المراحل التعليمية المعروفة . ويسعى رجال التربية والتعليم إلى توفير فرص التعليم لكل طفل حسب المرحلة التى يمر بها وحسب ما يمتلك من قدرات واستعدادات وميول وحسب ما يتناسب مع ما وصل اليه من نضج وعلى ذلك يمكن وضع التلميذ المناسب فى المكان الدراسى المناسب .

١ — مرحلة ما قبل المدرسة .
٢ — مرحلة التعليم الابتدائى .
٣ — مرحلة التعليم الاعدادى .
٤ — مرحلة التعليم الثانوى .
٥ — مرحلة التعليم الجامعى أو العالى .

وواضح أن هذا التقسيم يوضع لتحقيق أهداف تربوية بحتة . وعلى كل حال فمن الممكن وضع تقسيمات مختلفة باختلاف الأساس الذى نتخذه للتقسيم ،

الفصل الثامن

مرحلة الطفولة

رأينا أنه يمكن تقسيم اطوار النمو إلى مراحل متعدده بل إن هناك بعض علماء النفس الذين يميلون إلى تحديد مراحل النمو فيتحدثون عن مظاهره عند الطفل فى العام الأول من عمره ثم فى العام الثانى وهكذا . ولكننا هنا سنعالج مرحلة الطفولة ككل رغم أن هناك من علماء النفس من يقسمونها إلى مرحلة الطفولة المبكرة ثم المتأخرة ولكننا لبساطة العرض والتشابه خصائص مرحلة الطفولة سوف نعالجها كمرحلة واحدة .

ويقصد بمرحلة الطفولة الطفل منذ الميلاد حتى نهاية الحادية عشر .

ولمرحلة الطفولة أهمية خاصة فى حيـــاة الفرد ذلك لأنه فى مرحلة الطفولة توضع البذور الأولى لشخصية الطفل ويتكون الإطار العام لشخصيته ، ويكون لهذا أكبر الأثر فى تشكيل شخصية الطفل فى المراحل اللاحقه .

كما يميل الطفل ميلا خاصا نحو التقليد والمحاكاة ، فيقلد الكبار من المحيطين به ولاسيما من يعجب بشخصيتهم ، ولذلك يجب أن يتوفر للطفل القدوة الحسنة والمثال الطيب الذى يستطيع أن يتقمص شخصيته وأن يستفيد من هذا التقمص وعلى وجه الخصوص يهتم علماء النفس التحليليون بالسنوات الخمس الأولى من حياة الطفل لما لها من أهمية بالغة فى تشكيل شخصية الطفل فيما بعـــد . وفى هذه المرحلة يجب العمل على تجنب الطفل المعاناة من المشكلات النفسية كالغيرة والعناد والعدوان والتبول اللا إرادى .

الطفل فى بداية حياته يعتمد اعتمادا كليا على أمه فى قضاء حاجاته الحيويه لأنه يكون عاجزا عن قضاء حاجاته بنفسه ، وطفـــل الانسان بالذات تطول

فترة طفولته عن فترة طفولة الحيوان وتمتد فترة حاجته إلى رعاية غيره مددا أطول منها عند الحيوان ولكنه يتعلم الاستقلال تدريجياً .

وفى هذه المرحلة يبدأ الطفل فى تعـــلم الـكلام والمشى ، وعلى ذلك تتسع دائرة إتصاله ومن ثم ينمو عالمه الصغير ، كما يزداد اهتمامه بالأشياء والموضوعات المحيطة به فيبدأ فى التعامل معها وإختبارها وتحسسها .

وفى حوالى سن الثانية يميل الطفل نحو العناد والزام الغير بضرورة الإستجابة إلى مطالبه ويتمسك ويصر على تحقيق مطالبه بالإلحاح والصراخ والارتماء على الأرض . وفى حوالى الرابعة يزداد ميله إلى النشاط الحركى والجسمى ولذلك يميل إلى الجرى واللعب وعدم الاستقرار فى مكان لمدة طويلة وذلك لتصريف طاقته الحيوية الزائدة .

ويمكن استغلال هذه الطاقة فى الأعمال النشيطة وفى تعويده على الاعتماد على نفسه ، فيتدرب على لبس ملابسه بنفسه أو ترتيب حجرته أو المساعدة فى أعمال المنزل حتى لا يستخدم طاقته فى السلوك التخريبى وفى تدمير ما تقع عليه يداه .

ويميل الطفل ميلا خاصاً إلى حب الاستطلاع واكتساب المعرفة ، ولذلك يكثر من التساؤل عن كثير من الأمور التى تحيط به . فقد يســـأل عن أصل العالم أو مصدر مجىء الأطفال إلى هذا العالم .

واجب الآباء ازاء نزعة الطفل نحو حب الاستطلاع هو الاجابة الصريحة الواضحة على جميع تساؤلاته ، ولكن ينبغى أن تكون إجاباتهم فى المستوى المبسط الذى يستطيع أن يفهمه الطفل .

فى مرحلة الطفولة يتسم خيال الأطفال بالقوة والجنوح ، فخيال الطفل يصبح قويا جدا وقد يفوق فى قوته الواقع نفسه بل أن الطفل الصغير يمتزج عنده الحقيقة بالخيال ، ويعجز عن التميز بينهما فى كثير من الأحوال ، فالطفل

الصغير يعامل دميته معاملة الآدمى فيطعمها ويلبسها وينزل بها العقاب ويعالجها إذا مرضت . وكذلك يكافأها إذا أصــابت وأطاعت أوامره ، لذلك يجب استغلال قدرة الطفل الخيالية فى المناشط الإيجابية كالعزف الموسيقى أو الرقص أو الرسم والاشغال وغيرها من الفنون .

وعندما يقترب الطفل من سن العاشرة تظهر عنـــده نزعات حب التملك والاقتناء فيميل إلى جمع الأشياء كطوابع البريد والقواقع أو أوراق الإشجار أو اللعب ودود القز وغير ذلك .

ويمكن تلخيص أهم خصائص النمو فى مرحلة الطفولة على النحو الآتى :

النمو الجسمى Pysiological Development

يمتاز النمو الجسمى بالسرعة حيث يتضاعف وزن الطفل فى نهاية الســـنة الأولى ثلاثة أمثال وزنه عند الميلاد . وفى نهاية السنة الخامسة يصل الوزن ستة أمثال وزنه عند الميلاد . ومعدل السرعة هذا لا يصدق بالنسبة للوزن وحسب ولكن أيضا بالنسبة للطول ونمو العضلات المختلفة وحجم المخ وغير ذلك من المظاهر الجسمية . ولكن هذا النمو لا يستمر فى السرعة إلى مالا نهاية حيث أنه يأخذ فى التناقص تدريجيا باقتراب الطفل من مرحلة الطفولة فنجده كثير الحركة الانتقال من مكان لآخر . ويجب تشجيع الطفل على هذا النشاط الحركى المتزايد حتى لا ينزع إلى الانسحاب والانطواء .

ويمكن للطالب تسجيل تطور نمو المشى عند الطفل حيث يلاحظ أننا نجده فى الشهور الأولى من حياته يحاول الحبو على بطنه وعندما تنمو عضلاته وتقوى على الحركة نجده يستطيع الحبو على يديه ثم يستطيع الوقوف مستندا إلى شىء ثم الوقوف مستقلا ثم المشىء فى حوالى سن الشهر الخامس عشر .

وفى مرحلة الطفولة المتأخرة (من السادسة حتى الثانية عشرة تقريبا) نجد أن معدل النمو يأخذ فى التباطؤ بالقياس إلى المرحلة السابقة ويؤدى نضج الجهاز العصبى فى الطفل إلى نضج الأعضاء الدقيقة كالأصابع وهنا ينبغى أن تتاح للطفل فرصة التدريب على الأعمال الدقيقة كالكتابة على الآلة الكاتبة أو أشغال الإبرة والألعاب الرياضية وغير ذلك .

النمو العقلى Mental development

فى مرحلة الطفولة المبكرة يكون الجهاز العصبى غير مكتمل النضج ولذلك فان القدرات العقلية لا تظهر بشكل متمايز فى هذه المرحلة المبكرة ويتصف تفكير الطفل بأنه تفكير مادى وحسى فلا يقوى الطفل على التفكير فى الأمور المعنوية المجردة فلا يدرك معنى فكرة الحق والخير والجمال والشر أو الواجب ولا يستطيع أن يفكر إلا فى الأمور الشخصية والماثلة أمام حواسه المختلفة .

والنمو اللغوى فى هذه المرحلة يتصف بعدم النضج وذلك لعـــدم إكتمال عضلات اللسان والأحبال الصوتية وهى التى تساعد الطفل على إخراج الكلمات والمقاطع . والطفل أول ما يبدأ التعبير اللغوى يبدأ بكلمات عشوائية غير مفهومة وبازدياد النضج يستطيع أن ينطق بعض الكلمات المفهومة ثم تزداد ثروته اللغوية شيئا فشيء .

أما فى مرحلة الطفولة المتأخرة فنجد أن النمو العقلى - على العكس من النمو الجسمى الذى أخذ فى التباطؤ - يأخذ فى السرعة والازدياد وذلك نتيجة لنمو المخ والجهاز العصبى ولذلك يرتفع مستوى الإدراك الحسى لدى الطفل ويصبح أكثر دقة كذلك يتطور تفكيره من الموضوعات الحسية المادية إلى الموضوعات المعنوية المجردة . ويجب أن تتاح للطفل من ألوان النشاط العقلى والألعاب العقلية والهوايات ما يسمح بتنمية قدراته العقلية ونموها فى الاتجاهات الإيجـــابية المرغوب فيها .

النمو الاجتماعى Social Development

فى مرحلة الطفولة المبكرة يرتبط الطفل إرتباطا وثيقا بأمه نظراً لأنها هى التى تقوم على إشباع حاجاته الأساسية من غذاء ودفء وحنان . وبمرور الوقت يتعود الطفل على رؤية بقية أفراد الأسرة وعلى البقاء معهم دون إحتجـــاج ، وبتقدمه فى العمر تتسع دائرة معارفه لتشمل أناس من خارج الأسرة ، من الأقارب والأصدقاء والجيران ، ولكنها تظل محدودة بهذه الحـــدود فلا يقيم علاقات طيبة مع الغرباء . وفى بداية هذه المرحلة يفضل الطفل اللعب بمفرده ثم يبدأ فى اللعب مع غيره من الأطفال ويقيم علاقات إجتماعية معهم نتيجة للمشاركة فى بعض المناشط الجماعية .

أما فى مرحلة الطفولة المتأخرة فإن الطفل يفضل الاندماج مع جماعات الأصدقاء والأنداد ويرجع ذلك إلى نضجه العقلى والوجدانى وإلى إيمانه بقيمة الجماعة فى تحقيق أهدافه ، ومن هنا يبدأ فى الشعور والولاء للجماعة . وهكذا تتسع دائرة الطفل بعد أن كانت محدودة فى نطاق الأسرة لتشمل جماعات الأصــدقاء والزملاء فى المدرسة والنادى والحى .

ونتيجة لاشتراكه فى مناشط الجماعة فإن القيم الإجتماعية تأخــذ فى الظهور عنده فيبدأ يؤمن باحترام القانون والنظام والعرف والعادات والتقاليد ويؤمن باحترام حقوق الغير .

النمو الوجدانى ; Emotional develpment

فى بداية مرحلة الطفولة المبكرة لا يوجد إنفعالات لدى الوليد ولـكن بعد فترة قصيرة نجد أن انفعالاته تدور حول إشباع حاجاته الأوليــة مثل الجوع والعطش والإخراج والنوم والراحة ، فالطفل يعتريه الغضب الشديد إذا لم تشبع حاجته إلى الطعام ويفرح ويسر إذا أشبعت هذه الحاجة .

وفى منتصف مرحلة الطفولة المبـكرة تبدأ إنفعالات الطفل تدور حـــول

بعض الأمور المعنوية فيدرك معنى اللوم والتأنيب والزجر، والحرمان من الحب والحنان وينفعل لذلك كله، كذلك يدرك معنى النجاح والفشل والثواب والعقاب والخطأ والصواب .

وعلى العموم تتميز إنفعالات الطفل فى مرحـــلة الطفولة المبكرة بسرعة التغير والتقلب، فالطفـل يغضب بشدة لأتفه الأسباب ثم يعود بسرعة ويلعب بلهو . ويلاحظ ذلك على علاقات الأطفال بعضهم ببعض حيث ينتقل الطفـل من شجـار إلى تعاون ولعب مشترك فى لحظات معدودات . وتتصف إنفعالات الطفل فى هذه المرحلة أيضـــا بالشعور بالغيرة والأنانية وحب الامتـــلاك والدكتاتورية والرغبة فى تحقيق حاجاته دون نظر إلى مقتضيات الواقع .

أما فى مرحلة الطفولة المتأخرة فيمتاز الطفل بالهدوء والاتزان . فالطفـــل فى هذه المرحلة لا يفرح بسرعة ولا يغضب بسرعة كما كان الحـــال فى مرحلة الطفولة المبكرة فهو يفـكر ويدرك ويقدر الأمور المثيرة للغضب والانفعـــال ويقتنع إذا كان مخطئا كذلك يتغير موضوع الغضب فبدلا من الانفعال بسبب إشباع الحاجات المـادية تصبح الاهـــانة أو الاخفاق من الامـور التى تستثير انفعالاته ؛ أى الأمور المعنوية .

الفصل التاسع

مرحلة المراهقة

يطلق أصطلاح المراهقة Adolescence على المرحلة التى يحدث فيها الانتقال التدريجى نحو النضج البدنى والجنسى والعقلى والنفسى ، ويخلط البعض بين كلمة المراهقة وكلمة البلوغ puberty ولكن ينبغى التمييز بينهما ، فلفظ المراهقة يعنى التدرج نحو النضج الجسمى والجنسى والعقلى والنفسى (أما عن الأصل اللغوى للكلمة فيرجع إلى الفعل «راهق» بمعنى أقترب من) على حين يقصد بالبلوغ نضج الأعضاء الجنسية ، واكتمال وظائفها عند الذكر والأنثى وعلى ذلك يتضح لنا أن البلوغ يقصد به جانب واحد من جوانب المراهقة ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فانه يأتى قبل الوصول إلى المرحلة التى يطلق عليها المراهقة ، ففى بداية مرحلة المراهقة تحدث تغيرات كثيرة على المراهق، من أهمها النضج الجنسى حيث تبدأ فى هذه المرحلة الغدد الجنسية فى القيام بوظائفها .

وتعرف المراهقة بأنها :

Adolescence = the period from the beginning of puberty to the attainment of maturity' (1)

أما البلوغ فيعرف بأنه :

puberty = 'stage of physical maturation when reproduction first becomes (2) possible'

(1,2) Stanford, psychology. wadsworb publishing Co. Ssn Francisco. 1961.

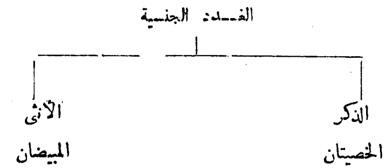
أما عن السن الذى يحدث فيه البلوغ فإنه يختلف باختلاف الجنس والظروف المادية والإجتماعية والمناخية التى يعيش فى وسطها المراهق . فيما يختص بالفرق بين الجنسين لوحظ أن البنات يصلن إلى مرحلة النضج فى سن مبكرة عن البنين بمدة تبلغ نحو عامين ، فى المتوسط تصل البنت إلى هذه المرحلة فى حوالى سن الثانية عشر بينما يصل الولد المتوسط إلى هذه المرحلة فى حوالى سن الرابعة عشر ولكن ينبغى الإشارة إلى أن هناك فروقا فردية واسعة بين الأفراد وفى سرعة نموهم واكتمال نضجهم . وهناك علاقة بين نضج المراهق وبين العوامل البيئية كالتغذية والمناخ والأمراض وغير ذلك ، فأطفال المناطق الحارة يصلون إلى مرحلة المراهقة فى سن مبكرة عن أطفال المناطق الباردة ، كما أن هناك فرقا يرجع إلى نوع السلالة التى ينتمى إليها الفرد فالشعب النوردى الذى يسكن الجزء الشمالى الغربى من أوربا أبطأ من سكان حوض البحر المتوسط فى الوصول إلى النضج الجنسى [1] . كذلك قد تؤدى حالات المرض الطويل أو الضعف العام إلى تأخر النضج الجنسى . فالمراهقة إذا ما هى إلا محصلة التفاعل بين العوامل البيولوجية والثقافية والإقتصادية التى يتأثر بها المراهق .

النمو الجسمى فى مرحلة المراهقة

فى هذه المرحلة تنمو الغدد الجنسية Sexual glands ، وتصبح قادرة على أداء وظائفها فى التناسل وهذه الغدد الجنسية عبارة عن المبيضين عند الانثى ويقومان بإفراز البويضات ويحدث الطمث عند الفتاة نتيجة لإنفجار البويضة الناضجة فى المبيض ، ويؤدى ذلك إلى نزول دم الحيض وهو دم أحمر قانى ويحدث أول حيض للفتاة فى الفترة ما بين ٩ - ١٤ سنة ويتوقف تحديد هذا السن على عوامل سلالية وفسيولوجية ووراثية وبيئية . ويطلق على مظاهر النضج الجنسى عند

(١) د . مصطفى فهمى — سيكلوجية الطفل والمراهقة .

البنين والبنات اصطلاح «الصفات الجنسية الأولية» primary sex characteries.



ولكن يصاحب النضج الجنسى ظهور مميزات أخرى يطلق عليها إصطلاح «الصفات الجنسية الثانوية Secondary sex characters» مثلا عندالبنات تنمو عظام الحوض بحيث تتخذ شكل حوض الأنثى ، وإختزان الدهن فى الأرداف ونموهما ونمو الشعر فوق العانة وتحت الأبط وكذلك نمو أعضاء أخرى كالرحم والمهبل والثديين .

وعند الذكور نمو شعر الذقن والشارب وخشونة الصوت .

وتحدث دورة الحيض للفتاة كل ٢٨ يوما ، ولكنه ليس من الضرورى أن تحدث بصورة منتظمة فى بداية مرحلة البلوغ إذ قد يتأخر ظهورهـــا بعد ظهور أول حيض فترة تتراوح بين شهر وعام كامل ولكن لا ينبغى أن يثير ذلك أى شعـور بالقلق ، إذ أن ذلك أمر طبيعى وسوف تعـود الدورة إلى الإنضمام من تلقاء نفسها بعد إكتمال نضج الجهاز التناسلى .

أما الغدد التناسلية فى الذكر فهى الخصيتان ، وتقوم بأفراز الحيوانات المنوية والهرمونات الجنسية، وتمتزج الحيوانات المنوية بسائل منوى لزج تفرزه البروستاتا ويحدث الإخصاب ويتكون والجنين فى الرحم نتيجه لالتقاء حيوان منوى وبويضة

عرفنا أنه يمكن تحديد النضج الجسمى عند الفتاة بظهور أول حيض أما عند الفتى فأننا لانستطيع أن نحدد على وجه الدقة أول عملية قذف ، ولذلك يمكن

تحديد بداية البلوغ عند المراهقة عن طريق ملاحظة ، الصفات الجنسية الثانوية ، كظهور شعر العانة وخشونة الصوت وبروز العضلات . ولقد وجد ، كنزى ، من دراسته على السلوك الجنسى عند الذكور أن القذف الأول يحدث فى المتوسط فى حوالى سن الثالثة عشر والنصف .

التغيرات الجنسية تحدث

فى الصفات الجنسية الأولية	فى الصفات الجنسية الثانويه
كنمو الغدد الجنسية كالمبيض والخصية	كنمو الثدى والأرداف فى الأنثى وخشونة الصوت فى الذكر

وإلى جانب نضوج الغـــدد الجنسية فى الذكر والأنثى فـإن هناك بعض التغييرات التى تحدث فى إفرازات الغدد الصماء Bndocrine glands وهى عبارة عن مجموعة من الغدد عديمة القنوات ولا تصب إفرازاتها خارج الجسم ولكن تصبه فى الدم مباشرة . وإفرازات هذه الغـدد عبارة عن مـواد عضوية تسمى هرمونات Hormones .

ففى مرحلة المراهقة يزداد إفراز الغدة النخامية من الهرمونات المنبهه للجنس بينما يحدث ضمور فى الغدد الصنوبرية والتيموسية .

وعلى الجملة نستطيع القول إن النمو فى المراهقة يحدث على شكل تغيرات جسمية خارجية يستطيع أن يلاحظها المراهق نفسه كما يلاحظها المحيطون به . وهنـاك تغيرات فسيولوجية داخلية تظهر فى وظائف الأعضاء .

النمو العقلى

تتميز فترة المراهقة بنمو القدرات العقلية ونضجها ، ولقد سبق أن أشرنا إلى أن النمو الحركى فى الطفل يسير من العام إلى الخاص، وينطبق هذا المبدأ على النمو العقلى فتسير الحياة العقلية من البسيط إلى المعقد ، أى من مجرد الإدراك الحسى والحركى إلى إدراك العلاقات المعقدة والمعانى المجردة ، ففى مرحلة المراهقة ينمو الذكاء العام ويسمى القدرة العقلية العامة ، وكذلك تتضح الاستعدادات والقدرات الخاصة وتزداد قدرة المراهق على القيام بكثير من العمليات العقلية العليا، كالتفكير والتذكر والتخيل والتعلم .

أما الذكاء فهو القدرة التى تكمن وراء جميع أنماط السلوك العقلى ، ولذلك أطلق عليه سبيرمان إسم « العامل العام » ويقابل ذلك عوامل خاصة يوجد كل منها فى نشاط عقلى معين ولا يوجد فى غيره كالعامل الخاص بالموسيقى مثلا . والتفوق فى الرياضيات مثلا يتطلب إلى جانب قدر معقول من العامل العام (الذكاء) قدرة خاصة فى الرياضيات .

ويختلف علماء النفس فى تعريف الذكاء ولكن نستطيع أن نلمس أن الذكاء قدرة عامة تظهر فى قدرة الفرد على التعلم واكتساب المهارات وفى القدرة على التكيف مع المواقف الجديدة أو المشكلات الجديدة التى تواجه الفرد ، وفى القدرة على ممارسة العمليات العقلية العليا كالتفكير والتذكر والتخيل وإدراك العلاقات وحل المشكلات [١] . ومن خصائص النمو العقلى أنه يظل مستمراً ، حتى سن السادسة عشر ثم يتوقف ، هذا بالنسبة للطفل المتوسط ، أما متفوقو الذكاء فإن نموهم يستمر حتى سن العشرين .

وجدير بالذكر أنه أصبح الآن من الممكن قياس ذكاء الفرد وتقدير عمره

---

(١) د. فؤاد البهى السيد .. الذكاء .

العقلي تقديراً دقيقاً ، وذلك عن طريق استخدام اختبارات دقيقة وموضوعية تسمى ، إختبارات الذكاء Intelligence tests ، ومن الإختبارات التي تطبق في مصر وتلائم البيئة المصرية الإختبارات الآتية : -

١) إختبار الذكاء المتوسط للاستاذ كامل النحاس .

٢) إختبار الذكاء الثانوى للاستاذ اسماعيل القبانى .

٣) الإختبارات الحسية للذكاء للدكتور عبد العزيز القوصى .

٤) إختبار الذكاء المصور للدكتور أحمد زكى صالح .

٥) إختبار القدرات العقلية للدكتور أحمد زكى صالح .

وتصلح هذه الاختبارات وغيرها لقياس الذكاء فى سن المراهقة ، ونستطيع بواسطتها تحديد ذكاء المراهقين ومعرفة الفروق الفردية بينهم فى مقدار مالديهم من ذكاء . ومن المعروف أنه فى مرحلة المراهقة تأخذ الفروق الفردية فى الذكاء وتأخذ القدرات والاستعدادات والميول فى الظهور والوضوح ولذلك يمكن فى هذه المرحلة تصنيف التلاميذ إلى أنواع التعليم التى تناسبهم أو المهن التى تتفق وميولهم وقدراتهم .

ومن أبرز خصائص النشاط العقلى فى فترة المراهقة أيضا أنه يأخذ فى البلورة والتركيز حول نوع معين من النشاط كأن يتجه المراهق نحو الدراسة العلمية أو الأدبية بدلا من تنوع نشاطه واختلاف اهتمامه ، كذلك من خصائص هذه الفترة نمو قدرة المراهق على الانتباه ، فبعد أن كانت قدرته على الإنتباه محدودة وكانت المدة التى يستطيع أن يركز انتباهه فيها نحو موضوع معين محدودة أيضاً يصبح قادراً على تركيز انتباهه لمدة طويلة . كذلك تنمو القدرة على التعلم والتذكر فبعد أن كان تذكره تذكراً آليا أى تذكراً يقوم على أساس السرد الآلى دون فهم لعناصر الموضوع يصبح تذكيراً يقوم على أساس الفهم وعلى أساس إدراك

العلاقات القائمة بين عناصر الموضوع الذى يتذكره .

كذلك يقوم على أساس استنباط علاقات جديدة بين عناصر الموضوع . وفى هذه المرحلة أيضا يصبح خيال المراهق خيالا مجرداً ، أى مبنيا على استخدام الصور اللفظية وعلى المعانى المجردة . ولقد سبق أن عرفنا أن خيال الطفل خيال حسى بصرى .

وفى مرحلة المراهقة بالذات ينبغى أن توجه عناية كبيرة لتنمية التفكير العلمى لدى المراهقين وتعويدهم على استخدام التفكير المنطقى المنظم فى حل ما يجابهم من مشكلات.

النمو النفسى والاجتماعى

يتأثر النمو النفسى (الإنفعالى) والنمو الاجتماعى للمراهق بالبيئة الاجتماعية والأسرية التى يعيش فيها فما يوجد فى البيئة الاجتماعية من ثقافة وتقاليد وعادات وعرف واتجاهات وميول يؤثر فى المراهق ، ويوجه سلوكه ويجعل عملية تكيفه مع نفسه ومع المحيطين عملية سهلة أو صعبة .

ومن العادات السائدة بين الغالبية الساحقة من الأسر المصرية الاهتمام الزائد بتعليم أبنائهم . وذلك لتحقيق نوع من الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى لأبنائهم ولتأمين مستقبلهم ، ولكن يبالغ الآباء فى كثير من الحالات فى ممارسة الضغط على المراهق ويطالبونه الوصول إلى مستوى عال من التحصيل لا يقوى عليه قدراته الطبيعية ، ومن ثم يستشعر بالفشل والإحباط فضلا عما فى ذلك من ضياع لكثير من الجهد والمال على مستوى الأسرة ومستوى الدولة . ولذلك ينبغى أن تكون نظرة الآباء نظرة واقعية لا تحمل المراهق فوق طاقته الطبيعية ، كذلك يجب أن تكون نظرة الأسرة للمراهق نظرة

شاملة تتناول أوجه النشاط الأخرى التى يستطيع المراهق أن يبرز فيها ، فليس التحصيل الدراسى إلا وجها واحدا من وجوه النشاط المختلفة ، والعجز فيه لا يعنى فشلا مطلقا ، فقد يحقق المراهق نجاحا كبيرا فى الميادين العملية أو التجارية ، كذلك فأن الأهتمام يجب أن يوجه إلى شخصية المراهق ككل متكامل وليس للجانب التحصيلى فقط ولذلك ينبغى أن نتيح له فرصة النمو العقلى والجسمى والنفسى والإجتماعى ، وأن نقدر نجاح المراهق مهما كان الميدان الذى ينجح فيه إذ العبرة بتكامل الشخصية personality Integration.

ومن أبرز مظاهر الحياة النفسية فى فترة المراهقة رغبة المراهق فى الأستقلال عن الاسرة وميله نحو الاعتماد على النفس . فنتيجة للتغيرات الجسمية التى تطرأ على المراهق يشعر أنه لم يعد طفلا قاصرا ، كما أنه لا يجب أن يحاسب على كل صغيرة وكبيرة ، أو أن يخضع سلوكه لرقابة الأسرة ووصايتها ، فهو لا يجب أن يعامل كطفل ولكنه من الناحية الاخرى مازال يعتمد على الاسرة فى قضاء حاجاته الإقتصادية وفى توفير الامن والطمأنينة له ، فالاسرة تود أن تمارس رقابتها وإشرافها عليه بهدف توفير الحماية له ولكنه لا يقر سياسة الاوامر والنواهى ، ولذلك ينبغى أن يشجع على الاستقلال التدريجى والاعتماد على نفسه مع ضرورة الاستفادة من خبرات الاسرة الطويلة فهو فى هذه المرحلة يريد أن يعتنق القيم والمبادىء التى يقتنع بها هو لا تلك التى لقنتها له الاسرة تلقينا ، بل أنه يتناول ما سبق أن قبله عن طيب خاطر ، من مبادىء وقيم ، بالنقد والفحص ، فيعيد النظر فى المبادىء الدينية والاجتماعية التى سبق أن تلقاها من الوالدين على وجه الخصوص ومن الكبار على وجه العموم ، ويبدأ يسأل نفسه فى مدى صحتها وفوائدها . والاسرة المستنيرة هى التى تأخذ بيد المراهق وتساعده على حل مشكلاته وتقدر موقفه وظروفه الجديدة ولكن لابد من اقتناعه أنها تستهدف

مصلحته وأن خبرته مهما تصورها فهى لا زالت محدودة ولذلك فلابد أن يتقبل نصح الآباء والأمهات والمدرسين وغيرهم من الكبار .

وعلى كل حال يجب أن يتعلم المراهق تحمل المسئولية فى هذه المرحلة كما يجب العمل على أن يستفيد المجتمع من الطاقات الكامنة فى شبابه ، كما يجب العمل على تنمية قدراتهم وإزكاء مواهبهم وتوفير الفرص التى من شأنها أن تؤدى إلى نمو شخصياتهم نموا سليما من النواحى الجسمية والعقلية والنفسية والإجتماعيـــة بحيث يصبح الشاب متكيفا مع نفسه ومع المجتمع الذى يحيط به .

ولكن ينبغى الإشارة إلى أنه ليس هناك نوع واحد من المراهقة إذ تختلف المراهقة بأختلاف البيئة التى يعيش فيها المراهق .

انواع المراهقه

الواقع أنه ليس هناك نوع واحد من المراهقة فلكل فرد نوع خاص حسب ظروفه الجسمية والإجتماعية والنفسية والمـــادية وحسب استعداداته الطبيعية فالمراهقة إذا تختلف من فرد إلى فرد ومن بيئة جغرافية إلى أخرى . ومن سلالة إلى سلالة ، كذلك تختلف باختلاف الانماط الحضارية التى يتربى فى سطها المراهق فهى فى المجتمع البدائى تختلف عنها فى المجتمع المتحضر كذلك تختلف فى مجتمع المدينة عنها فى المجتمع الريفى ، كما تختلف فى المجتمع المتزمت الذى يفرض كثيرا من القيود والاغلال على نشاط المراهق ، عنها فى المجتمع الحر الذى يتيح للمراهق فرص العمل والنشاط ، وفرص إشباع الحاجات والدوافع المختلفة ، كذلك فإن مرحلة المراهقة ليست مستقلة بذاتها استقلالا تاما وإنما هى تتأثر بما يمر به الطفل من خبرات فى المرحلة السابقة وكما قلنا إن النمو عملية مستمرة متصلة .

وجدير بالذكر أن النمو الجنسى الذى يحدث فى المراهقة ليس من شأنه أن يؤدى بالضـــرورة إلى حدوث أزمات للمراهقين ، ولكن دلت التجارب

على أن النظم الإجتماعية الحديثة التي يعيش فيها المراهق هي المسئولة عن حدوث أزمة المراهقة ، فقد دلت الأبحاث التي أجرتها مارجريت مد M. Mead (وهي من علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية) في المجتمعـــات البدائية أن المجتمع هناك يرحب بظهور النضج الجنسي ، وبمجرد ظهوره يقام حفل تقليدي ينتقل بعده الطفل من مرحلة الطفـولة إلى مرحلة الرجـولة مباشرة ، ويترك فورا السلوك الطفلي ويتسم سلوكه بالرجـولة كما يعهد اليه المجتمـــع بكل بساطة مسئوليات الرجال ، ويسمح له بالجلوس وسط جماعات الرجال ، ويشاركهم فيما يقومون به من صيد ورعي ، وبذلك يحقق استقلالا إقتصاديا وإجتماعيا وفوق كل هـــذا يسمح له فورا بالزواج وتكوين الأسرة ومن ثم يتمكن من إشباع الدافع الجنسي بطريقة طبيعية . وبذلك تختفي مرحلة المراهقة في هـــذه المجتمعات البدائية الخالية من الصراعات التي يقاسي منها المراهق في المجتمعات المتحضرة [1] .

فالانتقال من الطفولة إلى الرجولة في المجتمعات البدائية إنتقال مباشر .

أما في المجتمعات المتحضرة فقد أسفرت الأبحاث على أن المراهقة قـد تتخذ أشكالا مختلفة حسب الظروف الإجتماعية والثقافية التي يعيش في وسطها المراهق وعلى ذلك فهناك أشكالا مختلفة للمراهقة منها :

(١) مراهقة سوية خالية من المشكلات والصعوبات .

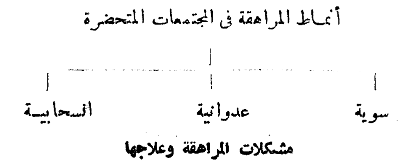
(٢) مراهقة إنسحابية حيث ينسحب المراهق من مجتمع الأسرة ومن مجتمع الاقران ويفضل الانعزال والانفراد بنفسه حيث يتأمل ذاته ومشكلاته .

---

(1) Mead, M., 1935, Sex and Temperament in Three Primitive Societies, Ne York, Marrow.

(٢) مراهقة عدوانية حيث يتسم سلوك المراهق فيها بالعدوان على نفسه وعلى غيره من الناس والأشياء [١] .

أنماط المراهقة فى المجتمعات المتحضرة



مشكلات المراهقة وعلاجها

من أبرز المشاكل التى تظهر فى مرحلة المراهقـــة الانحرافات الجنسية مثل الجنسية المثلية أى الميل الجنسى لأفراد من نفس الجنس والجناح ، وعدم التوافق مـع البيئة ، وإنحرافات الأحداث ، من إعتـــداء وسرقة وهروب . وتحـدث هذه الإنحرافات نتيجـة لحرمان المراهق فى المنزل والمدرسة من العطف والحنـان والرعاية والاشراف وعدم إشباع رغبـاته ، وكذلك نتيجة لعـدم تنظيم أوقات الفراغ . وبذلك يجب تشجيـع النشـــاط الترويحى الموجه والقيـام بالرحلات والاشتراك فى مناشط الساحات الشعبية والأندية ... الخ . ومن الناحية التربوية ينبغى أن يلم المراهق بالحقـائق الجنسية عن طريق دراستهـــا دراسة علمية موضوعية .

كذلك من المشكلات الهامة التى تظهر فى المراهقة ممارسة العادة السرية ويمكن التغلب عليهـــا عن طريق توجيه اهتمام المراهق نحو النشاط الرياضى والكشفى والاجتماعى وتوعيته بأضرارها . وينتج عن النمو السريع فى أعضاء جسم المراهق أحساسه بالخمـــول والكسل والتراخى ، كذلك يؤدى سرعة

(١) د. صموئيل مغاريوس .. المراهق المصرى .

النمو إلى أن تصبح المهارات الحركيه عند المراهق غير دقيقة فقد تسقط من يد المراهق الكوب التي يحملها دون أن يكون ذلك نتيجة إهمال أو تقصير ومع ذلك يلقى الكثير من اللوم والتأنيب من جانب الكبار .

ومن بين المشكلات النفسية أيضا التي تظهر في المراهقة أنه كثيرا ما يعترى المراهق حالات من اليأس والحزن والآلام التي لا يعرف لها سببا . فالمراهق طريد مجتمع الكبار والصغار ، إذا تصرف كطفل سخر منه الكبار وإذ تصرف كرجل انتقدوه أيضا ، وعلاج هذه الحالة يكون بقبول المراهق في مجتمعات الكبار وإتاحة الفرصة أمامه للاشتراك في مناشطهم ويتحمل المسئوليات التي تتناسب مع قدراته .

ومن المشكلات التي تتعرض لها الفتاة في هذه المرحلة شعورها بالقلق والرهبة عند حدوث أول دورة من دورات الطمث فهي لا تستطيع أن تناقش ما تحس به من مشكلات مع المحيطين بها من أفراد الأسرة ، كما أنها لا تفهم طبيعة هذه العملية ، ولذلك تصاب بالدهشة والقلق .

إن إحاطة الأمور الجنسية بهالة من السرية والكتمان والتحريم تحرم الفتاة من معرفة كثير من الحقائق التي يمكن أن تعرفها من أمها بدلا من معرفتها من مصادر أخرى .

ومن الملاحظ في هذه المرحلة أن الفتاة يعتريها الخجل والحياء وتحاول إخفاء الأجزاء التي نمت فيها عن أنظار المحيطين ، وينتج عن تعليقاتهم على مظاهر النمو هذه وعلى التغيرات الجديدة شعور الفتاة بالحياء والخجل وميلها للانطواء أو الإنسحاب ولذلك ينبغي أن ينظر الكبار لهذه التغيرات على أنها أمور طبيعية وعادية .

النمو الجسمي :

تمتاز مرحلة المراهقة بسرعة النمو الجسمي واكتمال النضج حيث يزداد الطول والوزن وتنمو العضلات والأطراف ، ولا يتخذ النمو معدلا واحدا في السرعة في جميع جوانب الجسم ، كذلك تؤدي سرعة النمو هذه إلى فقدان المراهق القدرة على حركاته ويؤدي ذلك إلى إضطراب السلوك الحركي لدى المراهق كذلك يلاحظ زيادة إفرازات بعض الغدد وضعف بعضها الآخر فالغدة الدرقية يزداد إفرازها ويؤدي ذلك إلى سرعة النمو في العضلات وخلايا الأعصاب .

كذلك تبدأ الوظائف الجنسية في الظهور في هذه المرحلة نتيجة لنضج الغدد الجنسية . ويصاحب نمو الوظائف الجنسية هذا نمو الشعر تحت الإبط وفوق العانة ونمو الشارب والذقن وكذلك ضخامة صوت المرهق . وبالنسبة للفتاة يأخذ الثديان في البروز في الصدر كذلك تنمو الأرداف ويتسع الحوض وتظهر نعومة الصوت . وتؤدي هذه التغيرات إلى إحساس المراهقة بأنها أصبحت شابة كبيرة وإلى المراهق بأنه أصبح رجلا بالغا .

التغيرات العقلية :

يمتاز النمو العقلي بالسرعة في مرحلة المراهقة والنضج حيث يصبح المراهق قادرا على التفكير في الأمور المعنوية المجردة وينمى ذلك نمو الذكاء والقدرات الخاصة والميول والاتجاهات ويصبح تفكيره أكثر دقة ونضجا ويميل إلى التفكير النقدي ويعيد النظر في كثير مما سبق أن تقبله عن طيب خاطر في المراحل السابقة

ويهتم المراهق بالقصص وبأبطال التاريخ ومشاهير العلم والفن ويحاول أن يتقمص شخصية بطل من الأبطال ، ويعجب عامة بمظاهر البطولة والشجاعة وغير ذلك مما ينطوي تحت نزعة عبادة الأبطال ويمتاز خياله بالعمق والخصوبة

ويميل إلى أن يشبع كثيراً من رغباته عن طريق أحلام اليقظة Day-dreams

أما التغيرات الوجدانية فتتصف بحدة الإنفعال حيث يغضب ويثور المراهق لأسباب تافهة ، كما يمتاز الانفعال بالتقلب وسرعة التغير . ومرجــع انفعالات المراهق فى معظمها هو شعوره بأنه أصبح رجلا ومع ذلك فإن المحيطون به مازالوا يعاملونه كطفل ، هذا إلى جانب وقوعه فى طائلة العديد من الصراعات النفسية الأخرى Psychological conflicts .

ويحكم نضج الوظائف الجنسية لدى المراهق فإن الميل نحو الجنس الآخر يأخذ فى الظهور كذلك تتكون عاطفة توكيد الذات فى هذه المرحلة حيث يحــدد المراهق لنفسه نمطا معينا من الشخصية ويبدأ فى الاعتقاد بنفســه والثقة فيها فيهتم بهندامه وبمظهره .

ويدين المراهق بالولاء الشديد لجماعة الأقران لأنها البديل لجماعة الأسرة التى يرغب فى الانفصال عنها والاستقلال بعيداً عن تأثيرها وسلطتها .

ومما يميز الحياة الوجدانية لدى المراهق الشعور بالشك والارتياب فى القيم الإجتماعية والدينية السائدة ، ومصدر هذا الشك رغبة المراهق فى التمرد على السلطة الأسرية وسلطة المجتمع والسلطة الدينية ، لأنه يريد أن يبنى لنفســه قيمه ومعاييره الشخصية التى تقوم على أساس إقناعه هو لا على أساس التلقين من الغير .

ويميل المراهق لا إلى نقد هذه القيم وحسب ولكن لنقد آبائه ومدرسيه أيضاً محاولا إيجاد الخطأ فى تصرفاتهم.

وهنا نجد أن كثيرا من التساؤلات تجول وتصول فى ذهنه عن أصل العالم وحقيقة الكون وجوهر الألوهية وحقيقة الرسل وغير ذلك من المســائل الميتافزيقية العميقة .

ويعترى المراهق حالات من القلق والتوتر والشك نتيجة لرفضه القيم التى

سبق أن تلقاها وقبلها قبولا عن طيب خاطر فى المرحلة السابقة ، ويظل على هذا الحال حتى ينتهى به الأمر إلى الإيمان والوصول إلى تكوين رأى نهائى فى المشكلات التى ازعجته .

ومن الناحية الوجدانية أيضا نجد أن حاجات المراهق تتسع وتزداد فيصبح فى حاجة إلى التقدير الإجتماعى والى الاعتراف به كرجل وإلى الإنتماء إلى جماعة وإلى الثقة بالنفس .

ومن أهم المشكلات التى يعانيها المراهق الإصابة بأمراض النمو مثل فقر الدم وتقوس الظهر وقصر النظر ، وذلك مرجعه أن النمو السريع المتزايد فى جسم المراهق . يتطلب ذلك تغذيه كاملة وصحية حتى تعوض الجسم وتمده بما يلزمه للنمو . وفى الغالب ما لا يجد المراهق الغذاء الصحى الكامل الذى تتوفر فيه جميع عناصر الغذاء الجيد ولذلك يصاب ببعض هذه الأمراض . ولذلك يجب العمل على توفير الغذاء الصحى الكافى للمراهق . أما حالات تقوس الظهر فإنها تنتج من العادات السيئة فى ثنى الظهر والانحناء أثناء الكتابة والقراءة وكذلك قصر النظر ينتج من أتباع عادات سيئة خاصة بالقراءة عن قرب ، ولذلك يجب تنبيه المراهق إلى أضرار هذه العادات ومساعدته على تجنبها .

ونتيجة لنضج الغدد الجنسية وإكتمال وظائفها فإن المراهق قد ينحرف ويمارس بعض العادات السيئة كالعادة السرية أو الاستمناء Masturbation ولا ينبغى أن يكون توجيه المراهق الابتعاد عن هذه العادة قائما على أساس التخويف والتهويل فى أضرارها ولكن ينبغى أن يكون أساسه التبصير المستنير والإقناع والحقيقة العلمية ذاتها . كذلك يتحقق العلاج عن طريق إعلاء غرائز المراهق والتسامى بها Sublimation وتحويلها إلى أنشطة إيجابية بناءة . والمعروف أن تخويف المراهق من هذه العادة يخلق عقداً نفسية تدور حول الجنس عامة .

وقد يميل المراهق فى هذه المرحلة إلى قـــراءة القصص الجنسيـة والروايات البوليسية وقصص العنف والإجرام ولذلك يجب توجيهه نحو القراءة والبحث الجاد فى الأمور المعرفية النافعة واستغلال نزعة حب الاستطلاع لديه فى تنميـة القدرة على البحث والتنقيب وغير ذلك من الهوايات النافعة . ويجب الاهتمام بقدرات المراهق الخاصة والعمل على توفير فرص النمو لهذه القدرات .

ومن المشكلات الوجدانية فى مرحلة المراهقة الغرق فى الخيالات وفى أحلام اليقظة التى تستغرق وقته وجهده وتبعده عن عالم الواقع .

وكذلك يميل المراهق إلى فكرة الحب من أول نظرة فيقع فى حب الفتـاة معتقداً أن هذا حب حقيقى ودائم ولكنه فى الواقع ينقصـه النضج والاتزان ، وكثيرا ما تنتهى الزيجات التى تتم فى سن مبكرة بالفشل لأنها لاتقوم على أساس من النضج الوجدانى ولاتستند إلى المنطق السليم .

كذلك يمتـاز المراهق بحب المغامرات وارتكاب الأخطار ، ويمـكن توجيـه هذه النزعة نحو العمل بمعسكرات الكشافة والرحلات والاشتراك فى مشروعات الخدمة العامة .

وفى العصر الحالى ظهرت نزعات وفلسفات تتصف باللامبـالاة عنـد الشباب الأوربى كما هو الحال فى جماعات الهيبز وغيرها وليست هذه السلبية إلا تعبيرا عن ثورة الشباب وسخطه على المجتمع .

وعلى كل حال فان المراهق يميل إلى التقليد الأعمى وإلى البــــدع والمودات الجديدة ولذلك ينبغى توجيه المراهقين عندنا وجهة إيجابيـة تتفق مع فلسفـة المجتمع العربى وأهدافه فى التقدم والرخاء .

كذلك يقع على رجال الدين والثقافة والإعلام مسئوليـة تزويد المراهقـين بالحقائق والمعلومات المقنعة التى تثبت إيمانهم وتحميهم من نزعات الإلحاد والشك.

ومن الوسائل المجدية اشتراك المراهق فى المناقشات العلمية المنظمة التى تتناول علاج مشكلاته وتعويده على طرح مشاكله ومناقشتها مع الكبار فى ثقة وصراحة وكذلك ينبغى أن يحاط المراهق علما بالأمور الجنسية عن طريق التدريس العلمى الموضوعى حتى لا يكون فريسة للجهل والضياع [١] .

ويعبر الدكتور احمد عزت راجح عن الصراعات التى يعانى منها المراهق على هذا النحو :

١ - صراع بين مغريات الطفولة والرجولة .

٢ - صراع بين شعوره الشديد بذاته وشعوره الشديد بالجماعة .

٣ - صراع جنسى بين الميل المتيقظ وتقاليد المجتمع أو بينه وبين ضميره .

٤ - صراع دينى بين ما تعلمه من شعائر وبين ما يصوره له تفكيره الجديد .

٥ - صراع عائلى بين ميله إلى التحرر من قيود الأسرة وبين سلطة الأسرة .

٦ - صراع بين مثالية الشباب والواقع .

٧ - صراع بين جيله والجيل الماضى [٢] .

---

(١) أحمد زكى صالح - علم النفس التربوى ١٩٥٤ .

(٢) د. أحمد عزت راجح - أصول علم النفس دار الطالب سنة

أسئلة تطبيقية وتمرينات عملية

١) تعتبر دراسة النمو دراسة مفيدة ، أشرح المجالات المختلفة التى يمكن أن تفيد فيها هذه الدراسة ؟

٢) حاول أن تسجل ملاحظاتك لمظاهر نمو الطفل عن طريق تتبعه فى مراحل حياته المختلفة على أن يشتمل وصفك للنمو الجسمى والعقلى والنفسى والاجتماعى؟

٣) كيف يمكنك تعريف ظاهرة النمو ؟

٤) يظهر النمو فى جانبين رئيسيين هما الجانب التكوينى والجانب الوظيفى: أشرح هذه العبارة مدعما اجابتك بالأمثلة ؟

٥) أيها أكثر تأثيرا على عملية النمو : البيئة أم الوراثة ؟ ناقش ؟

٦) يقال إن عملية النمو محصلة لتفاعل العوامل البيئية والوراثية - أشرح هذه العبارة ؟

٧) تسير عملية النمو من العـــام الخاص ناقش هذه العبارة موضحا إجابتك بضرب الأمثلة ؟

٨) هل يمكن أن ندرب الطفل على أداء أى عمل فى أى سن ؟ ولماذا ؟ دعم إجابتك بذكر بعض التجارب ؟

٩) تقسم ظاهرة النمو إلى مراحل مختلفة أشرح بعض الأسس التى يمكن أن تتخذ أساسا للتقسيم ؟

١٠) هل تعتبر مراحل النمو مراحل مطلقة ؟

١١) أشرح أهم خصائص النمو فى مرحلة الطفولة ؟

١٢) يقال إنه ليس هناك نوعا واحدا من المراهقة اشرح ذلك ؟

١٣) ما هى أهـــم مميزات النمو الجسمى والعقلى والنفسى والاجتماعى فى مرحلة المراهقة ؟

١٤) يقاسى المراهق فى المجتمع المتحضر من كثير من الصراعات . اشرح هذه الصراعات ووضح كيف يمكن التغلب عليها ؟

١٥) ما هى أهم المشكلات التى تواجه المراهق فى المجتمعات المتحضرة ؟

١٦) هل من الضرورى أن تكون مرحلة المراهقة مرحلة أزمات وثورات. أشرح رأيك مشيرا إلى نتائج دراسة مارجريت مد على المراهقين فى المجتمعات البدائيـة ؟

١٧) يؤدى التسامى بغرائز المراهق إلى التخفف من حدة دوافعه . أشرح ذلك موضحا كيف يمكن التسامى بالدوافع الأولية الفطرية ؟

١٨) قارن بين مظاهر النمو فى مرحلة الطفولة ومرحلة المراهقة ؟

الفصل العاشر

ماهو التعلم ـ أمثلة التعلم ـ أهمية التعلم

ماالذى نقصده بالتعلم Learning ؟ ما الذى نعنيه عندما نقول إن فلانا قد تعلم عمل كذا ؟ لايقصد بالتعلم فى علم النفس مجرد التحصيل والاستذكار الدراسى، ولكن التعلم هو كل تغير يحدث فى سلوك الكائن الحى ، حيوانا كان أو إنسانا ، فالطفل منذ ولادته يتعلم تدريجيا الإتيان بكثير من العادات الحركية والذهنية والنفسية والاجتماعية ، فيتعلم كيف يتجنب الأخطار التى تنتج عن لمسه للأشياء الحادة أو الساخنة ، كما يتعلم كيف يبتسم لمن يداعبه من الناس ، وكيف يعلن عن سخطه أو شعوره بالجوع أو الألم . وعندما يتقدم فى السن يتعلم كيف يصافح الناس وكيف يحادثهم أو يتعامل معهم طبقا للتقاليد الاجتماعية المقبولة . وكذلك الحيوانات ، كالقردة والقطط والأسود والنسور وغيرها ، تتعلم منذ ولادتها أنماطا مختلفة من السلوك تساعدها على حفظ حياتها ، وتجنب أخطار البيئة الطبيعية التى تعيش فيها ، فالتعلم إذا هو اكتساب العادات والخبرات والمعلومات والأفكار التى يحصلها الفرد بعد ولادته عن طريق احتكاكه وتفاعله مع البيئة المادية والإجتماعية التى يعيش فيها .

وفى علم النفس يوصف التعلم بأنه عبارة عن تغيير أو تعديل فى السلوك أو فى الخبرة أو فى الأداء . ويحدث هذا التغيير نتيجة لقيام الكائن الحى بنشاط معين كالمران أو التكرار . ومن أمثلة التعلم الواضحة تعلم ركوب الدراجات وتعلم السباحة وتعلم فنون الحياكة والتفصيل وحفظ قصائد الشعر وحل المسائل الرياضية والتغلب على المشكلات الإجتماعية واكتساب العادات والقيم الإجتماعية المقبولة والسائدة فى المجتمع الذى يعيش فيه الفرد .

ومن مظاهر التعلم أيضا حفظ قصيدة ما من الشعر ، بعد تكرار قراءتها عدة مرات وفهم معناها ، وتعلم العزف الموسيقى ، والكتابة على الآلة الكاتبة أو قيادة السيارات وتعلم الطفل الصغير المشى والكلام وتناول الطعام وقضاء حاجاته الأولية بالصورة التى ترضى المجتمع .

فالتعلم عملية نستطيع بواسطتها اكتساب الطرق التى تساعدنا فى إشباع دوافعنا وتحقيق أهدافنا والتغلب على ما يصادفنا من مشكلات .

ولكى تفهم موقفا من المواقف التى يحتاج الفرد فيها إلى تعلم جديد ، فإنك تستطيع أن تتخيل أنك ذهبت لزيارة أحد أقاربك فى مدينة لم يسبق لك أن زرتها ، وليس معك من المعلومات سوى عنوانه . لاشك أنك عندما تستقل القطار وتصل إلى محطة السكة الحديد تصبح فى حيرة من أمرك ؛ لاتعرف أى إتجاه تسلك ولا أى وسيلة تتخذ للوصول إلى منزل قريبك . وهكذا فأنت تستهدف هدفا معينا ولكن هناك عائق يقف بينك وبين هذا الهدف ، هو غموض الموقف وعدم معرفتك لطريقة الوصول إليه ، نظراً لعدم مرورك بمثل هذه الخبرة من قبل . وبطبيعة الحال سرعان ما تسأل أحد المارة أو تطلع على خريطة المدينة وأن تتبين طريقك وتصل إلى هدفك ولكن بعد شىء من الجهد . فى هذه المحاولة الأولى تجد صعوبة ، وتستغرق وقتا أطول فى الوصول إلى المنزل ، ولكن سرعان ما تألف الطريق وتعتاد عليه ، وربما تكتشف طرقا أخرى أقصر منه وتجد وسائل أسرع وهكذا حتى تصبح قادرا على الوصول إلى المنزل بطريقة آلية سهلة ، بلا إعمال فكر أو بذل كثير من الجهد .

فى هذه الحالة يقال إنك قد تعلمت طريقة الوصول إلى منزل قريبك وأن سلوكك قد تغير من حالة عدم المعرفة إلى حالة المعرفة .

فالتعلم عبارة عن تغير يحدث فى السلوك نتيجة لقيام الكائن الحى بنشاط معين . هو فى هذه الحالة عملية السؤال عن مكان المنزل واستطلاع الطرق وتجربتها .

ويختلف التعلم عن التعليم Teaching من حيث أن المصطلح الأخير عبارة عن تلقين أو تدريس يقوم به شخص هو المعلم Teacher لشخص آخر يتلقى المعلومات هو المتعلم Learner . كذلك يختلف التعلم عن النضج Maturation لأن النضج عملية داخلية مستمرة لا إرادية تلحق أعضاء الكائن الحى وعظامه وقدراته ، أما التعلم فيزود الأطفال مثلا بمهارات ومعارف وخبرات غير تلك القدرات الفطرية Innate التى ولدوا مزودين بها . كما ينمى مالديهم من قدرات فطرية نتيجة تكامل الممارسة أو المران أو التدريب أو التكرار .

التعلم هو العملية التى بواسطتها تتغير استجابة الكائن الحى ويحدث هذا التغير نتيجة لاكتساب الخبرة ولكن هناك أنواعا أخرى من التغير فى السلوك الذى يطرأ أيضا على أداء الكائن الحى ولكن ليس نتيجة لعملية التعلم فقد ترجع إلى عوامل مثل المرض أو التعب ، والعمليات الجراحية أو الإصابات الناتجة من الحوادث أو التكيف الحسى للبيئة الخارجية ، وما بها من عوامل كأثر الإضاءة الشديدة . فالتعلم عبارة عن تغير فى الأداء ـ نتيجة الخبرة والممارسة أما التغير الذى يحدث نتيجـــة التعب والمرض أو تعاطى المخدرات أو شرب الخمر ، فلا نسميه تعلما لأن هذه عوامل وقتية أما التعلم فإن له صفة الديمومة والثبات النسبى Relatively enduring change .

فالتعلم يحدث نتيجة للخبرة experience بينما النضج Maturation نتيجة للعوامل التكوينية الجسمية Genetic factors .

والواقع أن التعلم عبارة عن مفهوم افتراضى، نستدل عليه بطريقة غير مباشرة فنحن لا نستطيع أن نشاهد « التعلم » ولكننا نستدل عليه وعلى حصوله من آثاره ونتائجه التى نلمسها من ملاحظة السلوك أو الأداء ، وعلى ذلك فالتعلم إن هو إلا مفهوم فرضى أى نفترض وجوده بناء على ما نلاحظه من تغير فى سلوك الكائن الحى.

ونحن فى الواقع لانلاحظ إلا سلوك الكائن الحى أما العمليات التى تجرى داخله فإننا لا نلاحظها وإنما نستنتج وجــودها من السلوك أو من الأداء Performance .

وحيث أن التعلم يبدو فى السلوك وكذلك النضج يظهر فيما يسلكه الكائن الحى من أعمال فإن التمييز بين أثر النضج وأثر التعلم يعتــبر عملية بالغة الصعوبة . فتعلم ركوب الدراجات مثلا يعتمد على الممارسة والمران ولكن فى نفس الوقت يلزم أن تكون عضلات الفرد قد بلغت درجة معينة من النضج تسمح له بالقيام بمثل هذا العمل.

وللتعلم نتائج كثيرة منها أنه يعيد ثقتنا بأنفسنا عندما يراودنا أى شك فى مقدرتنا العقلية ، فمجرد القيام بعملية تعلم بسيطة كعد من ١ إلى ١٠ بلغة أجنبية كالاسبانية من شأنه أن يعيد للفرد ثقته بنفسه، وأن يبعد عنه بعض مشاعر الشك فى مقدرته العقلية .

كذلك فإن التعلم من نتائجه أن يحصن الفرد ضد كثير من المواقف التى تهدد حياته ، وهناك كثير من الأمور المادية والمعنوية التى تهدد حياة الإنسان . تصور أن شخصا يسير فى سرداب طويل وفجأة انطفأت الانوار ، وأصبح يتخبط فى ظلام حالك فى هذه الحالة يتعين عليه أن يتعلم كيف يجد طريق العودة ، حتى يتخلص من الموقف المهدد لحياته ، كما يمكنك أن تتخيل أن شخصا ما قد أساء عفوا لضيفه الذى كان يزوره فى منزله ، فى هذه الحالة يتعين عليه أن يتعلم كيف يتعذر له فى الحال بالطريقة اللائقة . فى كلتا الحالتين يتعين على هذا الشخص أن يقترح أو يتذكر أو يكتشف الحل الملائم للموقف وإلا تعرض لنوع من الأذى أو الخسارة المادية أو المعنوية وفى كثير من حالات الفشل فى الوصول إلى الحل الملائم للمشكلة قد تتعرض حياتنا ووجودنا ذاته للخطر ، ولا ينتهى الأمر عند

مجرد الشعور بعدم الإرتياح ، فإذا لم نتعلم نحن كيف نحصل على الماء والطعام لسد حاجات أجسادنا الضرورية فانه سرعان ما يتعرض وجودنا للخطر .

فينبغي أن ندرك الصلة الوثيقة بين استمرار وجودنا وبين قدرتنا على تعلم كيف نتكيف لعوامل الضغط النفسي الداخلي أو الخطر الخارجي .

التعلم عبارة عن تغير في استجابة Response الكائن الحي ، وهنا ينبغي أن نوضح ما هو المقصود بكلمة « استجابه » يقصد بالاستجابة رد الفعل Reaction الذي يتخذه الكائن الحي نتيجة لوقوعه تحت مؤثرات معينة . فالمعروف أن البيئة الخارجية المحيطة بنا مليئة بالعوامل التي تؤثر على حواسنا . وكلما حدث تغير في البيئة المحيطة بنا اقتضى ذلك ضرورة تغيير استجاباتنا ، فإن عيوننا وآذاننا ، وكذلك بقية حواسنا تنقل إلينا بصفة دائمة إحساسات Sensations وانطباعات Impressions ورسائل من العالم الخارجي ،وهناك كثير من الاحساسات التي تأتى من مثيرات داخل أجسادنا ، وهذه الاحساسات تعبر عن حاجاتنا للهواء والماء وللطعام والدفء والنوم وغير ذلك من الحاجات الفيزيقية .

وهناك طائفة أخرى من الحاجات النفسية والإجتماعية . فنحن في حاجة إلى الشعور بالأمن Feeling ef security والشعور بالقبول Feeling acceptance وهناك أيضا الحاجة إلى الرفقاء والاصدقاء . هذه المثيرات الداخلية والخارجيه تحدث تغيرات في السلوك نطلق عليها استجابات أو ردود فعل وبطبيعة الحال تتوقف استجابة الكائن الحي لموقف ما على نوعه وبنائه العضوى وخبرته السابقة فالمعروف أن الكائن الحي لا يستجيب لجميع المثيرات الموجـــودة في بيئتـه ، فالجرثومه مثلا لا تستجيب لسماع الموسيقى والأرنب يفر هاربا من قطعة العظم بينما يتلهفها الكلب . وإلى جانب هذا النوع من الاستجابات العضلية هناك أيضا استجابات غدية تلك التي تصدر عن الغدد Clands كما يحدث عندما تزرف الدمع

فى حالة الحزن . أو عندما يسيل العرق من جباهنا أو عندما يسيل لعابنا فى حالة الجوع . مثل هذه الاستجابات يمكن ملاحظتها ونطلق عليها اسم الاستجابات الظاهرية ولكن هناك نوعاً آخر من الإستجابات غير المنظورة والتى لا يمكن ملاحظتها ملاحظة مباشرة فنحن عندما نستمع إلى الموسيقى لا نقول شيئاً ولا نفعل ظاهرياً ولكننا فى الواقع نستجيب انفعالياً وعقلياً وفسيولوجياً . فنحن قد نفكر فيما نسمع أو نشعر بالطرب أو نتنفس بسرعة أقل أو أسرع ، وقد نهز رؤوسنا إعجاباً أو استهجاناً [١] .

وقصارى القول فان أى مثير يستطيع أن يؤثر فى المخ يجلب استجابة ما مهما كانت بسيطة .

ومن خصائص عملية التعلم أنها عملية مستمرة فكل منا يظل يتعلم باستمرار طوال مراحل حياته ، فالأطفال لابد أن يتعلموا كيف يضعوا ملابسهم بأنفسهم وأن يطعموا أنفسهم ، والمراهقون لابد وأن يتعلموا العادات الاجتماعية التى يقبلها المجتمع الذى يعيشون فيه . والراشدون لابد وأن يتعلموا كيف يؤدون أعمالهم وكيف يقومون بالوفاء بمسئولياتهم تجاه أسرهم . وباختصار فإن حياتنا اليومية عبارة عن سلسلة من المشكلات الصغيرة أو الكبيرة التى نتغلب عليها بواسطة التعلم . والواقع أن كل السمات المكتسبة أى التى لا يولد الفرد مزودا بها ، هى أموراً اكتسبها الفرد بالتعلم ، فالاتجاهات الثقافية والخلقية والعادات والعواطف والعقائد الدينية ، كلها أموراً اكتسبها الإنسان بالتعلم ، نتيجة لاحتكاكه بالبيئة الاجتماعية والمادية المحيطة به . فالتعلم عملية أساسية فى حياة الإنسان وإذا تصورنا إنساناً لم يتعلم شيئاً طوال حياته واقتصر سلوكه على النشاط الفطرى فانه ولاشك يصبح أشبه بالحيوانات .

---

(1)Sperling, A., psychology Made Simple. W. H. Allen, London 1967.

وأخيرا لا ينبغى أن نتصور أننا لا نتعلم إلا عن طريق المدرسة ، ولكننا فى الواقع نتعلم من آبائنا وأمهاتنا ومن رؤسائنا فى العمل ومن أطبائنا ومن أصدقائنا ومن قادتنا ، فهم الذين يلقوننا أساليب الإنتاج ويبثون فينا روح التعاون ومبادىء الآخاء والمساواة والحرية والعدل واحترام الغير وأداء الواجبات الشخصية الوطنية والقومية .

وسوف يتضح لك تعريف التعلم هذا فى الفصول القادمة التى نتناول فيها بالعرض والتوضيح النظريات المختلفة التى وضعت لتفسير عملية التعلم والتجارب العديدة التى تستند إليها هذه النظريات والعمليات العقلية المختلفة التى تسهم فى عملية التعلم .

وهناك نظريات عديدة توصل إليها العلماء فى تفسير عملية التعلم ومن أشهرها التعلم بالمحاولة والخطأ والتعلم الشرطى والتعلم بالإستبصار .

الفصل الحادي عشر

نظريات التعلم Theory of learning

(١) التعلم بالمحاولة والخطاء Trial and error

ترجع هذه النظرية إلى العـلامة ادوارد ثورنديك ١٨٧٤ — ١٩٣٩ E. L Thorndike الذى يعد من أوائل علماء النفس الذين ادخـلوا المنهج التجريبى على دراسة سلوك الحيوان . ولقـد أجرى تجاربه على الحيوانات اعتقادا منه أن نتائجها تنطبق على الانسان الذى لا يختلف عن الحيـوان إلا فى الدرجة . وثورنديك من أنصار المدرسة السلوكية Behavioursim فى علم النفس فهو يرى أن السلوك عملية تبدأ بتنبيه على السطح الحسى للكائن الحى ثم ينقل الأثر من الأطراف العصبية ثم إلى الأعصاب المصدرة إلى المخ ، الذى يصدر بدوره تعليمات بعمل إستجابة معينة . وعلى ذلك فى نظر ثورنديك كل مثير لابد وأن يعطى إستجابة ، وقد تكون هذه الاستجابة ذهنية أو حركية . وبذلك فهـو يرى الحياة النفسية على أنها سلسلة من المثيرات والإستجابات البسيطة . وللتحقق من صدق افتراضاته قام بعمل العديد من التجارب من أشهرها ما يلى :

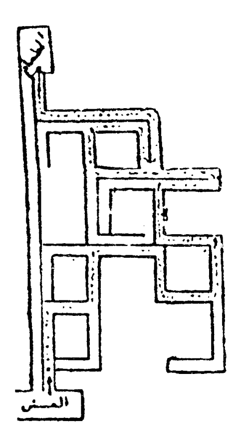
تجربة ثورنديك على القطط :

صمم ثوريك صندوقا ميكانيكيا يمكن للحيوان فتـح بابه بأكثر من طريقة ، كأن يحـرك الحيوان ساقطة ، أو يدير زرا ، أو يضغط على لوح خاص ... الخ . ولقد أتى ثورنديك بقط وهو فى حالة جوع ثم وضعـه فى الصندوق وأغلق عليه البـاب ثم يضع طعـاما مما يشتهيه الحيوان خارج الصندوق، ولكن فى مجال إدراكه أى كان يستطيع أن يراه بسهولة وهو داخل الصندوق. وأخذ ثورنديك فى ملاحظة سلوك الحيوان وتسجيل ما يراه فلاحظ أن القط

أخذ فى الأتيان ببعض الحركات العشوائية محاولا فتح الباب والخروج من الصندوق لكى يظفر بالطعام ويلتهمه .

ولقد عبر القط بادىء الأمر عن الشعور بعدم الرضا والتوتر من بقائه سجينا فى هذا الصندوق . ولكنه أثناء محاولاته توصل إلى طريقة فتح الباب وخرج من الصندوق وحصل على الطعام .

ويستخدم أيضا فى تجارب هذا النوع من التعلم متاهات Mazes حيث يوضع الطعام فى إحدى طرفيها ويدخل الحيوان من الطرف الآخر ويصبح عليه أن يجتاز طرق المتاهة لكى يصل للطعام (شكل ٧) .



(شكل ٧)

إحدى المتاهات التى تستخدم فى تجارب التعلم بالمحاولة والخطأ .

كرر ثورنديك هذه التجربة عدة مرات ، وذلك قبل موعد وجبات القط ، أى عندما كان جائعـا ، ولاحظ أن الحركات العشوائية الخاطئة أو الفاشلة تأخذ فى الزوال تدريجيا حتى ينتهى الأمر بالحيوان إلى أن يأتى بالحركة الناجحة مباشرة أى أنه تعلم طريقة حل الموقف المشكل الذى وضـع فيه وتمكن من الخروج من الصندوق وحصل على الطعام .

ولقد وجد ثورنديك أن حوالى ٢٥ محاولة تكفى لتعلم الحيوان حـل مثل هذا النوع من المشكلات ، وبطبيعة الحال نتج عن حذف الحركات العشوائية ، الخاطئة أن قل الزمن تدريجيا الذى يستغرقه الحيوان فى حـل هذه المشكلة وعلى ذلك فان نقصان الزمن المستغرق فى الخروج من هذا المـأزق ، ثم ثبوته عند حد معين يعد دليلا موضوعيا على حدوث التعلم .

ولتفسير عملية التعلم فى ضوء هذه الطريقة يجب أن نلاحظ العوامل التالية:

١) وجود الدافع Motive الذى يدفع الحيوان للقيام بالنشاط وهو فى هذه الحالة دافع الجوع فنلاحظ أنه لـكى يشبـع الحيوان حاجته لابد من فتح الباب والحصول على الطعام وفى الحالات التى لم يـكن فيها القط يشعر بالجوع كان يجلس فى الصندوق غير مبال للموقف ويغلب عليه الـكسل والخمول ، فحالة الجوع هى التى تدفع الحيوان لبذل الجهد والقيام بالنشاط .

٢) وجود عائق أو حائل يقف فى طريق أشباع هذا الدافـع ، وهو فى هذه الحالة غلق الباب على القط . وهـو موقف لم يسبق أن مر به الحيوان فى خبرته السـابقة ولم يسبق له أن عالج مثـــل هذا الموقف وعرف طرق الخروج من الصندوق . وبطبيعـة الحال كان الموقف التجريبى يسمح بأن يتمكن الحيوان من إزالة هذا العائق بمعنى أنه كان فى حـــدود قدرات القط وإمكانياته الطبيعية . وذلك عن طريق أن يأتى بسلوك معين كتحريك المزلاج أو رفع الساقطة .

٣) يعتبر نجاح الحيوان فى فتح البـــاب والخروج من الصندوق دليلا على تعلمه طريقة حل المشكلة .

٤) يقاس التحسن فى سلوك الحيوان بمقدار الزمن الذى يستغرقه فى فتح الباب فى المحاولات المتكررة . فكلما قل الزمن الذى يستغرقه الحيوان للخروج من المأزق كلما دل ذلك على تعلم حله .

والجدول الآتى يبين رقم المحاولات وتناقص الزمن الذى استغرقه القط فى الخروج من الصندوق .

المحاولة	الزمن بالثانية	المحاولة	الزمن بالثانية	ملاحظـــات
١	١٦٠	١٣	١٥	
٢	٤٠	١٤	١٥	
٣	٩٠	١٥	٢٠	
٤	٩٠	١٦	١٥	
٥	٢٥	١٧	١٢	
٦	٢٥	١٨	١٠	
٧	٢٥	١٩	٧	
٨	٣٠	٢٠	١٥	
٩	٢٥	٢١	١٠	
١٠	١٥	٢٢	٧	
١١	٢٠	٢٣	٧	
١٢	٢٥	٢٤	٧	

المحاولات والزمن الذى استغرقه القط فى الخروج من الصندوق فى تجـارب ثورنديك فى التعلم بالمحاولة والخطأ .

هذا هو ما يمكن للملاحظ أن يشاهده أثناء عملية التعلم ، ولـكن يجدر

بنا أن نتساءل كيف تتم عملية التعلم ولماذا يستبق الحيوان فى خبرته المحاولات الناجحة بينما يستبعد المحاولات الفاشلة ؟

حاول جون واطسون ١٨٧٨ I. B. Watson وهو أحد أقطاب المدرسة السلوكية ، أن يقدم تفسيراً لهذا بقوله إن الحركات الناجحة هى التى تبقى فى حين أن الحركات الفاشلة تزول ولا يكررها الحيوان .

فنحن لا نميل إلى تكرار الأفعال أو الحركات العشوائية أو الفاشلة بعد أن نتعلم الحل الصحيح أو الاستجابة الصحيحة .

ولكن كيف يتم الاختيار بين الاستجابة الناجحة والفاشلة أو ما هى العوامل المسئولة على حذف الحركات الفاشلة وبقاء الحركات الناجحة ؟

فى هذا الصدد يقول واطسن أن الحركات التى تبقى ويحفظها الحيوان هى التى تتكرر أكثر وهى الحركات الناجحة التى تؤدى إلى تحقيق الغاية وذلك لأنه فى كل محاولة لابد وأن يكون هناك محاولة واحدة على الأقل ناجحة وذلك حتى تحل المشكلة .

ولكن ليس من الضرورى أن يأتى الحيوان بالحركات الفاشلة فى بعض المحاولات التى يتمكن فيها من أول وهله من الأتيان بالمحاولة الناجحة التى تنهى الموقف . فاذا افترضنا أن الحيوان فى كل محاولة إما أن يأتى بالاستجابة الناجحة أو الفاشلة وأن احتمال الأتيان بأى من الاستجابتين متساوى فانه ينتج عن ذلك أى يكون احتمال حدوث الاستجابة الناجحة ضعف الاستجابة الفاشلة وذلك لأنه إذا ما أتى الحيوان بها فى أول الأمر انتهى الأمر ولم يعد بحاجة إلى أن يأتى بالمحاولة الفاشلة .

فاذا كانت (أ) ، (ب) استجابتين ممكنتين فى موقف معين ولكن . الاستجابة (ب) تؤدى إلى الاشباع أو الوصول إلى الغاية فى حين أن (أ) تمثل

فعلا خاطئا لا يؤدى إلى الحصول على الهدف المنشود . وإذا كررنا تجربة ما تحت هذه الشروط فاننا نحصل على مجموعة من الاستجابات الخاطئة وأخرى من الاستجابات الناجحة . على النحو الآتى :

(جدول يبين الاستجابات الفاشلة والناجحة فى ٨ محاولات)
حسب افتراض واطسون

التجربة	الأفعال
١	أ ب
٢	ب
٣	أ ب
٤	أ ب
٥	ب
٦	ب
٧	أ ب
٨	ب

وطبقا لقول واطسون فإن الحيوان إذا بدأ بمحاولة فاشلة فلا بد أن يتبعها بأخرى ناجحة أما إذا بدأ بمحاولة ناجحة فبديهى أنه ينتهى عند هذا الحد . ونرى فى الجدول السابق أن المحاولات الناجحة (ب) حدثت فى جميع المحاولات الثمانية . بينما لم تتكرر المحاولات الفاشلة (أ) سوى أربع مرات . ولقد اطلق واطسون على هذا الفرض اسم قانون التكرار law of repetition واعتبره أحد القوانين الرئيسية التى تفسر عملية التعلم . ومؤداه أن المحاولات الناجحة هى التى تتكرر أكثر فى سلوك الحيوان ، ومن ثم فهى التى تثبت فى خبرة الحيوان ، ومن ثم يعيد الحيوان الانيسان بها . ولقد اعترض ثورنديك

على قانون التكرار هذا ، وقال إنه مبنى على فرض خاطىء حيث أن الحيوان قد يكرر المحاولة الفاشلة عدة مرات قبل أن يتوصل إلى المحاولة الناجحة وليس من الضرورى أن تكون المحاولة الناجحة هى المحاولة الثانية التى تلى مباشرة المحاولة الفاشلة فقد تكون الثالثة أو الرابعة فى الترتيب ، وعلى ذلك فإن عدد مرات المحاولات الفاشلة يفوق عدد مرات المحاولات الناجحة ويوضح ذلك الجدول الآتى :

(جدول يبين الاستجابات الفاشلة والناجحة فى ثمان محاولات)

(حسب افتراض ثورنديك)

المحاولات	الاستجابات
(١)	أأأب
(٢)	ب
(٣)	أأأب
(٤)	أأأب
(٥)	ب
(٦)	ب
(٧)	أأأب
(٨)	ب
المجموع	أ = ١٢ب = ٨

من هذا الجدول يتبين لنا أن عدد المحاولات الفاشلة (١) يبلغ أثنتا عشرة محاولة بينما يقابلها ثمان محاولات ناجحة .

ولهذا استنتج ثورنديك وجود قانون آخر يفسر عمليـــة التعلم ويؤدى إلى إستمرار التقدم والتحسن ، هو ما سماه قانون الأثر أو النتيجة .

قانون الاثر Law of effect

ومؤدى هذا القانون أن الحيوان يميل إلى إختيار الإستجابة التى تجلب له حالة الأشباع . فالحركات الناجحة تؤدى إلى الشعور بالرضا والأرتياح والسرور بينما الحركات الخاطئة الفاشلة يصاحبها الشعور بالضيق والإنقباض وعدم الأرتياح فلذة النجاح وألم الفشل يفسران عملية التعلم، وعلى ذلك يكرر الحيوان المحاولات الناجحة ويستبعد المحاولات الفاشلة ويؤدى تكرار شعور الحيوان بالرضـــا والأرتياح إلى وجود إرتباط عصبى بين المثير والإستجابة المرضية . وفى ضوء ذلك يتبين لنا أنه فى أى موقف تعليمى لابد أن يتوفر عامل الأثر الطيب مع ضرورة التكرار أو التدريب والممارسة الفعلية لنوع معين من النشاط .

نقد نظرية ثورنديك فى التعلم بالمحاولة والخطأ :

يعد ثورنديك ممـــثلا لمدرسة ظهرت فى علم النفس وعرفت بأسم المدرسة التحليلية أو المدرسة الترابطية وكانت ترى ضرورة تحليل السلوك إلى عناصره الأولية البسيطه ، وترتد بالسلوك المعقد إلى هذه المعادلة البسيطه المعبر عنها بأن كل مثير يعطى استجابة (مثير - أستجابة) Stimulus — Response (S.R) . .

لقد أحدثت النتائج التى توصل اليها ثورنديك ثورة عارمه بين علماء النفس ولاسيما أصحاب مدرسة الجشطالت Gestalt ، تلك المدرسة الألمانيه التى جاءت كرد فعل مناهض للمدرسه الترابطيه ، فلقد رفض أنصار هذه المدرسه تفسير عمليه التعلم على أساس محاولات عمياء وآليه يقوم بها الحيوان، تلك المحاولات التى لا تقوم على أساس علاقات واضحه ولا على أساس فهم وإدراك من جانب الكائن الحى . ولقد كان ثورنديك يرى أن التعلم يحدث بطريق المحاوله وحذف الأخطاء نتيجه لتفوق الآثار الطيبة ، وذلك بطريقة آلية لا تعتمد على الفهم والإدراك . ولقد قال (كوفكا) k koffka وهو أحد أقطـــاب الجشطالت ؛

فى نقد تجربة ثورنديك ، أن تصميم الأقفاص كان تصميما معقدا يفوق مستوى الحيوان ، بل أنه يتعذر حتى على الأنسان البالغ إذا ما حبس داخـــل هذه الأقفاص أن يدرك الحيل الميكانيكية التى يترتب على إدراكها فهم السر المؤدى إلى فتح أبوابها . ونظرا لصعوبة وتعقيد هذه الأقفاص ، كان سلوك القط يتصف بالخطأ والتخبط ، ولم يصل لحل المشكلة إلى عن طريق الصدفة أثناء تحسسه الحل وعلى ذلك فان هذه الأقفاص لا تسمح بقياس قدرة الحيوان على التعلم . فالتخبط الذى سلكه الحيوان فى الواقع فرضته عليه طبيعة المشكلة نفسها .

وقصارى القول فقد أكد زعماء الجشطالت أن الإنسان والحيوان لا يتعلمان عن طريق المحاولات الآلية العمياء الخالية من الملاحظـــة والتفكير والذكاء والفهم . فالسلوك فى عملية التعلم إذن لا يمكن تحليله إلى وحدات أولية بسيطة من المنبهات والاستجابات .

(٢) التعلم الشرطى Learning by Conbitioning :

ترتبط نظرية التعلم الشرطى باسم عالم الفسيولوجيا الروسى إيفان بافلوف Ivan pavlov الذى أهتم بدراسة عملية الهضم عند الكلاب ، وفى أثناء دراسته هذه الظاهره إهتم إهتماما خاصا بظاهرة تغير إفراز اللعاب عند الحيوانات . كما إهتم بدراسة الإنعكاسات الأولية البسيطة فى سلوك الكائن الحى . وأعتبر هذه الأنعكاسات الظاهرة النفسية الأولية البسيطة التى يمكن إعتبارها فى نفس الوقت ظاهرة فسيولوجية . ومن أمثلة الأنعكاسات البسيطة الكحة أو رمش العين ودمعة العين وحركة الركبة وهى حركات بسيطة لا إرادية . ومن وجهة نظر بافلوب يجب على الكائن الحى أن يكون إنعكاسات جديدة بأستمرار حتى يحافظ على بقائه وحتى يكفل لنفسه التكيف مع البيئة الخارجية المحيطة به ، ولا يتسنى له ذلك إلا عن طريق تعلم إنعكاسات جديدة . ومن مظاهر التعلم الشرطى فى الحياة اليومية العادية أن الطفل الذى تحرقه النار يخـــاف من رؤيتها . فالمثير

الطبيعى الخوف فى هذه الحالة هو لمس النار ، ولكن يصبح مجرد رؤيتها مثيراً للخوف لدى هذا الطفل .

الفعل المنعكس الشرطى :

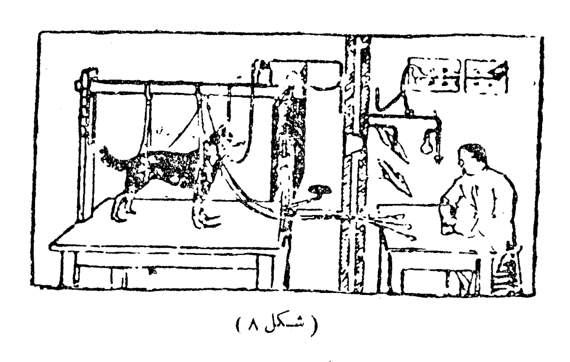
لاحظ بافلوف أثناء تجاربه على الكلاب لدراسة عملية الهضم عندها ، أن العصارة اللعابية Salivation لا تفرز فقط عند تقديم الطعام لهذه الحيوانات وإنما وجد أنها تفرز أيضا عند رؤية الاوانى التى تقدم الطعام فيها للحيوانات وعند رؤية الخادم الذى يقدم الطعام أو عند سماع وقع أقدامه . وإسالة لعاب الحيوان عند رؤية الاوانى مثلا هو ما أطلق عليه بافلوف فعلا منعكسا شرطيا ، لأنه لم يحدث نتيجة للمثير الطبيعى لإسالة اللعاب وهو الطعام وإنما يحدث لمجرد رؤية الأوانى التى يقدم فيها الطعام . ولقد أجرى بافلوف كثيرا من التجارب من أهمها ما يلى :

تجربة بافلوف

إهتم بافلوف كما قلنا بدراسة الهضم عند الكلاب . ولقد لاحظ أن إفراز اللعاب أو الفعل المنعكس الطبيعى لرؤية الطعام يحدث قبل تقديم الطعام نفسه . كما لاحظ أنه يحدث أيضا عند رؤية الحيوان للاناء الذى يقدم فيه الطعام أو رؤية الحارس الذى يقوم بتقديم الطعام اليه أو حتى عند سماع وقع أقدامه. ولكى يتمكن بافلوف من دراسة هذه الظاهرة دراسة علمية دقيقة ، أجرى عملية جراحية بسيطة لأحد الكلاب ، حيث قام بتوصيل إحدى أنابيب الغدة اللعابية فى خد الكلب بأنبوبة خارجية ، بحيث تصب اللعاب فى إناء خاص وبذلك يتسنى له جمع اللعاب وقياس كميته قياسا دقيقا وكذلك قياس الزمن بين تقديم المثير الطبيعى والشرطى وكانت الحجرة معدة بحيث لا تسمع الأصوات من خارجها.

وبعد شفاء الكلب من هذه الجراحة البسيطة ، أدخله إلى حجرة التجربة

وجعله يعتاد عليها ثم أوقفه على المنضدة ، وقيد أرجله لمنعه من الحركة وفى هذه التجربة إستخدام بافلوف الطعام كمثير طبيعى وإستخدام جرس معين كمثير شرطى أخذ فى قرع الجرس قبل أن يقدم الطعام للحيوان بعد ثوان . وقد لاحظ أن اللعاب يسيل عند دق الجرس بمفرده كما لاحظ أن الإرتباط بين دق الجرس وإسالة اللعاب يبلغ أقصاه بعد تكرار حوالى خمسة وعشرين مرة فلقد أكتسب المثير الصناعى أو الشرطى صفة وقدرة المثير الطبيعى أى الطعام وذلك فى إحداث إستجابة الحيوان . فالاستجابة الشرطية تحدث عندما يستجيب الحيوان للمثير الشرطى وحده دون وجود المثير الطبيعى (شكل ٨) .



(شكل ٨)

ولقد أستطاع بافلوب أن يستخدم مثيرات شرطية مختلفة ووجد أن الإستجابة تحدث مثلا عند إضاءة ضوء أحمر أو عند إحداث صدمة كهربية بسيطه لقدم الكلب وغير ذلك .

وفى ضوء هذا نستطيع أن نتبين أن الفعل المنعكس الشرطى فعل مكتسب أى متعلم وليس فطريا أو وراثياً . كما أنه ليس لهذا الفعل منبهات أو مثيرات خاصة بل إنه من المستطاع أن تحدثه أى منبهات صناعية كالجـــرس أو الإضاءة أو الصدمات الكهربائية كذلك أستطاع بافلوف أن يثبت أن ارتباط المثـــير الصناعى بمثير ثالث صناعى أيضا يكسب الأخير نفس الصفة ، وينتج عن ذلك فعلا منعكسا شرطيا من الدرجة الثانية والثالثة وهكذا ويسمى ذلك Secondary conditioning.

هذه هى الكيفية التى تتم بها عملية التعلم الشرطى ، فى نظر بافلوف، أما عن تفسير التعلم على هذا النحو فإن بافلوف يفترض أن الاقتران الزمنى أو التتابع الزمنى بين المثير الطبيعى والمثير الشرطى هو المسئول عن حدوث عملية التعلم وذلك عن طريق تكوين إرتباطات عصبية بين إذن الكلب وإفـــراز الغدد اللعابية .

ولكن ينبغى أن نلاحظ أن قدرة المثير الشرطى على إحداث الاستجابة لاتستمر إلى ما لا نهاية . فإذا لم يقترن المثير الشرطى بتقديم المثير الطبيعى أى إذا تكرر وجود المثير الشرطى (الجرس) دون تقديم المثير الطبيعى (الطعام) فإن كمية اللعاب المسال تأخذ فى النقصان تدريجيا حتى تزول نهائيا . وقد أطلق بافلوف على هذه الظاهرة إسم ظاهرة الإنطفاء التجريبى Experimental extinction وعبر عنها بقوله إنه إذا ظهر المثير الشرطى دون تدعيم بالمثير الطبيعى فإن ذلك يؤدى إلى ضعف الفعل المنعكس الشرطى وانتفائه .

والجدول الآتى يوضح نتائج إحدى تجارب بافلوف التى دق فيهـــا الجرس ولم يقترن بتقديم الطعام :

رقم التجربة	عدد نقط اللعاب المسال
١	١٣
٢	٧
٣	٥
٤	٦
٥	٣
٦	٢٫٥
٧	—
٨	—

يتضح لنا من هذا الجدول أن الإستجابة تأخذ فى النقصان حتى تتلاشى نهائيا وذلك فى حالة عدم تدعيم المثير الشرطى بالمثير الطبيعى .

فاذا لم يدعم المثير الشرطى بالمثير الطبيعى فأن الفعل المنعكس الشرطى يأخذ فى الزوال . ولكن هذا الفعل الشرطى سرعان ما يسترد قوته حينما يدعم Reinforced ولو مرة واحدة وذلك بتقديم الطعام للحيوان فتعود الإستجابة عودة تلقائية Spontaneous recovery .

يرى بافلوب أن العلاقات الشرطية تملأ حياتنا اليومية وأنها أساس تعلمنا وأساس سلوكنا المنظم . فنحن نستجيب بالشعور بالرضا والسعادة بتأثير كبير من المثيرات الشرطية أى تلك التى إرتبطت فى أذهاننا بهذه المشاعر . ولقد اهتم علماء النفس الأمريكيون بالأفعال الشرطية وكان على رأسهم واطسون ومائير وكاسون .

ولقد اهتم كاسون على وجه الخصوص بدراسة ردود الأفعال فى « إنسان العين » وكان يستخدم شدة الضوء منبها طبيعيا لإحداث الإتساع والإنقباض فى إنسان العين . كما كان يستخدم جرسا معينا كمثير شرطى لهذه الإستجابة وبعد تكرار إقتران المثير الطبيعى بالمثير الصناعى عدة مرات أصبح الأخير على إحداث إنقباض إنسان العين دون أن يكون مصحوبا بازدياد شدة الضوء .

أما ماثير فقد إهتم باجراء التجارب على الأطفال الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين عام واحد وسبعة أعوام . كان يرقد الطفل ثم يغطى عينيه بغطاء معين (فى الغالب قطعة من القماش) وبعد فترة وجيزة لا تتعدى عشرة ثوان كان يضع قطعة من الحلوى فى فم الطفل فيبتلعها . فعملية فتح الفم وبلع قطعة الحلوى هنا تحدث كاستجابة طبيعية لمثير طبيعى هو قطعة الحلوى . ولكن بعد تكرار هذه التجربة عدة مرات — لاحظ ماثير أن فتح الفم وعملية البلع تحدثان عند وضع غطاء العين ويعنى ذلك أن غطاء العين أصبح مثيراً صناعيا ، اكتسب صفة المثير الطبيعى وذلك نتيجة لما حدث بينهما من ترابط .

ولقد تمكن هؤلاء العلماء الشرطيون من ضبط controlling of variables العوامل الأخرى المحيطة بالتجارب والتى كان من الممكن أن تؤثر فى نتائج هذه التجارب . فقد قام بافلوف بتدريب الكلب على الموقف التجريبى ووضعه فوق المنضدة ، وكذلك دربه على رؤية الأنابيب والأوانى وجميع الأجهزة المستخدمة فى التجربة . وذلك حتى يضمن أن الاستجابة الشرطية تحدث فعلا نتيجة للمثير الشرطى المقصود (دق الجرس) وحتى يمنع تأثير العوامل المشتتة للانتباه ، ويضمن أن الحيوان يألف الموقف التجريبى ولا يهابه .

ولقد لوحظ فى تجارب الاشتراط هذه أن التكرار يلعب دوراً هاما فى عملية التعلم ويعنى بالتكرار اقتران المثير الشرطى بالمثير الطبيعى . وكذلك لوحظ

أن الفعل المنعكس الشرطى لا يتكون دفعة واحدة وإنما يتكون بالتدريج . وذلك لأن كل محاولة تزيد من قوة الترابط . كذلك فان الإستجابة محسوبة بمقدار اللعاب المسال ، تزداد كلما زاد تكرار التجربة .

التعلم الشرطى لدى صغار الاطفال :

دلت بعض الابحاث على أن الفعل المنعكس الشرطى يتكون بصعوبة فى الايام الأولى من حياة الطفل . ولذلك فإنه كلما كان الطفل صغيراً كلما إحتاج إلى محاولات أكثر لتكوين الإستجابات الشرطية .

أما عندما يتقدم الطفل فى العمر فانه يصبح قادرا على تكوين كثير من الإستجابات الشرطية . ولقد قام واطسون باجراء بعض التجارب على الأطفال ولاحظ أن الطفل الصغير الذى أجرى عليه إحدى عليه تجاربه كان يعتريه الخوف عندما يسمع صوتا صادرا من جسم معدنى . ولقد تعمد واطسون عرض فأر على الطفل قبل حدوث هذا الصوت مباشرة . وكرر هذه العملية عدة مرات . ونتج عن ذلك أن أصبح ظهور الفأر بمفرده كفيلا أن يثير الشعور بالخوف فى نفس الطفل ، كذلك أجرى إنجلش تجربة أخرى ولاحظ خلالها أن إقتران الأصوات العالية بعرض بعض لعب الأطفال ولا سيما ما يشبه منها الحيوانات ، كان كفيلا أن يكسبها الصفات الطبيعية للمثيرات الأولى وهى إحداث الشعور بالخوف والفزع . ومن البديهى أن لعب الأطفال التى أصبحت مثيرة لشعور الطفل بالخوف والفزع كانت فى الأصل تجلب له الفرح والسرور . ولكن نتيجة لإقترانها ببعض الأصوات العالية ونتيجة لتكرار هذا الإقتران أصبحت مثيرة للخوف . ويعنى ذلك أنه يمكن لأى مثير جديد لا علاقة له أصلا بانفعال الخوف أن يكتسب صفة المثير الطبيعى ويحدث أثره فى غيابه .

(٣) التعليم بالاستبصار Insight

يقصد بكلمة الإستبصار نوع من التحليل الشعورى أو نوع من التحول

المفاجيء فى إدراك المجال المحيط بنا وقد يأتى هذا الإدراك المباشر فجأة أثناء معالجة مشكلة ما أو التفكير فيها . ولكن فى الغالب ما يأتى الاستبصار نتيجة لعملية التأمل والربط بين عناصر الموقف الذى يوجد فيه الكائن الحى أو عناصر المشكلة التى يتعين على الكائن الحى حلها . وبالرغم من أن هناك تعاريف متعددة لكلمة إستبصار إلا أن التعريف الذى يلائم التطبيق التعليمى هنا هو الذى يشير إلى الإستبصار كعملية عقلية بواسطتها تصبح المعانى والدلالات أو التنظيمات المختلفة لموقف ما واضحة ومدركة إدراكا صحيحا ، وكذلك فوائده واستعمالاته . ووظائفه ، كما يعنى الفهم الذى يترتب على وضوح عناصر الموقف الذى يوجد فيه الفرد . كل هذا يدخل فى العملية التى تسميها إستبصارا . ولقد حاول كهلر W. kholer توضيح معنى كلمة إستبصار بضرب مثال برجل يجلس فى الشمس وبعد فترة من الزمن يشعر برغبة الإنتقال من مكانه إلى مكان فى الظـــل . فرؤية المكان الظل يجعله يفكر فى الانتقال اليه ، وإنتشار الشمس فى المكان الذى يجلس فيه يجعله يطلب الانتقال منه حيث يوجد الظل أن إدراكه للموقف ككل ، بما فيه من أشعة شمس وما فيه من ظلال يجعله يفكر فى إعادة تنظيم الموقف وفى السلوك بحيث يكيف نفسه مع الموقف[1].

وعلى كل حال فهناك تعاريف مختلفة لكلمة إستبصار وخير توضيح لمدلولها هو ذكر خصائص عملية الاستصبار ذاتها تلك التى تشمل على العوامل الآتية :

(١) إدراك عناصر المجال وإستخدام هذه العناصر .

(٢) إعادة تنظيم هذه العناصر بما يحقق التكيف للكائن الحى .

(٣) إدراك المجال أو الموقف الذى يوجد فيه الكائن الحى ككل أو كوحدة.

(١) Khle, M', The Mentalitv of Apes, New York, 1925.

(٤) أن إدراك عناصر الموقف قد يظهر فجأة وقد يكون تدريجيا .

(٥) أن الإستبصار يوجد لدى الحيوان والإنسان بدرجات متفاوتة طبقا لمستوى الذكاء والخبرة ، فيزداد بارتفاع نسبة الذكاء .

هذا هو معنى كلمة الإستبصار التي أدخلت لتفسير عملية التعلم عند أصحاب مدرسة الجشطالت الألمانية . ومن أشهر علماء هذه المدرســة كهلر الذى قام بالعديد من التجارت الشهيره ميدان الإدراك الحسى والتعلم ، واليك وصفا لأحد تجاربه .

تجربة كهلر عن القردة :

أجرى كهلر تجربة على أحد القرود من فصيله الشمبانزى ، وهى أعلى فصائل القردة ذكاء ، وذلك بأن أدخله فى قفص وعلق فى سقف القفص كميــة من الموز ، وكان القرد فى حالة جوع . كما وضع فى أحد أركان القفص صنــدوقا خشبيا . وكان الموز معلقا فى سقف القفص على ارتفاع لا يستطيع أن يناله القرد بدون إستخدام الصندوق فى الإرتقاء لجذب الموز من السقف . ولقد لاحـظ كهلر أن القرد أخذ فى النظر إلى الفاكهة وأخـذ فى التنقل بين أركان القفص محاولا الحصول عليها . وأخيرا وقع نظره على الصندوق مصادفة فدفعه برجله تحت الفاكهة , ثم صعد عليه وجذب الموز .

وهكذا تمكن القرد من وضع الصندوق تحت الموز والارتقاء فوقه وجذب الموز وأكله وأشبع حاجته إلى الطعام .

كان هذا الموقف التجريبى يتميز بوجود دافع الجــوع لدى الحيوان أثناء التجربة وذلك ضمانا لاستثارة الحيوان وانفعاله بالموقف واستجابته له إستجابة إيجابية . وكذلك رتب هذا الموقف التجريبى بحيث تكون جميع العناصر المجال الادراكى واضحة أمام الحيوان وفى مجال إدراكه . كما نظم الموقف التجريبى

بحيث يوجد عائق ما يحول دون وصول الحيوان إلى هدفه مباشرة دون أن يعيد بنفسه تنظيم عناصر الموقف . وكان العائق فى هـذا الموقف هو إرتفاع الموز عن مدى تناول القرد ، فلم يكن للقرد أن يحصل على الموز إلا بوضع الصندوق تحت الموز والارتقاء فوقه أو عن طريق إستخدام أى اداة أخرى توجد أيضا بين عناصر المجال الادراكى ، كبعض العصى أو أغصان الأشجار أو عن طريق إستخدام كل من العصا والصندوق معا .

تفسير عملية التعلم عند كهلر

لاحظنا أنه فى تجارب كهلر كانت جميع عناصر الموقف التجريبى تقع فى مجال ادراك الحيوان ، وكانت واضحة أمامه كل الوضوح . أما تجارب ثورنديك فقد أجريت فى مجال يصعب على الحيوان ادراكه ادراكا واضحا . ويرجع ذلك إلى صعوبة الموقف وتعقيده ، فقد كان الموقف أعلى من مستوى ادراك الحيوان. أما التعلم فى تجارب كهلر فكان قائما على أساس الفهم المباشر لعناصر المجال الادراكى من حيث هو وحده أو كل واحد وكذلك يقوم التعلم على أساس إدراك ما يوجد من علاقات بين عناصر الموقف المختلفة .

وفى هذا الصدد يرى كهلر أن ادراك العلاقات القائمة بين عناصر الموقف الذى يوجد فيه الحيوان وكذلك تكوين فكرة عامة للحل الصحيح للمشكلة التى تواجه الحيوان كل هذا يدل على وجود قدرة أعلى من مجرد الحفظ الآلى الميكانيكى والتخطيط الأعمى والمحاولات العشوائية التى كان يرى ثورنديك أنها مسئولة عن حدوث عملية التعلم .

فعملية التعلم تتضمن أكثر من مجرد الارتباط الآلى بين الموقف ورد الفعل . فالتعلم يتضمن قدرة أخرى هى الذكاء الذى يصبح استبصارا حينما يعمل بطريقة

فجائية مباشرة وحاسمة لا تخبط فيها ولا تردد . كذلك ينبغى أن نشير إلى أن عملية الاستبصار لا تحدث تلقائيا ولكن لا بد لها من جهد من قبل الكائن الحى ولا بد من توفر بعض العوامل التى تساعد على حدوثها .

العوامل التى تساعد على حدوث الاستبصار :

(١) النضج الجسمى أو العضلى : يقصد به بلوغ التكوين الجسمى والعضلى للكائن الحى درجة من النضج تمكنه من القيام بالإدراك المطلوب و عملية التعلم فلا يعقل أن نضع مشكلة لغوية لطفل رضيع أو نعلق له موزا فى قفص . وعلى ذلك فلا بد من أن تكون المشكلة المراد حلها ، سواء كانت جسمية أو عقلية واقعة فى دائرة إمكانية الكائن الحى الطبيعية . ولقد وجد أن التعجل فى تعليم الأطفال بعض المهارات العضلية قبل أن تنمو عضلاتهم وعظامهم يعرضهم لكثير من المشكلات النفسية كما يعوق سير نموهم .

(٢) النضج العقلى أو القدرة العقلية . فتعلم أنماط مختلفة من السلوك يتطلب مستويات مختلفة من الذكاء وبطبيعة الحال فان للذكاء مستويات مختلفة تختلف باختلاف مركز الكائن الحى فى السلسلة الحيوانية ، كذلك فان مستوى الذكاء لا يختلف من فرد إلى آخر وإنما يختلف لدى الفرد نفسه تبعا لطور النمو الذى يمر به ، فذكاء الطفل يختلف عنه عندما يبلغ هذا الطفل رشده ، وعلى ذلك ينبغى أن تكون المشكلات المراد تعلمها فى مستوى ذكاء الكائن الحى .

(٣) تنظيم المجال الادراكى : ويقصد به تنظيم جميع عناصر الموقف تنظيما يؤدى إلى حل المشكلة . ففى تجربة القردكانت العصا والموز تقع فى خط نظر الحيوان ، وإدراك الحيوان لهذه العناصر جعل ذهنه يتوصل إلى الحل الحاسم للمشكلة . كذلك فان شعور الحيوان بالجوع وإدراكه للموز المعلق فى أعلى

القفص يخلق عند الشعور بالتوتر والقلق يدفعه بدوره للعمل على إزالة هـذا التوتر وحل الموقف المشكل ، وبالتالى الحصول على الموز وأكله وإشباع حاجـة ملحة لدى الحيوان . وعندما تحل المشكلة ويحصل الحيوان على الطعام فإن سلوك الحيوان يتغير ويصبح المجال الذى كان مشحونا بقوى مؤثرة دافعـة لسلوك الحيوان يصبح مجالا هادئا خاليا من التوتر .

(٤) الخبرة السابقة للكائن الحى : يتم التعلم دائما عن طريق إستعمال الانسان أو الحيوان لخبراته السابقة وصوغها صياغة جديدة . وكذلك صياغة المجـال الادراكى الذى يعيش فيه صياغة جديدة . وتساعد هذه الصياغة الجـديدة على تعديل سلوك الكائن الحى وبالرغم من أن أصحاب مدرسة الجشطـالت يرفضون القول بأن الخبرة السابقة هى العامل الذى يفسر عملية الإدراك إلا أن للخبرة فى نظرهم دورا فى عمليتى التعليم والإدراك .

فالخبرة أو الآلفة كما يسميها أصحاب مدرسـة الجشطالت ، هى التى تساعدنا على أن نفهم مدلول الأشياء التى نراها لأول مرة ، فنحن نقيس الأشياء الحاضرة بما نعرفه عن الأشياء المشابهة لها ، كما أننا نحاول أن نربط بين ما هو موجود فى خبرتنا الحاضرة وما نحن بصدد معرفته . ودائما ما يحدث نوع من التفاعل أو الدمج أو التكامل بين الخبرة الجديدة والخبرة السابقة . وعلى كل حال فالآلفة أو الخبرة السابقة هى التى تضفى على المدرك الجديد معناه ومغـزاه ، وعلى ذلك فإنه كلما زادت الآلفة بموضوع ما كلما سهل تعلمه .

مبادىء التعلم فى نظر مدرسة الجشطالت

هناك بعض المبادىء التى تنظم عملية التعلم عند أصحاب مدرسة الجشطالت منها ما يلى : —

(١) أن الإدراك الكلى سابق على الإدراك الجزئى ، فالفرد عندما يدرك شيئا معينا يخرج أول ما يخرج بانطباع عام وكلى ومبهم ، ثم يأخذ تدريجيا فى إدراك التفاصيل والدقائق والجزئيات ، فالفرد يستجيب للموقف المراد تعلمه ككل دون تمييز الأجزاء ودقائق الموقف المراد إدراكه ، فالطفل الصغير مثلا يستجيب لوجه أمه ككل دون أن يميز أنفها وعينها أو لون بشرتها ، بل يستجيب لها من حيث هى وحدة واحدة .

ولقد أجرى كهلر تجربة على الدجاج أسفرت عن إثبات صحة هذا المبدا . فقد أعد لوحتين مختلفتين فى اللون ووضع عليها الحبوب التى يأكلها الدجاج وجعل أرضية هاتين اللوحتين متساويتين فى كل شىء ما عدا أن الأرضية الأولى (أ) كانت رمادية ناصعة ، والأرضية الثانية (ب) كانت رمادية داكنة ولقد درب الدجاج على أن يلتقط الحبوب من الأرضية (أ) بينما كان يهش الفراخ إذا ما حاولت الإقتراب من الأرضية (ب) وبعد ٤٠٠ محاولة ، وجد أن الفراخ تتجه مباشرة إلى الأرضية (أ) لكى تأكل منها ، ولاتحاول الذهاب إلى الأرضية (ب) على الرعم من وجود الحبوب عليها ، وعلى الرغم من عدم وجود من يطردها أو يهشها . وهكذا تم تعليم الدجاج أن يأكل من (أ) وأن يبتعد عن (ب) . واستكمالا لهذه التجربة استبدل كهلر الأرضية (ب) بأرضية أخرى (ج) وكانت شديدة النصاع أى أكثر نصاعا من الأرضية (أ) تلك التى تعود الدجاج أن يأكل منها ، ثم وجد كهلر أن الدجاج إتجه على الفور إلى الأرضية الجديدة (ج) وأخذ فى الأكل منها ، ولم يهتم بالأرضية (أ) التى سبق أن تعود أن يأكل منها . وهنا نلاحظ أن الدجاج استجاب للموقف ككل . فهو لم يدرك الأرضية الرمادية (أ) فى ذاتها وإنما أدركها فى علاقتها بغيرها ، أنه إستجاب لها كعنصر من كل متكامل . فقد فقد إستجاب لدرجة النصوع بين الأرضيتين وليس للأرضية فى حد ذاتها .

(٢) يتم التعلم عن طريق التمييز Discrimination بين عناصر الموقف، فالإنسان يدرك العناصر المكونة للموقف على أنها ذات استقلال خاص، وفى نفس الوقت لها علاقة بغيرها من العناصر الأخرى الموجودة معها فى الموقف، فالتعلم، كالإدراك، يسير من الكليات المبهمة إلى الجزئيات المفصلة الدقيقة.

(٣) اعادة تنظيم Reorganizstion أجزاء المجال فى كل جديد، فبعد أن يتم تحليل الموقف، وإدراك أجزائه وإدراك علاقة كل بالآخر، فان الإنسان يسعى إلى صياغة هذه الأجزاء فى كليات جديدة. وفى هذا النوع من التعلم يكون الفرد كلا جديدا، وذلك لحل المشكلة التى تواجهه وذلك عن طريق وضع تنظيم جديد للاجزاء التى أدركها، فالقرد فى تجربة كهلر، بعد أن أدرك القفص والموز والعصا كون منها جميعا كلا جديدا لم يكن له سابق خبرة به، وأن يستعمل العصا كأداة لجذب الموز مع أنه لم يسبق له الخبرة بهذا الاستعمال.

(٤) التعميم Generalization ويبدو التعميم عندما يستخدم الفرد أحد الموضوعات التى سبق له أن استخدمها فى مواقف جديدة تختلف عن المواقف الأولى التى استخدمها فيها. ففى تجربة كهلر أيضا استطاع القرد أن يستخدم أشياء مختلفة للوصول إلى هدفه، فلما لم يجد هناك شيئا ليجلب الموز به، كسر أحد فروع شجرة يابسة كانت فى القفص واستعمله لهذا الغرض، كذلك لجأ القرد إلى الإستعانة ببعض الصناديق للحصول على الموز، وفى محاولة ثالثة استطاع القرد أن يوصل عصاتين قصيرتين، ويعمل منهما عصا واحدة طويلة ثم استخدمها فى الحصول على الموز.

الفصل الثالث عشر

تكامل هذه النظريات

لا شك أن عملية التعلم ليست عملية بسيطة بل هى عملية معقدة ، تدخل فيها عمليات عقلية مختلفة ، كما أن التعلم يشمل كل تغيير يطرأ على سلوكنا أو خبراتنا وميولنا وإتجاهاتنا وأفكارنا كما أن له صورا مختلفة ودرجات متفاوتة من الصعوبة ، على ذلك فلا يمكن تفسير عملية التعلم بنظرية واحدة . ولقد نظرت كل نظرية من نظريات التعلم سالفة الذكر إلى جانب واحد أو صورة واحدة من صور التعلم ، ومن أجل ذلك جاءت نظريات بتراء غير كاملة ، كما جاءت مسرفة فى التعميم .

والواقع أن كل نظرية من نظريات التعلم تفسر نوعا معينا من التعلم ، فالتعلم عن طريق المحاولة والخطأ واضح فى تعلم المهارات الحركية وفى حل المشكلات المعقدة ، وكذلك التعلم الشرطى يتم بواسطته إكتساب العادات كذلك فان هناك تعلما بالاستبصار أى يقوم على أساس الادراك الفجائى لعناصر الموقف ، وما بينهما من علاقات وعلى أساس الفهم والتفكير . وعلى ذلك يتضح لنا أن نظريات التعلم المختلفة ليست متناقضة ولكنها متكاملة أى يكمل بعضها بعضها . والواقع أن طرق التعلم المختلفة لها مستويات مختلفة فى تركيب الكائن الحى ، فالتعلم الشرطى مثلا يحدث على المستوى الفسيولوجى ، أما التعلم بطريق المحاولة والخطأ فيحتاج إلى بعض التفكير للاستفادة من الخبرات السابقة . أما طريقة التعلم بالاستبصار فانها أرق الطرق جميعا من

حيث أنها تتطلب النضج العقلى للكائن الحى ، حتى يستطيع أدراك العلاقات القائمة فعلا بين الأشياء ، وأن يبتكر هو علاقات جديدة ويرى فى العناصر التى يدركها وظائف جديدة . وإذا أردنا أن نحدد الطريقة التى يتعلم بها الكائن البشرى لاستطعنا أن نقول أن الإنسان يلجأ إلى طرق مختلفة طوال مراحل نموه المختلفة ، فالطفل الرضيع يكتسب كثيرا من العادات السلوكية والحركية بواسطة الارتباط الشرطى ، وبتقدم الطفل فى العمر تنمو قدراته العقلية ويبدأ فى إكتساب الخبرات عن طريق المحاولة والخطأ وعن طريق ما يقوم به من تجريب وتقليد . وباستمرار تقدم الطفل فى العمر وبأقترابه من مستوى النضج العقلى ، يبدأ فى تعلم خبرات جديده بطرق الأستبصار وإدراك العلاقات

والأمثلة التى توضح هذه الافتراضات كثيرة ومتنوعة ، فمعظم مخاوف الطفل الصغير تتكون بواسطة الإرتباط الشرطى ، وكذلك فإن إستجابة الطفل بالكف عن البكاء كلما وضع بين يدى أمه جاءت نتيجة لإرتباط وجه أمه بإشباع حاجة الطفل إلى طعام وشعوره بالراحة والدفء ، ويؤدى تكرار هذا الأرتباط الشرطى إلى أن يصبح وجود الأم وحده كافا لان يشعر الطفل بالسعادة .

ونحن نلاحظ على الطفل الصغير عندما يتقدم به العمر نسبيا ، أنه يسعى عن طريق المحاولة والخطأ أن يقوم بالسلوك الصحيح فى معظم مناشطه اليومية فهو يحاول أن يضع ملابسه بنفسه ويفشل فى ذلك مرات كما أنه يحاول أن يتناول الطعام بنفسه مستخدما أدوات المائدة . كذلك فأنه يحاول المشى والجرى والتقاط الاشياء وتناولها عن طريق جهده الذاتى .

وعندما يكتمل النضج العقلى للطفل فإنه يسعى لإكتساب مهارات جديدة

عن طريق الفهم وإدراك العلاقات ، فهو يتعلم كيف يعامل الناس وكيف يتصرف تصرفا اجتماعيا مقبولا فى المواقف الاجتماعية المختلفة .

وتجدر الأشارة أنه على الرغم من إمكان وجود مثل هـذا النوع من التمييز بين طرق التعلم المختلفة ، إلا أنها ليست مستقلة تمام الإستقلال بل إنهـا متكاملة ويظل يمارسها الفرد طوال حياته . ولكن الأسلوب العام الذى يتخذه فى حل مشكلة ما قد يغلب علية المحاولة والخطأ أو الإستبصار أو الاشتراط وتبقى الطرق الأخرى ولكن بصورة أقل وضوحا وتأثيرا .

الفصل الرابع عشر

شروط التعلم الجيد وتطبيقها

في التحصيل الدراسي

عرفنا أن التعلم هو تغير في سلوك الكائن الحي ، لا يحدث ارتجالا ولكنه يخضع لشروط معينة. وكلما توخى المتعلم هذه الشروط كلما كان أقدر على التعلم إن معرفة هذه الشروط تساعد المتعلم على اكتساب الخبرات الجديدة كما تساعد المعلم على أداء رسالته التربوية بصورة أكثر فاعلية .

ومن الشروط التي تساعد على عملية التعلم ما يلي :

١) شرط التكرار :

من المعروف أن الانسان يحتاج إلى تكرار الآداء المطلوب لتعلم خبرة معينة حتى يتمكن من إجادة هذه الخبرة . فالتكرار — ولا نقصد بذلك التكرار الآلي الأعمى ولكن التكرار الموجه — يؤدي إلى الكمال ، فلكي يستطيع الطالب أن يحكم حفظ قصيدة من الشعر فانه لابد من أن يكررها عدة مرات . وكذلك تعلم ركوب الدراجات يحتاج إلى كثير من التكرار والممارسة الفعلية لهذا النشاط ويؤدي تكرار وظيفة معينة أن تصبح ثابتة وكذلك يؤدي التكرار إلى نمو الخبرة وارتقائها بحيث يستطيع الإنسان ان يقوم بالآداء المطلوب بطريقة آلية وفي نفس الوقت بطريقة سريعة ودقيقة . فالتكرار الآلي الاصم لا فائدة منه لإن فيه ضياع للوقت والجهد وفيه جمود لعملية التعلم ، ويؤدي إلى عجز المتعلم عن الارتقاء بمستوى ادائه . اما التكرار المفيد فهو التكرار القائم على اساس الفهم وتركيز الانتباه والملاحظة الدقيقة ومعرفة معنى ما يتعلمه الفرد .

فالتكرار وحده لا يكفى لعملية التعلم إذ لابد أن يكون مقرونا بتوجيه المعلم نحو الطريقة الصحيحة ونحو الإرتفاع المستمر بمستوى الأداء .

٢) شرط الدافع :

لحدوث عملية التعلم لابد من وجود الدافع الذى يحرك الكائن الحى نحـو النشاط المؤدى إلى إشباع الحاجة ، وكلما كان الدافع لدى الكائن الحى قويا كان نزوع الكائن الحى نحو النشاط المؤدى إلى التعلم قويا أيضا . ولقد رأينـــا فى تجارب التعلم أن الجوع كان دافعا ضروريا لحدوث عمليةالتعلم ، فكما رأينا أن إشباع دافع الجوع كان يؤدى إلى شعور الحيوان بالرضا والارتياح . فالثواب والعقاب لهما أثر بالغ فى تعديل السلوك وضبطه لأن الأثر سواء أكان طيبا أو ضارا ، يؤدى الى حدوث تغيير السلوك .

فالقطة التى تعاقب كلما سرقت طعاما معينا تتجنب الاتيان بمثل هذا السلوك وكذلك فان الطفل الذى لا يجد استجابة مرضية من أمه عنـدما يقبول أمام ضيوف الأسرة مثلا يكف بالتدريج عن الاتيان بمثل هذا السلوك ولكن ينبغى أن نسعى إلى أن تكون دوافع التعلم دوافع مرضية تؤدى إلى الشعور بالرضا والسعادة فمن الأفضل أن تتم عملية التعلم فى ظروف المرح والشعور بالثقـــه بالنفس بدلا من الشعور بالخوف والرهبة والعقاب ولذلك ينبغى أن نعـود التلاميذ على التمتع بلذة النجاح وتجنب آلام الفشل . ومهما يقال من ضرورة وجود الثواب أحيانا والعقاب أحيانا أخرى فاننا يجب أن نكون معتدلين فى كلاهما . فلا إفراط فى قسوة العقاب ولا أفراط فى التقريظ والمدح بل لابد من الوقوف موقفا معتدلا حتى لا يفقد المديح قيمته وحتى لا ترتبط العملية التعليمية بمشاعر السخط والغضب .

٣) التدريب أو التكرار الموزع والمركز

يقصد بالتدريب المركز ذلك التدريب الذى يتم فى وقت واحد وفى دورة واحدة. أما التدريب الموزع فيتم فى فترات متباعدة تتخللها فترات من الراحة أو عدم التدريب . ولقد وجد أن التدريب المركز يؤدى إلى التعب والشعور بالملل . كما أن ما يتعلمه الفرد بالطريقة المركزة يكون عرضة للنسيان وذلك لأن فترات الراحة التى تتخلل دورات التدريب الموزع تؤدى إلى تثبيت ما يتعلمه الفرد. هذا إلى جانب تجدد نشاط المتعلم بعد فترات الإنقطاع وإقباله على التعلم باهتمام أكبر .

فقصيدة الشعر التى تريد حفظها والتى يحتاج منك حفظها إلى تكرارها نحو خمس ساعات تستطيع أن تقوم بهذا التدريب بالطريقة المركزة دفعة واحدة ، كما تستطيع أن توزع هذه الساعات الخمس على خمسة أيام وبذلك تتبع منهج التدريب الموزع .

ولقد أجريت بعض التجارب التى أثبتت أن التدريب الموزع خير من التدريب المتصل ، ففى إحدى التجارب كلف جماعة من الطيارين المقاتلين القيام بأنى جولة للتدريب على أصابة هدف معين . وقام فريق منهم بهذا التدريب فى أربع رحلات ، بينما قام به الآخرون فى ثمانى رحلات وكانت النتيجة أن كان طيارو الفريق الثانى أكثر دقة وأصابة للهدف من طيارى الفريق الأول (١)

٤ ـ الطريقة الكلية والطريقة الجزئية :

هل الأفضل فى تعلم قصيدة من الشعر مثلا أن يحصلها الطالب كلها دون تجزئة أم الأفضل أن يقسمها إلى أجزاء ثم يحفظ جزءا جزءا ؟

---

(١) راجع د . أحمد عزت راجح ـ أصول علم النفس .

لقد أثبتت التجارب أن الطريقة الكلية تفضل الطريقة الجزئية حين تكون المادة المراد تعلمها سهلة وقصيرة . كلما كان الموضوع المراد تعلمه مسلسلا تسلسلا منطقيا أو طبيعيا كلما سهل تعلمه بالطريقة الكلية . فالموضوع الذى يكون وحده طبيعية يكون أسهل فى تعلمه بالطريقة الكلية عن الموضوعات المكونة من أجزاء لا رابطة بينها والمعروف أن الإدراك وهو العملية التى تشبه عملية التعلم إلى حد كبير ، تسير على مبدأ الإنتقال من إدراك الكليات المبهمة العامة إلى إدراك الجزئيات المميزة . فالإنسان يدرك صيغا كلية عامة .

ثم تأخذ الوحدات المميزة فى الظهور والوضوح تدريجيا . وكذلك الحال فى مجال التعلم يجب أن يأخذ الطالب فكره عامه إجمالية عن الموضوع المراد تعلمه ثم يأخذ بعد ذلك فى إستيعاب الأجزاء والتفاصيل والوحدات الصغرى . من المبادىء العامة فى عملية الإدراك أن الكل هو الذى يعطى الأجزاء المكونة له معناها ومدلولها ، فالكلمة ليس لها معنى محددا إلافى إطار الجملة (الكل) التى تنتمى اليها ، وكذلك الجملة ليس لها معنى محددا إلا فى إطار الكل الذى تنتمى اليه .

٥) التسميع الذاتى :

وهو عملية يقوم بها الفرد محاولا استرجاع ما حصله من معلومات ، أو ما اكتسبه من خبرات ومهارات، وذلك أثناء الحفظ وبعده بمدة قصيرة . ولعملية التسميع هذه فائدة عظيمة إذ تبين للمتعلم مقدار ما حفظه وما بقى فى حاجة إلى مزيد من التكرار حتى يتم حفظه . وإلى جانب هذا فمن طريق عملية التسميع يستطيع الفرد أن يجد الحافز على بذل الجهد وعلى مزيد الأنتباه فى الحفظ . فما يشعر به الحافظ من متعة النجاح أو من ألم الخيبة يدفعه إلى إجادة عمليه الحفظ . ومن البديهى أنه لا ينبغى أن يبدأ المتعلم فى عملية التسميع إلا بعد

فهم المادة وأستيعابها ، إذ التعجل فى عملية التسميع مدعاة إلى شعوره بالفشـــل والاحباط .

٦ ـ الارشاد والتوجيه :

لا شك أن التحصيل القائم على أساس الإرشاد والتوجيه أفضل من التحصيل الذى لا يستفيد فية الفرد من إرشادات المعلم. فالإرشاد يؤدى إلى حدوث التعلم بجهود أقل وفى مدة زمنية أقصر عما لو كان التعـلم بدون إرشـاد . فالإرشـاد يؤدى إلى اختصار الوقت والجهد اللازمين لتعلم شيء ما . ويجب أن تكون الإرشـادات ذات صبغة إيجابية لا سلبية وأن يشعر المتعلم بالتشجيع لا بالإحباط ويجب أن تكون الإرشادات بطريقة متئدة ومتدرجة . كما ينبغى أن يوجـه المعلم ارشاداته إلى تلاميذه فى المراحل الأولية من عملية التعلم وذلك حتى يبدأ التلاميذ تحصيلهم متبعين الطرق الصحيحة منذ البداية . ويجب الإسراع فى تصحيح الأخطاء أولا بأول وذلك حتى لا تثبت فى خبرة المتعلم وتصبح مهمة المعلم طويلة وشاقة ومزدوجة وهى فى هذه الحالة تصحيح الأخطاء ثم توجيه الإرشـاد من جديد . فلا شك أن حفظ كلمة أجنبية وحفظ نطقها نطقا خاطئا يتطلب أولا أن ينسى أو أن يزيل المتعلم ذلك النطق الخطأ ثم يبدأ فى تعلم النطق الصواب .

٧) معرفة المتعلم نتائج ما تعلمه بصفة مستمرة :

يقال إنك لو كنت ترمى هدفا برمية مرات متتابعـة ولم تعرف نتـــائج ضرباتك ، فان تعلمك اصابة الهـدف لن يكون دقيقـا ، على حين أن معرفتك بنتيجة كل رمية تعينك على تكييف رميتك . فان كانت أعلى من الهدف خفضتها، وإن كانت أسفل الهدف رفعتها وإن جاءت إلى يساره جعلت رميتك إلى ناحية اليمين وهكذا ، ولقد اثبتت التجربة أن ممارسة الفعل دون معرفة بالنتـــائج لا تؤدى إلى حدوث التعلم الجيد ، فمعرفة المتعلم بمقدار ما أحرزه من نجاح

أو ما هو عليه من تقصير يدفعه إلى بذل مزيد من الجهد للمحافظة على مستواه إن كان حسنا وللحاق بغيره إن كان مقصراً . فمعرفة المتعلم بنتائج تحصيله تجعله يعمل على مباراة نفسه ومباراة زملائه ، فيسعى دائما إلى أن ينافس نفسه وأن يتفوق على زملائه . أما عدم معرفة النتائج فقد تلقى فى روع الفرد أنه قد وصل إلى القمة فلا يبذل جهدا وقد يلقى فى روعه أنه لا يحرز أى تقدم فتفتر همته ويضعف حماسه .

كذلك فان معرفة نتائج التحصيل تبين للمتعلم الطرق الصحيحة والطرق الخاطئة فى إكتساب المهارات أو الخبرات المطلوبة ، وعلى ذلك يتبع الطريقة الناجحة .

٨) النشاط الذاتى :

لا شك أن النشاط الذاتى هو السبيل الأمثل الى اكتساب المهارات والخبرات والمعلومات والمعارف المختلفة . فأنت لا تستطيع تعلم السباحة إلا عن طريق ممارسة السباحة نفسها ولا يمكن أن تتقن تعلمها من كتاب مصور أو من سماع محاضرة عنها أو القراءة عن وصفها . وكذلك فانك لا تستطيع أن تتعلم ركوب الدراجات إلا عن طريق ما تبذله من جهد ذاتى فى هذا النشاط ، كذلك فانك لا تستطيع أن تتعلم فن الخطابة إلا بالمران عليها وممارستها بنفسك . وكذلك الحال فالإنسان لا يستطيع أن يتعلم التفكير إلا بالممارسة ، بممارسة عملية التفكير نفسها والحكم على الأشياء وتقديرها . وعلى الرغم من أن للمعلم دورا هاما فى توجيه طلابه وإرشادهم إلا أن ذلك لا يعنى قيامه بالتعلم نيابة عنهم وفى هذا الصدد يقال إن التعلم الجيد هو الذى يقوم على النشاط الذاتى للمتعلم فالمعلومات التى يحصل عليها الفرد عن طريق جهده ونشاطه الذاتى تكون أكثر ثبوتا ورسوخا وأكثر عصيانا على الزوال والنسيان ، أما التعلم القائم على التلقين

والسرد والإلقاء من جانب المعلم فإنه نوع ردىء من التعلم ، فكما أن المعلم لا يستطيع أن يهضم للتلاميذ ما فى بطونهم من طعام كذلك فإنه لا يستطيع أن يهضم لهم ما يتلقون من معلومات . فجهود المعلم يجب أن تنصب على إثارة اهتمام التلاميذ ونشاطهم الذاتى . ونمو الشخصية ، بجميع سماتها وقدراتها ، إنما يحدث نتيجة لما يبذله الفرد من جهد ونشاط ذاتى . ومهمة المعلم الحقيقية هى أن يساعد تلاميذه لكى يتعلموا بأنفسهم .

الفصل الخامس عشر

العمليات العقلية التى تسهم فى عملية التعلم

إن التعلم ليس عملية بسيطة ، وإنما هو عملية معقدة ، تسهم فيها كثير من العمليات العقلية العليا لدى الكائن الحى. فالتعلم ، بدوره ينمى قدرات الإنسان فى الإدراك والوجدان والنزوع . ومن العمليات العقلية العليا التى تسهم فى عملية التعلم التذكر والحفظ والإستدعاء والتعرف والتفكير . فالفرد يعى ما تعلمه ، ويتذكره ويستدعى ما مر به من خبرات ، كما يتعرف على الموضوعات التى سبق له أن تعلمها.

١) التذكر Remembering

عرفنا أن الإدراك هو العملية التى يتم بواسطتها إنتقال العالم الخارجى ، بما فيه من موضوعات إلى الإنسان ، وبعبارة أخرى فإن حواسنا عبارة عن النوافذ التى نطل بها على العالم الخارجى ولكن لدى الإنسان قدرة أخرى ، إلى جانب قدرته على الإدراك بواسطتها يستطيع أن يدرك الماضى وأن يسترجع ما سبق أن مر بخبرته ، أى ما سبق أن أدركه الإنسان هى التذكر فالتذكر عبارة عن استرجاع المعلومات والخبرات التى سبق للفرد أن حصلها . فأنت تتذكر إسم صديقك الذى عرفته منذ زمن بعيد . وتتذكر قصيدة الشعر التى سبق أن حفظتها كما تستطيع أن تتذكر ما وقع لك من حوادث . وما شاهدته من مناظر طبيعية ومواقف اجتماعية ، وبطبيعة الحال يسترجع الإنسان كل ذلك فى ذهنه عن طريق الصور الذهنية ولكن هناك أشياء أخرى نستطيع أن نتذكرها ، ونعنى بها تذكر العادات والمهارات الحركية التى سبق أن تعلمناها . فنحن نتذكر عملية الا باحة أو تشغيل آلة من الآلات ، فالتذكر إذا عبارة عن إحيـــاء لكل ما إكتسبه

الانسان فى الماضى ، سواء كان ذلك الفـــاظا أم أفعالا أم أحداثا ولـكن أكثر الذكريات قوة ووضوحا الصور الذهنية البصرية والصور السمعية . فهى أكثر وضوحا من الصور الشمسية واللمسية والذوقية . وتصنح الصور الذهنية أكثر سهولة التذكر عندما تقترن بالصـــور السمعية والبصرية معا . فتذكرك لشىء سمعت وصفه من مدرسك ورأيته بنفسك يعد أكثر سهولة من تذكـر شىء سمعت عنه فقط . وهذا يفسر الاهتمام فى تدريس المواد العلمية باستخدام وسائل الإيضاح السمعية والبصرية . كما يفسر سهولة تذكر ما نشاهده ونسمعه على شاشة التلفزيون والسينما .

وتعتمد عملية التعلم إعتمادا كبيرا على التذكر ، فتذكرنا للإسلوب الذى سبق أن عالجنا به مشكلة ما تساعدنا على حل هـذه المشـــكلة فى الوقت الحاضر أو يساعدنا على حل كل ما يجابهنا من المشكلات التى تشابه المشكلة الأولى .

ويجدر بنا أن نلاحظ أن عملية التذكر ليست هى الأخرى عملية بسيطة، بل إنها عملية معقدة تعتمد على عمليات أخرى مثـل الحفظ Retention ، كما أن للتذكر صورتان هما التعرف Recognition والاستدعاء Recall . وسـوف نعرض لك وصفا لها فى هذا الفصل .

٢) الحفظ Retention :

إن الحفظ عبارة عن إستمرار قدرة الفرد على اداء عمل ما سبق أن تعلمه وذلك بعد فترة من تعلمه لم يمارس خلالها هذا العمل .

قلنا إن الانسان يستطيع أن يسترجع ما سبق أن تعلمه وأن يستخدم خبراته السابقة فى حل المشكلات الراهنة . وإستدعاء الانسان لما سبق أن تعلمه دليل على أن العقل قد إحتفظ بأثر ما تعلمه . ولـكن يلاحظ أننا ننسى بمضى الزمن ما تعلمناه أو جزءا كبيرا منه ولـكن على كل حال يظل أثر الحفـــظ باقيا فى

عملية التعلم حيث أننا نستطيع أن نعيد تعلم ما نسيناه بمجهود قليل . ولذلك فاننا نود لو إستطعنا أن نحتفظ بكل ما نتعلمه حتى نستطيع أن نستخدمه فى التغلب على كل ما يجابهنا من مشكلات . ولكن دل التجريب على أن الحفظ قدرة طبيعية فى الانسان وأنها تختلف من فرد الى آخر . أى أن هناك فروقا فردية واسعة فى مدى ما يمكن أن يحفظه الانسان ، ولكن مع ذلك هناك بعض الأدلة التى تثبت أن حفظ الأشياء التى نفهمها يكون أكثر ثبوتا من حفظ الأمور التى لا نفهم معناها ، فحفظ قائمة من الالفاظ عديمة المعنى يكون أكثر تعرضا للنسيان Forgetting من حفظ قائمة أخرى مماثلة ولكنها ذات معنى ... كذلك فان حفظ الأشياء التى صحبتها خبرات إنفعالية سارة أو مؤلمة تكون أكثر سهولة من حفظ الأشياء المحايدة ، كما أن لفترات الراحة التى تعقب عملية الحفظ أثر طيب على بقاء الذكريات فى الذهن . ولكن إنشغال الذهن بموضوع آخر عقب الانتهاء من حفظ الموضوع الأول يؤدى هذا النشاط الذهنى إلى نسيان قدر كبير من الموضوع الأول . وعلى كل حال يتوقف هذا الأثر على مقدار ما يوجد بين الموضوعين من علاقات ، فاذا كان هناك ارتباط بينهما قلت نسبة النسيان .

بقى أن نلاحظ أن القدرة على الحفظ تتوقف على درجة ذكاء الفرد وسنه وطريقته فى التعلم وإهتمامه بما يتعلم من موضوعات .

٣) الاستدعاء Recall :

الاستدعاء عبارة عن العملية التى بواسطتها تستثار خبرة سابقة .

يقصد بالاستدعاء إسترجاع الخبرات القديمة عن طريق الصور الذهنية Images أو الألفاظ مع يصاحبها من الظروف المكانية أو الزمنية أو الإنفعالية والفرق بين الاستدعاء والادراك هو إحياء الخبرات السابقة دون وجود مثيراتها الأصلية، فأنت تستطيع أن تستدعى بذاكرتك ما قاله مدرس التاريخ بالأمس دون أن

تراجع مذكراتك ، وأنت فى موقف الامتحان عندما تحاول أن تجيب على أسئلته إنما تستدعى المعلومات التى سبق لك تحصيلها فى غيبة مثيراتها الأصلية .

وهناك فى الواقع نوعان من الإستدعاء : نوع مباشر ونوع غير مباشر ، فالإستدعاء ، المباشر هو الذى يحدث تلقائيا عندما تعود بذاكرتك وخبراتك إلى رحلة الصيف الماضى أو معلوماتك فى نظرية المعرفة مثلا أو مربع أرسطو . أما الإستدعاء الغير مباشر فهو الذى يحدث نتيجة لوجود مثير يعمل على إستدعاء ذكرياتك ، فسؤال معين فى الامتحان يستدعى فى ذاكرتك الحقائق المطلوبة أو رؤيتك لأحد أصدقائك تذكرك بصديق آخر أو بالمكان الذى التقيتما فيه . فالفكرة تستدعى فكرة أخرى أو تستدعى سلسلة من الأفكار المترابطة ولذلك كلما كانت المعلومات الدراسية مترابطة فى ذهن الطالب كلما سهل إستدعاؤها .

وهنا قد يتساءل البعض هل يمكن للفرد أن يقوى قدرته على الاستدعاء ؟ وبالرغم من أن القدرة على الاستدعاء قدرة طبيعية إلا أن هناك بعض العوامل التى تسهل عملية الاستدعاء . منها الاهتمام أى إهتمام الفرد بما يتعلم والتحمس لحفظه والتفكير فيه بين الحين والحين ، كذلك ربط الخبرات بمشاعر إنفعالية سارة تساعد على إستدعائها . كذلك من العوامل التى تساعد على الاستدعاء الاسترخاء وعدم بذل الجهد ، ففى حالة ما يستعصى عليك تذكر موضوع ما فانك إذا استرخيت وأبعدت عن فكرك كل ما يمكن أن يجول بخاطرك فان الموضوع يهبط إلى ذهنك .

٤) التعرف Recognition

التعرف عبارة عن عملية يلم فيها الانسان بموضوع سبق أن أدركه Previously perceived

يستطيع الإنسان أن يتعرف على الناس والأشياء والموضوعات التي سبق له أن خبرها ، فأنت تستطيع أن تتعرف على صديقك الذى زاملته فى المدرسة الابتدائية إذا قابلته الآن حيث تأخذ عند رؤيته فى التفكير فى إسمه وأين قابلته ومدى صلتك به . والتعرف يعتمد على الخبرات السابقة وعلى التعلم ، ولكن يختلف عن الإستدعاء من حيث أن التعرف يبدأ بالموضوع المراد التعرف عليه ، فهو الذى يثيرنا نحو التعرف . أما الإستدعاء فانه يبدأ بمثير آخر كسؤال الامتحان الذى يستدعى معلوماتك السابقة . وقد يكون الاستدعاء كما عرفنا بلا مثير على الاطلاق . ومن الواضح أن التعرف أسهل من الاستدعاء حيث أننا فى التعرف نكون أمام الموضوع المتعرف عليه ولكن فى الإستدعاء نعتمد على الصور الذهنية ، ففى التعرف يكون موضوع التعرف ماثلا امام حواسنا .

٥) التفكير Thinking

هناك علاقة وثيقة بين عملية التفكير وعملية التعلم ، ففى المواقف التعليمية رأينا أنه كان هناك مشاكل معينة تواجه الكائن الحى وتخلق عنده نوعا من التوتر والقلق لا يزول إلا عندما يتغلب على المشكلة . أى عندما يتعلم طريقة حلها . فالمشكلة موقف يتعذر الوصول إلى حله بالطرق التى إعتادها الكائن الحى نظرا لوجود عائق أو حائل يقف بين الكائن الحى وبلوغ هدفه . وقد يقال إن التفكير سمة يختص بها الإنسان ولكن الواقع أن الحيوان أيضا ، كما رأينا فى التجارب التعليمية السابقة ، قادر على التفكير وإن كان على مستوى أقل من مستوى قدرات الإنسان . وبواسطة التفكير يستطيع الكائن الحى أن يدرك علاقات جديدة بين العناصر المكونه للموقف ، وأن يدرك وظائف جديدة لهذه العناصر ومن المعروف أن التفكير من الوظائف العقلية العليا وأنه مظهر من

مظاهر الذكاء ، ولكن يختلف التفكير عن الذكاء من حيث أنه وظيفة عقلية يمكن التدريب عليها وتوجيه الفرد فيها . ولذا فإن التربية الحديثة تستهدف تدريب التلاميذ على أساليب التفكير العلمى الدقيق والمنظم .

وبعد عرض وتفسير عمليـــة التعلم يبرز أمامنا سؤال وهو هل يمكن أن يستفيد الفرد مما يتعلمه فى موضوع ما فى تعلم موضوع آخر ؟ بمعنى هل تستفيد فى تعلم اللغة الفرنسية من معلوماتنا السابقة فى اللغة الأنجليزية ؟ فى الإجابة على هذا السؤال تكمن مشكلة إنتقـــال أثر التدريب وهى موضوع عرض الفصل القـادم .

الفصل السادس عشر

إنتقال أثر التدريب

Transfer of Training

Transfer of training = change in — learning in one situation due to prior, — learning in another situation, can be positive, with second learning improved by the first, or negative, where the reverse (1) "holds".

هل يمكن أن ينتقل أثر ما يتعلمه الفرد فى مجال معين إلى مجال آخر ؟ لعلاج هذه المشكلة سوف نعرض فكرة مبسطة عن مشكلة إنتقال أثر التدريب . يطلق اصطلاح انتقال أثر التدريب على تأثير ما يتلقاه الفرد من تعليم أو تدريب أو ما يكتسبه الفرد من خبرات فى مجال معين غير المجال الذى تدرب فيه الفرد . وبطبيعة الحال ينطبق هذا على المهارات الحركية والعقلية . ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة فى كثير من مظاهر حياتنا اليومية ، فان تعلمك قيادة نوع معين من السيارات يساعدك فى تعلم قيادة نوع آخر من السيارات لم يسبق لك التدريب على قيادته . ويعنى ذلك أن أثر ما تعلمته فى الخبرة الأولى قد انتقل إلى الخبرة الثانية . وعلى ذلك فأنت هنا استخدمت نفس المبادىء ونفس العادات والمهارات الذهنية والحركية التى استخدمتها فى الخبرة الأولى . ولكن هل يمكن القول بأن التدريب على العمليات الحسابية يقوى تفكير الفرد بوجه عام ، أو أن حفظ الشعر يقوى الذاكرة بوجه عام ، إن لهذه المشكلة تاريخ طويل يرجع إلى ما

---

(١) المرجع السابق .Sanford

عرف فى تاريخ علـــم النفس باسم (نظرية الملـــكات والتدريب الشكلى) Theory of Faculty and formal discipline التى كانت ترى أن العقـــل الإنسانى يتـكون من عدة ملكات مستقلة Faculties وأنه يمكن تقوية هذه الملكات عن طريق تدريب الفرد فيها فى أى ناحية من نواحى الملكة . ومن أمثلة هذه الملكات ، ملكة الذاكرة والتفـكير والتخيل والتصور . ولـكن علماء النفس فى العصر الحديث مثـــل ثورنديك وودورث woodworth شكوا فى صحة هذه النظرية فأجروا العديد من التجارب التى أثبتت أن أثر التدريب خاص وليس عاما . فتدريب الطفل على حفظ الشعر يقوى ذاكرته فى حفظ الشعر فقط وليس له أثر فى حفظ أمور اخرى كحفظ الأرقام والأماكن ، فانتقال أثر التدريب يحدث بالنسبة للأمور المتشابهة (Similarity Factor) أو فى أمور كالتى يوجد بينها عناصر مشتركة أى بين ما تعلمه الفرد فى الموقف الأول وما تعلمه فى الموقف الثانى فالتدريب على عملية الطرح مثلا ينتقل أثره إلى عملية القسمة لأن عملية القسمة تتضمن عملية الطرح . كذلك فان تعلم الفرنسية يفيد فى تعلم الإيطالية ذلك لوجود تشابه فى الالفاظ وأصول الكلمات فى اللغتين ، ولـكن من الواضح أن تعلم اللغة الفرنسية لايفيدك فى تعلم ركوب الدراجات أو فى تعلم السباحة

وكذلك اسفرت التجارب عن إمكان إنتقال اثر التدريب بسهولة كبيرة فى التعليم القائم على الاسس الصحيحة للتعلم ، كالتيقظ والتركيز والتأليف والتسميع وإتباع الطريقة الكلية والفهم والاستبصار وغير ذلك .

ولقد وجد ان التعلم الذى يقوم على اساس التعليم والتطبيق ينتقل اثره اسهل عن التعلم الاصم الذى يلقن فيه الطالب نتفاً مستقلة ومنعزلة من المعرفة لا يعرف فوائد تعلمها ولا يعى ما يمـــكن ان تطبق فية من مجالات كما لا يدرك

ما بينها وبين غيرها من المعارف من صلات ولا يعرف كيف يعممها على عدد من المواقف المتقاربة ولا يستطيع إدراك العلاقة المشتركة بين عدد من الموضوعات ويبدو التعميم فى تطبيق المنهج العلمى مثلا فى حل المشكلات الإجتماعية والشخصية أو فى إحترام القانون فى جميع المواقف أو فى مراعاة الطفل لأن يكون نظيفا بوجه عام ، فى ملبسه ومظهره وأدواته وفى المنزل والمدرسة . الخ . ويقوم التعليم الجيد على أساس مساعدة الطالب على إكتشاف العلاقات بين ما يتعلمه فى حجرة الدراسة وما يوجد فى المجتمع الخارجى ، وعلى تطبيق ما يتعلمه من مبادىء وقواعد على مواقف جديدة . ويعبر عن هذا المبدأ بالانتقال عن طريق المنهج المتبع فى التحصيل Technigues and principles.

ويجب أن نذكر أن إنتقال أثر التدريب لا يكون دائما إيجابيا ، فقد يحدث تعلم موضوع ما أثرا سلبيا فى تعلم موضوع آخر ، بمعنى أن يعوق التدريب على وظيفة معينة التدريب على وظيفة ، أخرى فتعلم الكتابة بلغتين مختلفتين كالعربية والانجليزية فى وقت واحد يعوق تقدم الطفل الصغير فى تعلمها معا ويعرف ذلك بالانتقال السالب Negative transfer of training .

اسئلة تطبيقيه وتدريبات عملية

١ — أذكر بعض الأمثلة من الحياة اليومية التى توضح ظاهرة التعلم .

٢ — حاول أن تضع تعريفا لعلية التعلم موضحا ذلك بضرب الأمثلة .

٣ — يقال أن التعلم عبارة عن تغير فى الأداء ، ولكن هناك أنواعا أخرى من التغير فى الآداء . أشرح هذه العبارة موضحا إجابتك بالأمثلة .

٤ — قارن بين التعلم والنضج موضحا أهمية كل منهما .

٥ — حاول أن تدرب كلبك على القيام بأى عمل من الأعمال ثم سجل

نتائج التجربة وخطواتها والأسلوب الذى سيتبعه الكلب فى التعلم موضحـــا أثر الثواب والعقاب فى عملية التعلم .

٦ — ارسم صورة كبيرة لحصان على ورق مقوى ثم قصها بالمقص ، وبعد ذلك قطعها إلى عشرة أجزاء كأن تقطع الرأس وحدها والرجل والذيل وهكذا . ضع هذه القطع غير مرتبة على لوحة أمام طفل صغير وأطلب منه أن يعيـــد ترتيب الصورة (صورة الحصان) هذه بوضع الأجزاء فى مكانها الصحيح .

أطلب منه أن يكرر هذه المحاولة عشرة مرات وفى كل مرة سجل الزمن الذى يستغرقه الطفل فى بنـــاء الصورة وعدد المحاولات الخاطئة فى كل مرة ثم وضح النتائج بالرسم البيانى . أربط بين تعلم الطفل وكيفية تركيب الصورة ونظريات التعلم المختلفة .

٧ — اعرض لنظرية ثورنديك فى التعلم بالمحاولة والخطأ عرضا نقديا .

٨ — تكلم عن أهمية قانون التكرار وقانون الأثر فى التعلم .

٩ — ما هو المقصود بالتعلم الشرطى . اشرح كيف يمكن أن يكتسب المثير الصناعى صفة المثير الطبيعى ؟

١٠ — وضح المقصود بظاهرة الانطفاء التجريبى مع ضرب الأمثلة .

١١ — كيف يفسر كهلر عملية التعلم ؟ استعن فى اجابتك بالتجارب .

١٢ — يتوقف حدوث الاستبصار على وجود بعض العوامل — اشرح هذه العبارة .

١٣ — أشرح أسس عملية التعلم عند أصحاب مدرسة الجشطالت .

١٤ — قارن بين نظرية التعلم عند ثورنديك وعند كهلر .

١٥ — يقال إن نظريات التعلم متكاملة وليست متناقضة — إشرح ذلك موضحا اجابتك بالتطبيق على الفرد فى مراحل حياته المختلفة .

١٦ — ما هى الشروط التى يجب أن تتوفر فى التعلم الجيـــد ؟ حاول أن تجرب بعضها على نفسك وسجل نتائجك ومحاولاتك .

١٧ — أعرض لأهم العمليات العقلية التى تسهم فى عملية التعلم .

١٨ — وضح الظروف التى يمكن فى ضوئها إنتقال أثر التدريب ووضح كيف يمكن الإفادة من هذه الظاهرة فى حياتك الدراسية والعملية .

الفصل السابع عشر

١ ـ معنى الصحة النفسية

نستطيع أن نقول ببساطة إن الصحة النفسية تبدو فى تكيف الفرد لمواقف الحياة العادية تكيفاً معقولا . فالإنسان تواجهه كثير من المشكلات التى يتحتم عليه أن يكيف نفسه وإياها ، وقد يكون هذا التكيف ملائما وقد يكون غير ملائم ، فخوف الإنسان من الحيوانات المفترسة وهروبه منها يعد تكيفا معقولا أما خوفه من الماء أو من رؤيه الدم أو مشاهدة النار فإنه يعد تكيفا غير ملائم ، ومن ثم فانه يأخذ على أنه دلالة على اختلال الصحة النفسية للفرد .

وتشبة أساليب إكتساب الصحة النفسية تلك الأساليب التى نتبعها فى إكتساب الصحة الجسمية . ومن هذه الأساليب الأسلوب العلاجى Remedial وهو الذى يستهدف التخلف من آثار مرض من الأمراض , والأسلوب الثانى أسلوب وقائى Preventive وهو الذى يستهدب تجنب الفرد الإصابة بمرض ما ، ثم هناك الأسلوب الإيجابى أو البنائى positive or conatructive وهو الذى يستهدف تمتع الفرد بالصحة والنشاط ، ويلاحظ أن هذه الأساليب ليست مستقلة تمام الإستقلال ولكنها متداخلة ويكمل بعضها البعض ، فتبعا للمنهج الإيجابى نجد أن كثيرا من الناس يحاولون تقوية شخصياتهم وقدراتهم وذاكرتهم وخيالهم وإرادتهم . أما معنى الصحة النفسية فيمكن أن يشار إليه بأنه التوافق التام أو التكامل Integration بين الوظائف النفسية المختلفة مع القدرة على مواجهة الازمات النفسية العادية التى تطرأ عادة على الانسان مع الإحساس الإيجابى بالسعادة والكفاية[١]

---

(١) دكتور عبد العزيز القوصى ، أسس الصحة النفسية ، النهضة المصرية ١٩٦٩ .

ويتطلب التوافق بين الوظائف النفسية ألا يعـــانى الفرد من الصراعات النفسية التى توجد بين ميلين أو نزعتين متعارضتين فى الإنسان كالرغبة فى السرقة وكالخوف من عقاب الضمير ، أو الصراع بين الأنانية والإيثار أو بين النزعات المثالية وبين النزعات المادية . ويستطيـــع أن يتخلص المرء من هذه الصراعات عن طريق الحسم فى حل ما يجابهه من مشكلات تبعا لفلسفة واضحة فى حياته ، وحيث أن الحياة المادية والإجتماعية التى يعيشها الفرد دائمة التغير فان ذلك يفرض على الإنسان بدوره أن يكون دائم التكيف ، إن عملية التكيف إذن عملية مستمرة ولذلك فان الإنسان فى حاجة إلى المحافظة على صحته النفسية ، وعلى تقوية وظائفه العقلية والنفسية حتى يستطيع مجابهة صعاب الحياة . Conflicts

ويجب أن نؤكد أن الصحة النفسية لا تعنى مجرد خلو الفرد من الأمراض إذ لابد من قدرة الفرد على مجابهة المشكلات ولابد من تمتعه بالشعور الإيجـــابى بالسعادة والكفاية . ولا نستطيع أن نقول أن الصحة النفسية هى قبول الفرد قبولا مطلقا للقيم الإجتماعية السائدة ، لأنه فى كثير من الأحيان يكون المجتمع نفسه مجتمعا منحلا أو معتلا ، وفى مثل هذه الظروف يتحتم على الفرد أن يعمل على إصلاح هذا المجتمع ، فالفرد السوى فى المجتمع النازى فى عهد هتلر كان لابد وأن يقاوم الفلسفة الدكتاتورية الهتلرية ولم يكن الخضوع لمثل هذه الفلسفة تعبيرا حقيقيا عن التكيف النفسى .

وهنا ينبغى أن نشير إلى الفرق بين الصحة النفسية والشذوذ ، بعبارة أخرى هل الشذوذ فى جميع الأحوال يعد دليلا على إعتلال الصحة ؟

الواقع أن الشذوذ يطلق على كل ما هو بعيد عن العادى المألوف أو المتوسط فالشخص العملاق أى الذى يفوق طوله متوسط أطوال الجماعة التى يعيش معهـا يعتبر شاذا فى الطول ، ولكنه لا يعتبر مريضا . كذلك فان الشخص الذى

يملك ذكاء مفرطاً يعد شاذاً ولكنه لا يعد مريضاً . ولكن على كل حال فان الشذوذ يعرض صاحبه أكثير من المشكلات فى سعيه للوصول لإحداث التكيف بينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه . فالعبقرى قد يأتى بأفكار سابقة لعصره ومن ثم لا يفهمه المجتمع

ويجب أن تؤكد أن الصحة النفسية فى جوهرها مسألة نسبية وليست مطلقة ونحن نعلم أن الفرد السوى يخاف ويشك ويثور ويغضب وينفعل ويفرح ويحزن ، ولكن كم من الغضب نعتبره أمراً عاديا وكم منه نعتبره شاذاً بعبارة أخرى ما هو الحد الفاصل بين الصحة والمرض ؟

نقول أن التكيف Adjustment المطلق أمر لا يمكن تحقيقه لأن كل منا لابد وان يكون لدية بعض مواطن الضعف. فمسألة التوافق مسألة نسبية والتوافق لا يكون إلا فى الدرجة .

اما انجلش فانه يؤكد اهمية صفة الديمومة فيما يملكه الفرد من خصائص الصحة النفسية فيعرفها بأنها حالة دائمة دواما نسبيا بحيث يكون الشخص متكيفا تكيفا حسنا ولكنها ليست الخلو من الامراض .

a relatively enduring state wherein the pers on is Well adjusted, it is a positive state and not absence of : mental disorder.

قلنا أن الفرد لابد وأن يسعى إلى تحقيق التكيف بين عناصر ذاته المختلفة وكذلك بينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه ، ولكن ليس تحقيق التكيف بالأمر الهين ، إذ يعترض الإنسان كثير من المشكلات التى تعرض حياته للاضطراب ، لذلك يلجأ الأنسان إلى كثير من العمليات العقلية اللاشعورية كالتبرير Rationalization والكبت Repression والأسقاط Projection وإذا فشل فى تحقيق التكيف فإنه يبتعد عن حالة السواء Normality ويقترب من حالة

الشذوذ او المرض . وكلما كان الإنسان أقدر على حل مشكلاته حلا منطقيا كلما كان اميل إلى إكتساب الصحة النفسية .

وبالرغم من ان الامراض العصابية يصاحبها فى الغالب اعراض فسيولوجية كسرعة ضربات القلب او إرتفاع ضغط الدم او فقدان الشهية او التراخى والكسل والخمول إلا ان هذه مجرد اعراض مصاحبة وليست اسبابا او عللا للامراض العصابية التى تكمن اسبابها فى العوامل البيئية المحيطة بالفرد .

قلنا ان هناك تعاريف مختلفة للتوافق النفسى ، فتبعا لإفتراض الكمال المطلق يصبح الشخص المتكيف هو الشخص الذى يبلغ درجة الكمال فى كل شىء . وعلى ذلك فتكيف الفرد يعرف بمدى اقترابه او ابتعاده عن الكمال ، ولكن بطبيعة الحال فان الكمال المطلق اوالتكيف المطلق غير موجود ، وذلك لوجود كثير من الضغوط الإجتماعية والمادية التى تؤثر فى الفرد وفى تكيفه ، وتبعا لهذا المعيار يصبح الغالبية العظمى من الناس شواذا ففرض الكيف المطلق فرض غير واقعى وغير عملى ولذلك لا يأخذ به معظم الكتاب، وهناك تعريف آخر يصف الشخص الشاذ بأنه هو الذى يعد خطرا على نفسه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه ، وبذلك فهو فى حاجة إلى الحماية كما ان المجتمع فى حاجة إلى الحماية من خطره .

هذا الفرض يعتبر غالبية الناس اسوياء ماداموا غير خطيرين على انفسهم او على المجتمع ، ولكن قد يعانى الفرد من حالات صراع داخلى شديد بحيث يؤذى نفسه ولكن لا يؤذى الغير كما هو الحال فى كثير من حالات الوسوسة والقلق ويلاحظ أن مفهوم التكيف تبعاً لهذا التعريف يعد غير مطلق إذ يختلف من مجتمع إلى آخر ، فالمعروف أن ما هو طبيعى فى مجتمع قد يعد شاذا فى مجتمع آخر فالميول الرأسمالية فى مجتمع شيوعى تعد شاذة بينما هى طبيعية فى مجتمع رأسمالى .

أما مفهوم التكيف القائم على أساس احصائى Statistical فهو الذى يقيس مدى توافق الشخص بمدى اقترابه من الغالبية العظمى للجماعة التى ينتمى اليها ، وبلغة الاحصاء مدى اقترابه من المتوسط الحسابى Mean الذى تحصل عليه المجموعة فى أختبار ما ، وطبقا لهذه النظرية تصبح الغالبية الساحقة من الناس أسوياء بينما الأقلية الشاذة . فالشواذ هم الذين يمثلون بطرفى التوزيع فى المنحنى الاعتدالى ، وعلى ذلك يدخل فى هذه الفئة كل من العباقرة وضعاف العقول فى حالة الذكاء وبذلك لا تصدر هذه النظرية أحكاما خلقية وإنما تكتفى بوصف الفرد بمقارنته ، بمتوسط الجماعة التى تنتمى إليها ، وكلما أبتعد عن المتوسط سواء كان ذلك البعد فى الاتجاه السالب أم الموجب كلما أبتعد عن السواء (١)

يستطيع الطالب أن يدرس خصائص المنحنى الاعتدالى فى كتب الاحصاء كـكتاب الدكتور السيد محمد خيرى « الاحصاء فى العلوم الاجتماعية »

٢ ـ الأمراض النفسية

يجب ان نفرق بين الامراض النفسية والامراض العصبية ، حيث يخلط كثير من الناس بين النوعين ، فالأمراض العصبية هى التى ترجع إلى أسباب عصبية أى عضوية أو جسمية ،أما الأمراض النفسية فانها ترجع إلى أسباب نفسية بحتة أى أنها أمراض وظيفية Functional وتعرف هذه الأمراض بأسم الأمراض العصابية Psychoneuroses ومن هذه الأمراض القلق والهستيريا،ومن أعراض هذه الأمراض الشعور بالقلق والتوتر والإكتئاب والشكوى من آلام جسمية لا يوجد أى سبب حقيقى لها والخوف الزائد على الصحة والشعور بالهبوط والخوف من الجنون وغير ذلك من الأعراض . ويلاحظ أن كلامنا قد يشعر بعرض أو أكثر من هذه الأعراض ، ولكن ليس معنى ذلك أننا كلنا مرضى ، إن هذه الأعراض لا تعتبر مرضية إلا إذا كانت حادة ومزمنة ، وإلا إذا قعدت بالفرد عن القيام بمطالب الحياة العادية .

على كل حال هناك طائفة أخرى من الأمراض هى الأمراض العقلية وتعرف بأسم الأمراض الذهانية Psychoses وهى تختلف إختلافا كبيرا عن الأمراض العصابية حيث أنها تدل على الجنون ، فالمريض يعتبر خطرا على نفسه وعلى المجتمع الذى يعيش فيه ، أما المريض العصابى فانه يستطيع أن يدير شئون نفسه وأن يعى حالته النفسية وأن يشعر بنواحى الشذوذ فى نفسه ، كما أنه يشعر أنه فى حاجة إلى التخلص من هذه الأعراض Symptoms . ومن الأمراض العصابية الشائعة الهستيريا Hysteria ومن بين أعراضها الهلوسة Hllucination والغضب والشلل والتذبذب الانفعالى والضعف والتفكك والقلق .

تظهر الأعراض الهستيرية كنوع من الحل اللاشعورى لمشكلة من المشاكل التى يعانيها الفرد . وتظهر هذه الأعراض فى شكل شلل يصيب أى جزء من أجزاء الجسم . ومن الناحية النفسية فإننا نجد أن الأشخاص الذين يميلون إلى الإصابة بهذا المرض يرغبون فى أن يواسيهم الغير وأن يتمتعوا بعطف الناس عليهم ، كما أنهم قوم شديدوا الحساسية سريعوا الخجل . ومن أهم الأعراض الهستيرية الشلل الذى يصيب بعض أطراف الإنسان كالذراع أو الرجل أو اللسان .

كذلك منها حالات مرضية تشبه الربو أو فقدان الشهية أو القيء المستمر أو الصداع أو فقدان الإحساس كلية أو زيادته زيادة شاذة فى بعض أجزاء الجسم ، كذلك من أعراضه النفسية فقدان الذاكرة لفترة من فترات حياة الإنسان التى كانت حافلة بالأحداث المؤلمة ، ولذلك يرغب المريض فى التخلص منها وذلك بنسيانها كلية . ومن الأعراض النفسية أيضا أن المريض قد يهيم على وجهه ويسافر إلى بلد بعيدة ولا يعلن عن شخصيته الحقيقية . وقد تتخذ الأعراض شكل تشنجات تشبه مرض الصرع ولكنها تختلف عن حالات الصرع لأن الصراع أساسه عضوى ولكن التشنجات الهستيريا ترجع لأسباب نفسية كالغضب أو الانفعال الشديد

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن الأعراض النفسية لمرض الهستيريا قد تصاحب أو تتبع مرضا عضويا حقيقيا ، فقد يصاب الفرد فعلا فى أحد اعضاء جسمه ثم يعالج منه . ولكن الاعراض قد تعود اليه إثر ازمة نفسية او مشكلة إجتماعية .

ويذكر الدكتور عبد الرؤوف ثابت حالة و عامل اصيب اثناء العمل بجذع فى العمود الفقرى ، وقد عولج من هذه الإصابة وشفى منها تماما ، وقد استلزم

علاجه شهرا قبل أن يعود إلى عمله ثم استمر مدة فى عمله إلى أن لوحظ عليه أن وجع الظهر يعاوده بين وقت وآخر . فلما بحث عن السبب الحقيقى فى وجع الظهر وجد علاقة مباشرة بين هذا الألم والمنغصات التى تحدث له فى العمل مثل تكدير رئيسة له ، أو مطالبته بزيادة الأجر وقد صرح فى مرة أن التعويض الذى أخذه عن إصابته الحقيقية فلم يكن كافيا ولم يستفد منه الافادة التى كان يأملها [1]

ولتوضيح فكرتنا عن الهستيريا نعود إلى شرح أعراضها التى منها الأعراض الجسمية كالعمى الهستيرى والصمم الهستيرى وفقدان الحساسية أو زيادتها فى بعض الأطراف الجسمية ، والمشى أثناء النوم وهو من الأعراض الخطيرة لمرض الهستيريا ، وهو عبارة سن حلم يتخذ شكل حركات فعلية . والمريض يلجأ بطريقة لا شعورية إلى الإحتماء فى الأعراض الهستيرية وذلك لتحقيق رغباته فى الهروب من مجابهة موقف لا يرغب فيه ، أو فى إستدرار العطف من المحيطين به .

ومن الصفات النفسية للشخص الهستيرى شدة الحساسية والتقلب المزاجى والأنبساط الزائد ويغلب عليه صفات الطفولة أكثر من الرجـــولة ، كذلك يميل إلى الإعتماد على غيره وإلى الانانية الزائدة ، وهذه من صفات الطفل الذى يتربى على التدليل واللين الزائد . ورغم أن الهستيريا تصيب الناس فى مختلف الأعمار إلا أنها تظهر بشكل أوسع إنتشارا فى مرحلة المراهقة حيث يميل المراهق إلى الهروب من تحمل المسئولية ويكثر من الشكوى ، ويميل إلى إكتساب عطف الناس عليه ، ويسعى أن يكون محور إهتمام الجميع ، كذلك قد يصاب المراهق بحالة فقدان الذاكرة Amnesia ، كذلك قد يصاب بالتوهان أو التجوال Hysterical Fugus حيث يهيم المريض على وجهه ويترك منزله ويبدأ فى حياة

---

(١) د . عبد الرؤوف ثابت ، الطب النفسى المبسط دار النهضة العربية ١٩٦٥

جديدة ذات نمط سلوكى مختلف ولكنه لا يذكر شيئا عن هــــذه الخبرات عندما يشفى .

وصف حالة هستيريا :

« سيدة عمرها ٣٠ سنة على أثر مشادة مع زوجها شعرت بتنميل فى ساقيها ، ولم تعد تتحرك . . وكان لهذه السيدة مشية خاصة وكان زوجها يعايرها بها ، مع أنه فى الواقع لم تكن المشية غريبة لدرجة ملفتة للنظر » وقد عرضت على كثير من الأطباء وأخذت أدوية كثيرة بدون فائدة مع أن الأطباء قالوا إن ساقيها سليمتان وليس بهما مرض جسمى وأشاروا بأنها يجب أن تعالج علاجا خاصا[1]

وحالة هستيريا اخرى :

« فتاة جامعية ضربها أخوها الأكبر بالكف على وجهها لأنها عارضت أوامره وكانت تريد الخروج فى رحلة .. فقدت النطق السليم وأصبح كلامها مبهما وغير مفهوم وكانت تشكو من أن لسانها ثقيل وشبه ملتصق بحلقها ومع ذلك كانت تتكلم اللغة الانجليزية بطلاقة . وكانت تجيد التعبير عما تريده كتابة فقط إذا إستعملت اللغة العربية[2] .

وعلى كل حال فان الهستيريا تظهر أكثر ما تظهر فى شكل أعراض جسمية physical symptoms وترجع الفظة هستيريا إلى أصل يونانى يشير إلى حدوث إضطرابات فى رحم المرأة Womb ، ولذلك كانت تعرف الهستيريا بأنها مرض نسائى Femineine ، والاستخدام المعاصر للكلمة يدل على درجة عالية جدا من الثورة a condition of extreme emotional excitement .

---

(١) د . عبد الرؤوف ثابت • الطب النفسى المبسط

(٢) نفس المرجع السابق

أما إستعمالاتها فى الطب النفسى فتدل على حالة الشخص الذى يعكس قلقة فى شكل أعراض جسمية فى الغالب فمثلا الجندى فى الميدان قد يشعر بالقلق الزائد لدرجة أنه يفقد القدرة على الابصار Sight ، وبالرغم من أن الفحص الطبى يؤكد أن إبصاره سليم إلى أنه يؤكد أنه أعمى ويظل كذلك إلى أن ينقل من جبهة القتال فيعود اليه الابصار . وكذلك فان الشلل الهستيرى Hysterical paralysis يظهر على الناس الذين يريدون أن يتجنبوا المواقف التى تؤذيهم . وفى الغالب فان مرض الهستيريا لا يدركون الأصل السيكولوجى الذى يكمن وراء مشكلاتهم وعلى كل حال ـ فمن الأسباب الرئيسية لمرض الهستيريا وجود مواقف لا يرغب الفرد فى المرور بها ، فالطفل الذى يكره مدرسته قد يصاب بشلل فى قدمه حتى يجد العذر الكافى لعدم الذهاب اليها ، كذلك فان الرغبة الملحة فى استدرار العطف والشفقة والرعاية قد تؤدى اليها ، ونزعه الهستيرى فى الاعتماد على الغير هى فى الواقع التى تجعله شديد القابلية للإيحاء Suggestion ، ولذلك يمكن إستخدام هذه القابلية فى علاج مرضى الهستيريا وكثيرا ما يعطون ماء مذاب فيه كميات من السكر على أنه دواء فعال وفعلا تشفى أعراضهم الهستيرية .

الفوبيا Phobias

يقصد بالفوبيا نوع من الخوف المستديم والذى لا يستند إلى أسباب قوية أو أسباب معقولة بالنسبة للمريض . وتحدث هذه الحالة عدما يكبت شعور الفرد بالخوف فانه يترجم فى شكل خوف من شىء أو من موقف ليس من شأنه أصلا أن يثير الخوف . ويلاحظ أن معظم الناس لديهم بعض الفوبيات البسيطة ، كالخوف من الفئران أو الثعابين أو الحشرات ، ولكن فى بعض الأشخاص يصبح هذا الخوف شديدا فيخافون من الأماكن المفتوحة

كالميادين الواسعة أو الساحات الفسيحة ، أو كالخوف من الأماكن المغلقة كالحجرات الضيقة أو الزنزانات ، الخوف من الأماكن المرتفعة ، وكذلك الخوف من الحيوانات والخوف من الظلام والخوف من المياة ومن رؤية النار أو مشاهدة الدم أو الخوف من لمس الأشياء الحادة حتى ولو كانت من الورق والخوف من القذارة ومن الجراثيم أو الخوف من ركوب المصاعد وما أشبه ذلك ويلاحظ أن جميع الفوبيات عبارة عن مخاوف غير معقولة ، ولكن ليس الخوف من هذه الموضوعات إلا تعبيرا رمزيا عن إنفعالات مقنعة ، فقد يرجع الخوف إلى شعور عميق بالذنب أو العار ، وبذلك لا يخاف الفرد من الشعور بالعار ولكنه يستبدله بالخوف من شيء آخر ، وعلى ذلك فالفوبيات تعبير عن صراع أو إحباط . ومن ثم فان العلاج لا يستهدف الخلاص من الأعراض وحسب ، ولكن يستهدف إزالة التوتر الإنفعالى أى السبب الحقيقى ، لأن استمرار بقاء السبب يؤدى إلى خوف المريض من موضوعات أخرى حتى إذا تخلص من الأعراض الأولى . والمعروف أنه من الممكن أن يخاف الشخص الفوبى من أى شيء مهما كان .

وقد تظهر الفوبيا فى شكل خوف من حالة تعترى المريض نفسه ، كالخوف من السقوط فاقد الوعى فى الطريق أو الخوف من أن ينفجر باكيا أمام الناس . وقد تظهر الحالة فى شكل خوف من واحد أو اثنين من هذه المخاوف الغير معقولة والتى لا يمكن تفسيرها بالنسبة للشخص نفسه . فهذه المخاوف ليست لها أسس مقبولة حتى بالنسبة للمريض ، والغريب أن المريض يظل يخاف هذه الموضوعات رغم علمه أنه لا توجد أى ضرر فيها . وقد يخاف المريض من وقوع حادث مؤلم له اذا خرج بمفرده ، فقد يتوقف قلبه ، أو تصطدم السيارة التى يركبها والواقع أن هذه الأمراض ليست إلا إنعكاسا لشعوره بعدم الأمان وبالصراع .

الوسواس Obsession

حالات الوسوسة من الأمراض العصابية الشائعة ويقصد بها تسلط فكرة أو عدد من الأفكار على ذهن المريض واستمرار ترددها عليه ، وعجزه عن إبعادها أو التخلص منها رغم علمه أنها سخيفة وغير معقولة وغير مقبولة وتظل تزعجه وتقلق مضجعه وخاصة كلما حاول أبعادها عن ذهنه . ويجب أن نميز بين الوسوسة والأفكار الخاطئة ، فالأفكار الخاطئة يعتقد صاحبها فى صحتها ومن ثم فلا يناقشها ، أما الوسوسة فهى أفكار ترد إلى ذهنه وتصاحبه وتظل به حتى تزعجه ولا يستطيع إبعادها عن نفسه رغم علمه أنها أفكار غير طبيعية .

ويعرف Sperling الوسوسة على هذا النحو :

Obsession = a persistent, conscious Idea or desire that is recognized by the individual as being more or less irrational "

والشخص الوسواسى لا يقبل الأفكار التى تزعجه ولكنه لا يستطيع إبعادها عن نفسه . ولكن يجب أن نقرر أن كثيرا من الافكار الغير مقبولة والغير منطقية تتردد على ذهن كثير من الاسوياء فكثير منا يعلم أنه متحيز ومتعصب لجماعته أو لأصدقائه ولكنه لا يستطيع أن يتخلص من الشعور بالتحيز ، ولكن الفرق بين هذه الأفكار وبين الأفكار المرضية هى أن المريض يتزعــج بها وتؤثر فيه تأثيرا سيئا ، أما الشخص السوى فان مثل هذه الأفكار لا تؤثر فيه. ومن أمثلة الأفــكار الوسواسية أن الفرد يعتقد أنه ترك صنبور الغاز مفتوحا أو أنه لم يغلق باب منزله قبل النوم . وقد تعترى الإنسان فكرة إرتكاب جريمة ما كالرغبة فى قتل أبيه أو أمه . ولقد عرضت على المؤلف حالة لشاب أنجليزى من اصل يهودى وقد استحوذت عليه فكرة أن الانجيل به خطأ ما وأن عليه تقع مسئولية تصحيح هذا الخطأ وإظهار الحقيقة التاريخية أمام العالم أجمع ، ولقد ظلت هذه الفكرة تستبد به حتى ترك عمله وظل يتسكع فى الطرقات حتى قبض عليه حيث حول إلى المستشفى للعلاج .

ويصاحب أعراض الوسوسة هذه اعراض إستحواذية قهرية اخرى تتمثل فى القيام ببعض الأعمال التافهة او عديمة الفائدة وتسمى هذه الحالة Compulsion فالوسواس يتضمن افكارا سخيفة ، اما الأفعال القهرية فتحتوى على الأفعال والحركات والمناشط التى يجد الفرد نفسه مساقا لعملهـــا . فقد يجد الفرد نفسه مساقا لأن يغسل يديه عشرات المرات لأنه يعتقد ان جميع الأشياء التى لمسها كانت ملئة بالجراثيم القاتلة ، او ان جميع الأيدى التى صافحها كانت ملوثة . واحيانا تصاب ربة البيت برغبة شاذة فى نظافتة فتظل به حتى تزعــــج من فيه بسبب أعمال النظافة المستديمة . ومن الأعراض القهرية أيضا عد اعمدة المصابيح فى الشوارع او عد درج السلم او المشى على مكان مرتفع ، او لمس الحائط اثنـــاء المشى او البصق فى الطرقات . وقد تتخذ الأعمال القهرية شكل سرقة إجبارية ، وقد يجد الفرد نفسه ميالا إلى ارتكاب جريمة ما ، كإشعال النار فى مكان ما .

ويمتاز مرضى الوسواس بحب النظام والدقة وبالبخــــل والشح والشك والحيرة والتردد والتزمت فى قبول القيم الخلقية وفى المحافظة على المواعيد والمحافظة على صحتهم .

وفى الغالب ما يكون الوسواسى قد تربى تربية قاسية قوامها الصرامة والتزمت والتشدد . وليست الأفعال القهرية إلا وسيلة من وسائل تعذيب الذات لأنها افعال يكرهها الفرد . وعلى كل حال ففى بداية ظهور الاضطراب يبدو على الفرد انه دقيق ومتردد ومتشكك وعاجز عن إصدار القرارات حتى فى الأمور البسيطة فخورا بعقليته وبجفافه العاطفى ، ولكنه لا يثق فى ذاكرته ولا فى نظره فما ان يغلق بابه ويتجه إلى عمله حتى تستحوذ عليه فكرة انه ترك الغاز مفتوحا والمنزل مضاء والباب مفتوحا .

يقول الدكتور عبد الرؤوف ثابت فى وصف حالة وسوسة بسيطة لم تؤثر فى سلوك صاحبها طوال حياته :

« قال لى ناظر محطة سكة حديد ، وكان مكتبه فى المحطة يقع على الطريق المؤدى إلى المقابر ، انه كلما سارت جنازة من تحت النافذة ألحت عليه فكرة ثابتة أنه هو السبب فى موت هذا المتوفى وقد استمرت الوسوسة تأتيه على هذا الحال مدة ٣٥ سنة دون أن يتأثر سلوكه بها » .

ولقد عرضت على المؤلف حالة طفل انجليزى فى الحادية عشر من عمره كان قد رأى جده لأبيه وهو يصارع الموت لفترة طويلة فاصبح يفكر فى الموت بصورة دائمة ولا يستطيع أن يتخلص من هذه الفكرة . وكان مما قاله لأمه أنه لم يكن يرغب فى أن يولد حتى لا يموت ويمر بهذه التجربة القاسية .

القلق Anxiety

والقلق عبارة عن حالة من الخوف المستمر Continuous Fear ولكنه خوف شاذ ، لأن هناك نوعا من الخوف العادى الطبيعى لدى الإنسان السوى . فالإنسان السوى يعتريه الخوف إزاء المثيرات التى تهدد حياته بالخطر Threatening Stimuli أما الخوف العصابى فهو الذى نطلق عليه إسم القلق وهو عبارة عن توقع الخطر فى المستقبل . وفى الغالب ما ترجع مخاوف المريض إلى أسباب خافية غير تلك المثيرات الظاهرية . وقد يخاف المريض من أنه سيموت أو من أنه مجرد ذرة صغيرة فى عالم كبير جدا ، وفى الغالب ما ترجع حالات القلق إلى إنفعالات مكبوتة أو إلى كبت وحرمان لبعض دوافع الفرد الأساسية . ويستطيع المعالج النفسى التعرف على الدافع الذى ناله الأحباط Frustration . خوفا عاما وقد يكون خوفا من شيء محدد وعلى كل حال فالخوف من شيء محدد أخف وطأة من الخوف

من لا شيء . كذلك يشكو المريض من التوتر الداخلي وعدم الاستقرار وفقدان القدرة على التركيز والعجز عن الإنتباه وتشتت الفكر والأرق وسرعة الانفعال والأحلام المزعجة والكابوس Nighimare ، فالقلق نوع من الخوف الغامض والشعور بالخطر ، فالمريض يتوقع الخطر فى كل شيء ويفسر كل شيء تفسيرا متشائما ، وهو دائم القلق على حاضره ومستقبله وماضيه ويخاف من دوافعه الذاتية

وفى الغالب ما ترجع حالات القلق للحرمان من العطف ومن عدم الشعور بالأمن فى مرحلة الطفولة المبكرة أو من تجربة الخوف الشديد فى مطلع حياة الفرد كالخوف من فقدان الوالدين أو الخوف من الغرق أو الاختناق، وقد يرجع القلق إلى شدة قلق الوالدين على الطفل . وقد يرجع إلى ارتكاب المريض لجريمه وخوفه من إكتشاف أمره . وفى الغالب ما يخفى المريض أسباب خوفه الحقيقية ويحيلها إلى مخاوف معقولة ، فقد تعبر الأم عن قلقها الزائد على اطفالها بحجة انها تخاف عليهم من الإصابة بالأمراض والحوادث أو غير ذلك من التعاليل . وقد يحدث القلق إثر ازمات أو كوارث مفاجئة كفقدان الثروة أو الفشل فى العمل وقد ينشأ أيضا من الخلافات الطويلة بين الأزواج والحياة المملوءة بالقلاقل واليك وصفا لحالة من حالات القلق الشديد يرويها الدكتور عبد الرؤوف ثابت [1] .

« اصيبت سيدة بالقلق وهى حامل فى الشهر الثامن ، وكان زوجها لا يحسن معاملتها ويتركها وحدها فى البيت مع ثلاثة أطفال وبدون شغالة ولا يعود للبيت إلا فى آخر الليل وكثيرا ما كان يتركها بدون نقود مما أوقعها فى مشاكل كثيرة ثم علمت أنه على علاقة بأمرأة أخرى فلم تقوى على الاحتمال أكثر من ذلك وأنهارت اعصابها » .

---

(١) د . عبد الرؤوف ثابت الطب النفسي المبسط .

٣ ـ الأمراض العقلية Psychoses

فى الواقع لا توجد أسس علمية دقيقة لتصنيف الأمراض العقلية إلى أنواع محددة حيث أن كثيرا من الأعراض تتداخل ، وبذلك يوجد العرض الواحد فى كثير من الأمراض ، وهذا يجعل عملية التشخيص Diagnosis عملية صعبة وتقريبية . والواقع أن مبدأ تداخل الاعراض هذا ينسحب أيضا على الأمراض العصابية فالشعور بالقلق مثلا يوجد فى معظم الأمراض العصابية. وعلى العموم فان التشخيص كثيرا ما يكون مجرد ترجيح الرأى الأكثر إحتمالا ، وذلك بالنظر لغالبية الأعراض Symptoms الموجودة فى الحالة .

وجدير بالذكر أن أعراض الأمراض العقلية يصعب تمييزها عن الأعراض العصابية ، ولكن نستطيع أن نلاحظ أن الإضطرابات Disorders فى حالة المرض العقلى تكون أكثر عنفا وبعدا عن الحياة العقلية السوية وذلك بالمقارنة بالأعراض العصابية وعلى ذلك فان الشخص الذهانى يشار إليه بأنه شخص لا يستطيع أن يتصرف التصرف المناسب فى الحياة العادية وبذلك يصبح خطرا على نفسه وعلى غيرة من أفراد المجتمع فهو عاجز عن قضاء حاجاته وعن حماية نفسه ، ولكن هناك فرق آخر هو أن العصابى لا يعانى من حالة تدهور فى الوظائف العقلية Mental Funtions بينما الذهانى يعانى من ضعف القدرة العقلية . وفوق ذلك فهناك فرق قوى هو أن العصابى لا يبعد عن الحقيقة كما يفعل الذهانى الذى يبتعد عن الواقع ويخلق لنفسه عالما خاصا يختلف عن عالم الاسوياء إختلافا كليا

ومن أهم الأعراض التى يعانى منها الذهانى الهلوسة Hallucination والخداعات Delusions أما الهلوسات فهى عبارة عن مدركات حسية زائفة

لا وجود لها ويراها المريض دون أن يكون هناك أشياء حقيقية فى عالم الواقع فالذهانى يستطيع أن يرى أمه مثلا تقف معه فى نصف الحجرة — تحدثه ويحدثها دون أن يراها غيره . والذهانى أيضا يسمع أصواتا تهبط على أذنه دون غيره من الناس . كذلك من الممكن أن يرى أشباحات وذبذبات وموجات لا يراها غيره أما الخداعات التى يرى أنها صحيحة فهى عبارة عن أفكار يعتقد المريض أنها حقيقية بينما لا توجد هى إلا فى مخيلته فقط . فالهلوسة تشير إلى مدركات حسية زائفة بينما الخداعات تشير إلى أفكار زائفة False beliefs فالمريض الذهانى قد يعتقد أنه أصبح إلها أو نبيا أو قائدا كبيراً كنابليون أو هتلر .

والحالة الآتية توضح بعض الأعراض الذهانية : بدأت هذه الحالة (١) . عندما لوحظ على شاب أمريكى فى المرحلة الثانوية أنه أخذ فى التجول لمسافات طويلة بمفرده ثم بدأ يفقد بعض وجباته الغذائية ، ويقف لمدد طويلة يحملق من نافذة حجرته ، بدأ يبدى مظاهر الإنسحاب والإنطواء ، ولكن أسرته لم تلاحظ ذلك لأنها فسرت هذه الأعراض على انها بداية لحياة علمية جديدة . بعد دخوله المستشفى ذكرت أمه أنها كانت تسمعه يحدث شخصا ما وهو فى حجرته ، بينم لم يكن هناك سواه ، ولكنها اعتقدت انه كان يقرأ قرأة جهرية ولم يكن يحدث نفسه وذكر هو لطبيبه المعالج أنه كان يسمع ويرى زميلا له فى حجرته الخاصة ، كذلك كان يسمع تعليمات هذا الصديق فى اثناء قيامه بحل الإختبارات النفسية وكما ذكر انه فى اثناء وقوفه من النافذة كانت الطيور تتحدث إليه وخاصة الحمام . ولكن بعد اخذ عدد من الصدمات الكهربائية زالت عنه هذه الأعراض وعلى وجه التحديد بعد اخذ صدمة كهربائية

---

(١) Sanford, F. H. المرجع السابق .

أصبح أكثر معقولية ، وبعد ستة شهور قضاها فى المستشفى أصبح لا يعانى من هذه الأعراض ، ولكنه كشف خلالها عن إتجاه عدوانى نحو الأم وعن شعوره بالغيرة Jealousy تجاه أخيه الأكبر (١) .

ومن أهم الأمراض العقلية المعروفة مرض الفصام Schizophrenia .

ومن أهم خصائص هذا المرض أنه إضطراب فى العلاقة المتصلة بالحقيقة فيصبح إدراك الشخص متأثرا بشعوره Feeling وبوجدانه ، فالفصام يشير إلى إبتعاد المريض عن الحقيقة Reality وبإضطرابات حادة فى الحياة الإنفعالية Emotional life. وجدير بنا أن نتساءل عن العوامل التى تؤدى إلى الإصابة بهذا المرض ، بعبارة أخرى هل هو موروث أو مكتسب ؟ ففى الواقع هناك كثير من الأدلة على أن عوامل بيولوجية ووراثية Hereditary Factors تكمن وراء الاصابة بهذا المرض وبالمثل هناك أدلة على أن الجنون الدورى Manic depressen يرجع إلى عوامل بيولوجية حيث أنه يميل إلى الظهور فى عائلات معينة مما يدل على أنه يتوقف على إستعدادات طبيعية معينة توجد فى بعض العائلات ولا توجد فى غيرها فقد وجد Kallmann أنه إذا أصيب أحد التوائم العينية a pair of identicla twins بحالة من حالات الجنون الدورى فإن أصابة التوأم الآخر تصبح ٩٠٪ . ولكن على كل حال هناك كثيرا من الأبحاث الأخرى التى تثبت عدم أهمية العوامل البيولوجية والكميائية فى نشأة هذا المرض ، ولكن هناك أيضا أدلة على أنه يمكن أن يبدى الفرد بعض المظاهر السلوكية التى تشبه أعراض هذا المرض وذلك إذا تعاطى نوعا معينا من العقاقير أو الأحماض ، فالشخص الذى يتعاطى هذه المواد سرعان ما يبدى بعض الهلوسة مع تغيرات واسعة فى المزاج Mood ، ويفقد القدرة على الإنتباه . ولكن ينبغى أن نميز بين هذه الأعراض المصطنعة

---

(١) Sanford

وبين المرض الأصيل فإن مجرد التشابه لا يعني أن كلاهما شيء واحد، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نعتمد إعتمادا كليا على العقاقير والمواد الكيماوية لعلاج حالات الفصام، أما النظرية السيكلوجية في تفسير الفصام فإنها ترجع إلى فرويد الذى أرجع الأعراض الذهانية إلى حالة متطرفة من حالات الإنتكاس أو النكوص Regression أى العودة إلى مرحلة من مراحل النمو السابقة. فعلى ضوء ذلك ينسحب الفرد من الحقيقة الحاضرة ويعود إلى حياة الطفولة فيسلك ويدرك ما كان يسلكه ويدركه وهو طفل، فالذات تنسحب من عالم الحقيقة لكى تعود إلى عالمها الخاص بحيث يصبح هذا العالم أقل تزمتا بالنسبة لها. أما حالة التدهور العقلى التى تصيب المريض فيرجعها فرويد إلى حالة نكوص وعودة الذات إلى مرحلة اللاتمييز البدائية، أى مرحلة الخيال والبعد عن الواقع. أما الدراسات الحديثة فإنها تصف الخبراب السيكلوجية التى يبدو أنها تقود إلى حالة الفصام بأن الحياة الأسرية كانت تتصف بالشجار والنقار والخصام والإحتقار والنقد. فالطفل المنبوذ Rejecte l child الذى كان يعانى من النقد والفوضى يشعر بعدم الأهمية وبعدم إحترام ذاته وبعدم الإحساس بالذاتية أى الكيان الذاتى Personal identity فهو لذلك يتوقع عدم القبول الإجتماعى ولذلك فهو ينزع نفسه بعيدا عن عالم الصد والزجر والمنع لكى يتجنب الشعور بالأذى.

وعلى كل حال يعد الفصام أكثر الأمراض النفسية خطورة ويمثل أكبر نسبة من مرضى المستشفيات العقلية وأكثرهم بقاء فيها، حيث يبلغ متوسط مدة بقاء المريض فى المستشفيات الأمريكية نحو ١٣ عاما. وتتراوح نسبة ما يشفى من هؤلاء المرضى بين ٥، ٣٠٪. أما بقية الحالات فتظل فى تدهور حتى الوفاة وعادة ما يقسم الفصام إلى أنواع مختلفة كالفصام البسيط Simple Schizophrenia والفصام الإضطهادى Paranoid.

ومن أعراض الفصام ميل المريض إلى النزعات الطفلية حيث لا يراعي العرف أو التقاليد فقد يمارس العادة السرية في العلن وقد يكشف عن عورته دون الشعور بالخجل ، كما يصاب المريض بتبلد العاطفة فلا ينفعل في المواقف التي ينفعل لها الشخص السوى ، فقد يسمع عن وفاة أبيه ومع ذلك لا تهتز عاطفته . ومن الأعراض أيضا أن المريض قد يجلس الساعات الطوال دون أي حراك بل يبقى جالسا منخفض الرأس ولا يشعر بما يدور حوله ، وإذا رفع الطبيب ذراعه مثلا ظل مرفوعا كما هو . ويمتاز بالسلبية التامة فيصعب إشراكه في المناقشات ويغلب عليه الخمول والبلادة .

ففي حالة طالب أمريكي جامعي بدأت الحالة عندة عندما لاحظ عليه زملاؤه أنه يغلق على نفسه الحجرة ، لا يتناول طعامه مع بقية زملائه الطلبة ، بدأ يتهم زملائه بسرقة أفكاره وسرقة مذكراته « الممتازة » ، وأصبح يعيش تحت وهم أن زملاءه كانوا يغيرون من « عقلة الفذ » وأن هناك مؤامرة لأخذ أفكاره وطبعها وتوزيعها على بقية الطلاب حتى يستطيعوا أن يلحقوا به في التفوق ، كذلك كان يتهم بعض زملائه بوجود ميول جنسية تجاهه .

أما أسرته فقد قررت أنه كان طفلا هيابا وكان يحب الأدب حبا شديدا وكذلك القراءات الفلسفية ولم يكن له علاقات مع أفراد من الجنس الآخر ولكن سلوكه كان حميدا . وكان الوالدان منهمكين في أعمالها ولم يمنحاه كثيرا من الرعاية أو الانتباه ولكنهما كانا يمارسان ضغطا شديدا عليه لكي يتفوق في المدرسة ، وكان له أخ يكبره وكان هذا الأخ هو محل إهتمام الأسرة وكان الابن المفضل عندها ، أما المريض فكان دائما يعاقب لعدم إهتمامه بدروسه مثل أخيه [١] .

---

(١) المرجع السابق Sanford .

٤ — العلاج النفسى Psychotherapy

لقد تطور الطب النفسى تطورا ملحوظا وابتكرت مناهج متعددة لعلاج الأمراض النفسية وأصبح هناك كثير من الأجهزة التى تستخدم فى العلاج وفى أعادة تعليم المرضى Reconditioning .

أما أقدم هذه الطرق فهى طريقة التحليل النفسى التى ترجع إلى فرويد وإن كانت تستخدم الآن فإنما تستخدم بعد إدخال كثير من التعديلات عليها وطريقة العلاج هذه تعتمد على نظريات التحليل النفسى وعلى الإهتمام بكشف القناع عن أسرار الطفولة المبكرة وخبراتها المنسية والمكبوتة . هذه الخبرات يفترض أصحاب نظرية التحليل النفسى أنها تكمن وراء الأمراض العصابية عند الكبار . وعن طريق إتباع طرقا خاصة يستطيع المحلل أن يجعل المريض يتذكر الخبرات الماضية وأن يكشف عن تفسيراته للعالم ، فنى طريقة التداعى الحر يرقد المريض ويسترخى ويذكر للمحلل كل ما يرد إلى ذهنه من خواطر وأفكار ، على أن يسردها دون مراعاة لأى تسلسل أو منطق أو تناسق فيما بينها . وقد يحلل المعالج أحلام المريض على إعتبار أن العمليات الداخلية اللاشعورية لدى الفرد تكشف عن نفسها فى الإحلام وإن كان هذا الكشف بصورة مقنعة ورمزية Disguised and symbolic form وهكذا يجمع المحلل معلومات عن تاريخ حياة الحالة life history وعن الديناميات الداخلية ، ولكن لا يقوم بدور إيجابى فى أثناء هذه المرحلة من دراسة الحالة التى تنتهى بتكوين فكرة أو نظرية عن هذه الحالة . فهو مجرد مستمع وملاحظ ولكن بعمق شديد .

وفى أثناء عملية العلاج يقيم المريض علاقة معينة مع المحلل فهو يسقط عليه سمات شخصية ما ذات أهمية فى حياته ، فقد يتصوره بديلا عن الأب أو عن المعلم.

فالمريض يحول إنفعالاته تجاه المحلل وتعرف هذه المرحلة بإسم مرحلة التحويل transference . وعن هذا الطريق يستطيع المحلل أن يعرف الكثير عن علاقات المريض مع المحيطين به . كما أن المريض يستعيد الذكريات والخبرات التى خبرها فى عهد الطفولة مثلا ولكن الآن بشكل ناضج فيفهمها موضوعيا ومنطقيا سليما.

ويستطيع المحلل أن يحصل على صورة صادقة عن الأحداث ذات المعنى والدلالة فى حياة المريض ، كذلك يفهم صراعاته وحيله الدفاعية Defense mechanisms وعلاقاته مع الغير وما يتوقعه منهم . بعد هذا الفهم يبدأ المحلل فى المرحلة الثالثة من العلاج وهى مرحلة التأويل Interpretation . وفى هذه المرحلة يوضح للمريض كيف كان يستجيب للناس وللاحداث وكيف كان يدرك نفسه . بحيث يرى المريض كل ذلك بطريقة موضوعية واضحة ، وبذلك يفهم نفسه بصورة أكثر وضوحا ويبدأ يعامل مشاعره بطريقة صحية ويقيم علاقات إيجابية طيبة مع الغير ويبدأ فى السير نحو أهداف إيجابية ومفيدة.

ولكن يلاحظ أن عملية التحليل النفسى عملية مطولة فقد تستغرق ثلاثة سنوات كذلك فإن العلاج النفسى باهظ التكاليف إذ لا يقوم به إلا إخصائيون على مستويات عليا جدا من الخبرة والتدريب العلمى والمهنى .

وهناك طريقة أخرى من طرق العلاج تعرف بإسم طريقة العلاج الموجه Directive therapy وهى أكثر بساطة من طريقة التحليل النفسى وتتضمن توجيها مباشرا لمشكلات المريض .

فى هذه الطريقة يحصل السيكلوجى على المعلومات المتعلقة بحياة المريض عن طريق تطبيق الإختبارات التشخيصية والمقابلات ، فلا يستخدم التداعى الحر ، كذلك فإن العلاقة بين المريض والمعالج ليس لها كل ذلك الوزن الموجود فى طريقة التحليل النفسى .

وهناك طريقة أخرى تسمى طريقة العلاج غير الموجه أو طريقة العلاج المتمركز حول المريض Non - directive or client - centered وتشتق هذه الطريقة من نظرية كارل روجرز فى الشخصية Carl Rogers . ومؤدى نظرية روجرز فى الشخصية أن الإضطراب يأتى من فشل المريض فى تكوين مفهوم مقبول عن ذاته . ولذلك يتأتى العلاج عن طريق إعادة الشخص لمفهومه الإيجابى والعملى عن ذاته . وفى هذه الطريقة يتجنب المحلل تأويل أو تفسير دوافع المريض ، ومهمة المحلل أن يشعر المريض أنه يفهمه وأن يشعر بشعوره ، وأنه يرى العالم من زاويته وأنه يقبل المريض ، فالمحلل يشجع المريض ولكنه لا يرشده بحيث يصل إلى الحالة الإنفعالية السليمة .

وعلى كل حال يضع روجرز عدة شروط لنجاح عملية العلاج حسب منهجه هذا ، ومن أهم هذه الشروط ضرورة وجود إتصال بين المعالج والمريض ، يجب أن يكون هناك بعض مشاعر القلق التى يعانى منها المريض ، وأن يكون هناك فارقا كبيرا بين صورته وبين الخبرات الواقعية التى يمر بها ، كما يجب أن يقبل المحلل المريض قبولا حقيقيا ، وعلى المحلل أن ينقل للمريض أنه يفهمه فهما عميقا وكليا .

وإلى جانب هذه الطريقة هناك طريقة أخرى إبتكرها جورج كيلى George Kelly أطلق عليها طريقة الدور الثابت The fixed - role therapy وفى هذه الطريقة يطلب من المريض أن يكتب صورة لشخصيته تصوره تصويرا كاملا . وبعد دراسة هذه الشخصية فإن المحلل يعيد كتابة الاسكتش Sketch وهو عبارة عن دور فى مسرحية ويشبه الشخصية التى كتبها المريض ، ولكن مع وجود بعض التناقضات البارزة .

ويناقش المريض والمحلل معا هذا الدور ويتدرب المريض عليه ويمثله عدة مرات .

والافتراض القائم وراء هذه الطريقة هو أن المريض سوف يقوم بدور جديد ، وعلى ذلك فانه سوف يغير من سلوكه ، وسوف يجد أن بعض هذه التغيرات أحسن (١) من سلوكه الأولى .

وعلى الجملة فإن العلاج النفسي يستهدف تخليص المصاب من الأعراض التى تؤلمه كما يساعده على حسن التكيف وعلى الشعور بالسعادة والكفاية ، وزيادة تلقائية المرضى وقدرتهم عن التعبير عن الذات وإلى إعادة تكيف وظائفهم العقلية . ويمكن تحقيق هذه الأهداف بأتباع أى من الطرق العلاجية التى تزيد من شعور المصاب باحترام الذات وشعوره بالأمان وتخلصه من الإنفعالات المكبوتة والدوافع المكبوتة ، وأن تزيد من درجة إستبصاره ، بنفسه Insight ومن قبوله لذاته ، ومن قدرته على السعى وراء تحقيق الأهداف الإيجابية .

ومن هذه الطرق طريقة التصريف Release Therapy وتؤدى إلى تخفيف حدة القلق فى الأطفال المكبوتين ، عن طريق التعبير عن مشاكلهم خلال اللعب بالدمى . وهناك طريقة العلاج بالتمثيل Psychodrama وتستخدم مع الكبار حيث يكتسب المريض خلال تمثيل إنفعالاته القدرة على فهم دوافعه . وهناك طريقة العلاج الجمعى Group Therapy حيث يجتمع عدد من المصابين ويناقشون مشكلاتهم وصعوباتهم بطريقة حرة وطليقة ، وعلى المحلل أن يفسر صعوباتهم وهنا يجد كل فرد التشجيع على التعبير عن مشكلاته لأنه ليس هو وحده الذى يعانى منها . وبعد تكرار هذه الجلسات يصبح المرضى أكثر فهما لمشكلاتهم وللطرق التى لجأوا اليها لحلها وكيف انها كانت حلولا سيئة Maladjustive وينتج عن هذه الجلسات ان يخرجوا عن عزلتهم وان يحبوا بعضهم البعض ويتعلموا معرفة الحقيقة عن ذاتهم وان يشاركوا بعضهم البعض مشاركة وجدانية .

---

(1) Sanford, F, H., psyshology

ولكن على كل حال العلاج الفردى Individual Therapy يعد أكثر فاعلية حيث يفصح المريض للمحلل عن جميع الأمور ذات الدلالة والمعنى والاثر فى حياته . ويجد المريض كثيرا من الراحة والتخفيف عن متاعبه من مجرد سردها لشخص يهتم بحالته . وحيث أن المحلل يستمع إلى المريض دون ابداء أى أعتراض أو توجيه أى اتهام أو أدانة أو رقابة ، يكاد المريض لا يحس بالصدمة أو بالقمع أو الكبت وعلى ذلك فان المريض لم يعد ليخاف من دوافعه الذاتية التى كان يخافها . وعلى كل حال فان نجاح المريض فى اقامة علاقة ايجابية مع المحلل يشجعه على أن يقيم علاقات ناجحة أخرى مع أناس آخرين بعد اكتساب الثقة بنفسه .

إن نجاح منهج العلاج ومدته تتوقف على حالة المريض وعلى شخصيته وعلى خبرة المحلل ، ولكن المحلل قد يقوم بتفسير استجابات المريض ومشكلاته ، وقد يؤكد له مدى توافقه وسلامة صحته ، وقد ينصحه باتباع حلول أخرى أو طرق أخرى من بين الأمور المحتملة التى يستطيع أن يقوم بها المريض .

وقد يرشده نحو القيام ببعض الأعمال التى تجلب له الراحة والنجاح ، وقد يدربه على بعض انماط السلوك الاجتماعى المقبول وقد يعلمه أن ما اكتسبه من خبرات فى جلسات العلاج يمكن أن يطبق فى مجالات الحياة الواقعية وبذلك تندمج هذه الخبرات وتتكامل مع عناصر شخصيته ، وقد يقترح عليه طرقا تجعل من حياته أكثر غناء وسخاء ومعنى ، وفوق كل ذلك تجعلها أكثر ثباتا ، وقد يعمل على طرد مخاوفه بعيدا عنه عن طريق الاشتراط ، وقد يعمل على تغيير بيئة المريض وذلك بالتعاون مع أسرته أو بوضعه فى إحدى المستشفيات أو المؤسسات[1] المتخصصة .

---

(1) Sperling, A, Psychology Made Simple.

ومن بين الطرق التى يستطيع المحلل اتباعها طريقة تداعى المعانى Word - Association Method فى هذه الطريقة يطلب المعالج من المريض أن ينطق على الفور بأول كلمة تهبط إلى ذهنه عندما يسمع كلمة معينة يقرأها عليه المعالج من قائمة مقننة من الكلمات ذات المعنى والدلالة بالنسبة للمحلل ويسجـــل المعالج استجابات المريض لكل كلمة من الكلمات ، كذلك فإنه يسجل الزمن المستغرق بين قراءة الكلمة واستجابة المريض . ثم يبحث فى المادة التى حصل عليها وعن زمن الرجع Reaction time الطويل جدا والقصير جدا ، ثم يفحص الاستجابات اللاارادية التى ظهرت على المريض أثناء الاستجابة ، والكلمات التى لم يستجب لها المفحوص على الاطلاق ، والكلمات التى استجاب لها المفحوص بترديد كلمة سبق له أن قالها ، والكلمات التى لم يفهمها المفحوص ثم الكلمات التى استجاب بترديدها هى نفسها . وبواسطة تحليل هذه الاستجابات يستطيع المعالج أن يعد قائمة أخرى جديدة تتناول الاستجابات المضطربة ثم يعيـــد تطبيقها على المريض ، وبذلك يستطيع المعالج أن يضع يديه على مفاتيح المشكلة . وفى الغالب ما ترجع الدوافع المكبوتة إلى رغبات أو حاجات او ذكرايات قوبلت بمعارضة الابوين او الكبار عامة منذ عهد الطفولة .

٥ — أهمية الوعى السيكولوجى فى مقاومة الانحراف (١)

يلعب الوعى النفسى والتربوى دورا هاما فى أحداث تكيف الفرد مع نفسه من ناحية، ومع المجتمع الذى يعيش فيه من ناحية أخرى.

وعلى سبيل المثال نجد أن الوعى النفسى يستطيع أن يلعب دورا إيجابيا فى مقاومة الانحراف، ولا سيما انحراف الشباب.

لا شك ان التربية هى أداة المجتمع فى صنع المواطنين الصالحين، فهى التى تعد الفرد الصالح للحياة فى مجتمع معين وهى التى تشكل شخصيته. ووظيفة التربية الحديثة ليست تدريب التلاميذ على المهارات المعرفية والمهنية المختلفة وحسب، ولكنها أيضا تعمل على تكوين وتنمية عقول الأفراد وبناء أجسامهم بناء سليما من حيث الكفاية الانتاجية ومن حيث التكيف والتوافق مع أنفسهم ومع المجتمع الذى يعيشون فيه.

ومن وظائف التربية الحديثة أيضا الاستجابة السريعة للتطورات التى تحدث فى المجتمع وأدراك التيارات الجارية، بل والعمل الإيجابى الفعال على تطوير المجتمع والسير قدما فى طريق التقدم والرقى. ولا يمكن أن نتصور أن تقف الأجهزة التربوية فى مجتمع ما مكتوفة الأيدى أمام الظاهرات الخطيرة التى تأخذ فى الانتشار والتفشى بين ربوع المجتمع.

ومن المعروف أن تأثير التربيــة لا يقتصر على جماعات الطلاب، ولكنه يمتد أيضا ليشمل الآباء والأمهات بل والمجتمع بمختلف قطاعاته. وفى الأيام الأخيرة انتشرت بدرجة تدعو للقلق والخوف جرائم القتل والعنف بين

---

(١) مقتبس من مقال المؤلف نشر بصحيفة التربية عام ١٩٦٩.

الشباب . ومما يدعو لمزيد من القلق أن هذه الجرائم يغلب عليها طابع الانحراف والشذوذ وتفاهة وضعف الدوافع المؤدية إليها .

ففي الماضي مثلا كانت الغلبة لجرائم الأخـــذ بالثأر والانتقام ، أما جرائم شباب اليوم فيغلب عليها الشذوذ والانحراف واللا معقولية ، فكثيرا ما تكون هذه الدوافع عبارة عن علاقات شذوذ جنسي أو شعور بالكراهية أو شعور بالغيرة أو حالة من الاضطراب النفسي والتهيج والثورة الانفعالية العارمة .

وانتشار حوادث النشل والسرقة بالإكراه ، يعد ظاهرة غريبة في مجتمعنا ولا سيما وأنها تحدث وسط تجمعات بشرية كبيرة (كالترام والمترو والأتوبيس) في وضح النهار .

ولا شك أن هـــذه الظواهر جديرة بالدراسة والبحث ، سيما وأن دوافع ارتكابها لا تبدو قوية بشكل يبرر ارتكابها حتى في نظر مرتكبيها .

وتدلنا اعترافات مرتكبي هـــذه الجرائم بتلك الصور الصريحة والكاملة وبالإسهاب والانسياب الطليقين على أنهم ليســـوا من محترفي الاجرام ، ولا من الذين اعتادوا مزاولة الجريمة ، لأن أمثال هؤلاء تكون لديهم غالبا القدرة على إخفاء معالم جريمتهم والقدرة على مقاومة الأساليب التي تتخذها السلطات للحصول على اعترافاتهم .

وعلى ذلك فإن وقوعهم في تيار الجريمة قد يكون بفعل عوامل طارئة ، والأهم من ذلك بحكم أنهم ليسوا من محترفي الاجرام ، فإن حمـــايتهم منها كانت ممكنة .

والمتأمل في أمثال هذه الجرائم ، يجد أن عوامل نفسية وتربوية هي المسئولة في المحـــل الأول عن ارتكابها ، فلم يكن هناك مثلا حاجة مادية صارخة

كالجوع مثلا تدفع هؤلاء المنحرفين إلى إرتكاب جرائمهم ، وحتى مرتكبي النشل والسرقة بالإكراه ، لا يعانون من الحاجة المادية بما يبرر إرتكاب جرائمهم .

فلابد إذن أن هناك عوامل نفسية ، مثل الرغبة الكاذبة فى حب الظهور بمظهر الافتخار ، واحراز البطولة ، وإظهار الجرأة الزائدة هى المسئولة عن هذه الجرائم على الأقل عن معظمها . يعتقد هؤلاء المجرمون أن مثل هذا السلوك الإجرامى يعبر عن الجرأة والقوة بينما فى واقع الأمر هذا السلوك الإجرامى لا يدل إلا على الجبن والنذالة لا على البطولة والرجولة فالمجرم ينتقى فرائسه من الضعفاء والعزل من السلاح ومن بين قليل القدرة على المقاومة الإيجابية . ومهما تعددت الأسباب والعوامل المؤدية إلى إنتشار هذه الظاهرة ، فأنها ولا شك ظاهرة معتلة وجديرة بالعـــلاج الحاسم السريع . وفى محاولاتنا تفسير هذه الظاهرة الاجتماعية المعتلة ، نجد من الناحية السيكولوجية البحتة ، أن حرمان الفرد ـ طفلا أو مراهقا أو شابا ـ من أشباع دوافعه وحاجاته الضرورية قد يؤدى إلى نمو الميول الإجرامية والتخريبية فى نفسه .

وبطبيعة الحال فى علاج هذه المشاكل وفى محاولة منعها والتخفيف من وطأتها كما وكيفا ، لابد وأن ترجع أساليب العلاج إلى مرحلة الطفولة المبكرة ، ذلك لأنه فى مرحلة الطفولة المبكرة توضع البذور الاولى التى تشكل فيما بعد شخصية المراهق والشاب ، ولذلك فان مجرد محاولات علاج مشكلات الشاب فى مظهرها الراهن لا يؤدى بنا إلا إلى حلول جزئية ، أما الحلول الجذرية فيجب أن تتناول الفرد منذ طفولته ، حتى تقدم له من أسباب الوقاية والرعاية ما يجعله يشب شخصية سوية قوية وعضوا نافعا فى المجتمـــع ، ويشب راضيا عن نفسه وعن المجتمع الخارجى أيضا .

فالمعروف ان الطفل والمراهق لهما حاجات اولية ضرورية ـ مادية ونفسية واجتماعية ـ ولا بد من إشباع هـــذه الحاجات لكى يشب الطفل سويا

فالطفل عنده حاجة ملحة إلى أشباع حاجته إلى الحب والدفء والحنان ، وإلى إشباع شعوره بالإنتماء إلى أسرة أو جماعة إنسانية ، ولابد من أن يشعر الطفل بالأمان وبوجود سند له يقف بجانبه فى مواقف الأزمات والشدائد .

والمراهق فى حاجة إلى الشعور بأنه مقبول إجتماعيا ، وليس منبوذا من أسرته أو من جماعات الأقران والأنداد كما أنه فى حاجة إلى الشعور بالأمان فى حاضره ومستقبله . ولا يحتاج لكى يستشعر بالأمان فى حاضرة وحسب بل أيضا فى مستقبله .

ومن البديهى أن العامل الإقتصادى مسئول عن عدم إشباع كثير من الدوافع الضرورية لدى المراهق الذى يؤذى شعورة رؤية أقرانه يتمتعون بشتى ألوان الملبس والمأكل ، بينما يحرم هو من مجاراتهم . ولذلك قد يدفعه حب التقليد والمحاكاة إلى الحصول على المال بطرق غير مشروعة ، وغالبا ما يبدأ محاولاته فى محيط الأسرة فإن تيسر له الأمر ، سرعان ما يمتد نشاطه إلى خارج دائرة الأسرة لأنه أستطاب هذا المسلك .

ولا يجدى معايرة الطفل وتأنيبه وزجرة باستخدام العنف والقسوة من جانب المحيطين به فى المدرسة والمنزل .

كذلك وجد أن العقاب البدنى للأطفال الذين يأتون سلوكا تخريبيا أو عدوانيا أو يسرقون لا يجدى ، ولكن الأساليب الناجحه هى القائمة على أساس تربوى ونفسى .

وتؤدى حالات الفشل الدراسى إلى مزيد من الصعاب والمشكلات ، ويرجع ذلك إلى أتجاه الأسرة المصرية بنوع خاص إلى إعطاء أهمية كبرى للنجاح الدراسى وحدة دون الأهتمام بما قد ينجح فيه المراهق من ميادين النشاط والأعمال الأخرى .

ولذلك يحتاج هؤلاء المراهقون الذين لا يتمكنون من مواصلة دراساتهم إلى المستوى الذى يتوقعه آباؤهم إلى تخطيط تربوى دقيق وإلى فتح آفاق جديدة واسعة تستوعبهم وتؤمن مستقبلهم المهنى والإجتماعى ، وتوفر لهم فرص العمل الملائم . فغلق أبواب العلم والعمل أمام المراهق قد يدفعه إلى الشعور بالاحباط وخيبة الأمل ، وقد يعوض عن ذلك بالإتجاه نحو الجريمة . كذلك ينبغى أن يكون هنالا من أنواع التدريب وألوان العمل ما يوفر للمراهق فرص الدراسة أو العمل المناسب ، ويحتاج ذلك إلى تغيير نظرة المجتمع نفسه نحو إحترام وتقدير الأعمال اليدوية ، وينبغى العمل على الأرتفاع بمستوى أرباب هذه الأعمال من الناحية المادية والإجتماعية . ومن جانب الأسرة يقتضى الأمر مزيدا من الوعى النفسى والتربوى ، فإن للمراهق قدرات طبيعية ، مثلها مثل الصفات والخصائص الجسمية ، كطول القامة أو قصرها ولون البشرة وغيرها ، ولا يمكن أن نتوقع من المراهق أن يعطى أكثر مما يملك ، أو أن نطالبه بما لا طاقة له به

فالآباء والمدرسون يجب أن يؤمنوا أن الناس ليسوا سواسية فيما يملكون من قدرات عقلية ، لا من حيث الكم ولا الكيف .

فالطفل قد يفشل فى إجادة الكتابة على الآلة الكاتبة بينما قد يصبح تاجرا ناجحا والطالب قد يحصل على الشهادة الإعدادية مثلا ويكون قد وصل بذلك بقدراته التحصيلية إلى آخر مداها ، وتكليفه بالمزيد من الجهد يضيف إلى شعوره بالتوتر ويلقى عليه بأعباء لا طاقة له بها ، ومن ثم يزيد من شعوره بالفشل ويجعله يشعر بالنقص والدونية ، وقد يميل إلى كرة المدرسة ، ومن ثم يهرب منها ويقضى يومه متجولا ، على حين أنه إذا شجع نحو الأتجاه العملى مثلا لأحرز نجاحا مرموقا .

ويلعب المدرس دوراً هاما فى حماية المراهق من الإتجاه نحو السلوك العدوانى بما يقدمه من فرص للعمل والتعويض ، تلك الفرص التى تمتص

فائض طاقتة والتى من شأنها أن تشعره بالرضا والثقة بالنفس وتنمى فيه روح الإيجابية وتحمل المسئولية وإحترام النظام والقانون . فالمعروف أننا لسنا جميعا أصحاء أو على درجة واحدة من الإتزان النفسى ، فهناك من يعانون من إضطرابات حادة فى الشخصية ، فالطفل قد يميل إلى العزلة أو الانطـــواء أو السلبية والإتكال ، وليس له حيلة فى ذلك ، لأن ظروفا خارجة عن إرادته هى التى تجعله ينزع إلى السلبية أو يلجأ إلى الإنطواء والعزلة ، أو الهرب والفرار من المنزل

والمدرس الذى يدرك أن لسلوك الطفل مهما كان ، دوافعا شعورية أو لا شعورية يستطيع أن يجنب الطفل الوقوع فى المشكلات السلوكية .

ومن شأن نشر الوعى النفسى والتربوى ، أن يجعلنا نتقبل أمثـــال هذه الاعراض كما نتقبل أعراض الأمراض الجسميه على أنها أمور طبيعية ، وأن نعامل مرضى النفوس بنفس سعة الأفق ورحابة الصدر التى نعامل بها مرضى الأجسام ويجب أن نرعى عقول ونفوس أطفالنا كما نرعى أجسادهم .

لابد إذن للتخفيف من شدة وطأة جرائم العنف ، أن نوفر وسائل علاج مظاهر الإنحرافات السلوكية والشذوذ النفسى ، وان نبحث الحالات بحثا دقيقا حتى يتسنى لنا رسم طرق العلاج الملائمة لكل حالة .

ويجب ان تشمل خطتنا على وسائل لعلاج الحالات الراهنة ، وعلى منهج شامل للوقاية من حدوث حالات جديده ، فالوقاية دائما خير من العلاج .

وفى مجال علاجنا لهذة المشكلة الخطيرة ، يجب ان تكون العناصر النفسية محل الاهتمام الاكبر ، فقد يكون فقدان التوازن النفسى ، او خلل التفكير السبب وراء إرتكاب الجريمه ... فى مثل هذه الحالات يأخذ تفكير الفرد فى تجسيم مشاكله وتضخيمها او حتى فى إختلاقها اصلا ، فيتخيل وجود مشكلة بينما فى الواقع الفعلى لا توجد مشكلة ما إلا فى مخيلته .

فالفرد قد يحس بالظلم والاضطهاد ؟ ويشعر بالحقد تجاه المحيطين به ، وقد تكون أسباب هذا الشعور حقيقية أو خيالية ، فأحيانا يحس الفرد أن المجتمع يضطهده وأن الناس يحيكون له المكائد ويتربصون به الدوائر ويحاولون أن يوقعوا به الشر بينما فى الواقع لا تكون هناك أى من هذه الأمور ، وقد ينسجها خياله من أمور بسيطة جدا تحدث لكل منا دون أن يعيرها التفاتا ، وقد ينحرف المراهق نحو الجريمة بسبب شعوره بالتمرد على سلطة والديه ، وغالبا ما ينتقل هذا التمرد إلى السلطة بوجه عام فى المجتمع بأسره ، ولذلك يجب توفير الخدمات والرعاية النفسية لكل أبناء المجتمع ، أسويائهم وشواذهم ، ذلك لأننا جميعا فى حاجة إلى مثل هذه الرعاية فى مختلف مراحل تطورنا النفسى والعقلى ، ولكن المعروف أن حاجة الطفل والمراهق أكثر من حاجة الراشد والبالغ ، لأنه مازال فى طور النمو والتكوين ، ولأن خبرتهما قليلة وعقلهما مازال غضا ، ويجب أن يؤمن الآباء والمعلمون بقيمة العلاج النفسى وجدواه .

وعلى المستوى الإجتماعى العام يجب أن يكون هناك من الإخصائيين النفسانيين والإجتماعيين ما يكفى لإتاحة الفرصة أمام الآباء لعرض حالات أبنائهم عليهم ، قبل أن يستفحل الأمر ، ويفلت الزمام ، وينطلق عقال المراهق ويجنح فى غياهب الضياع ، ففى بداية نشأة المشكلة يمكن أن تحل بمجرد إستشارة الأخصائى النفسى ، أو بالتوجيه الموضوعى السليم للمراهق .

أما فى الإطار التربوى ، فإن المدرس يجب أن يكون قادرا على حل مشكلات تلاميذه وإرشادهم إلى الطرق السليمة التى تحقق تكيفهم مع المجتمع . وينبغى أن توفر الإدارة التربوية خاصة التعليم الملائم وإصدار التشريعات التى تتصف بالمرونة والشمول ، وفى البلاد الأوربية يوجد مثل هذه الأنظمة وتؤدى وظيفتها بنجاح بالغ .

وغالبا ما يتساءل المرء : أيهما مسئول عن انتشار الجرائم : الفرد أم المجتمع ؟

من الواضح أن إرتكاب الجرائم مسئولية يشارك فيها الفرد والمجتمع على حد سواء ، ويؤيد ذلك التفاعل الكامل والدائم بين الفرد والمجتمع ، فالفرد حين يترك العنان لنفسه ويختار العنف منهجا لحل مشاكله أو لاكتساب عيشه أو لتحقيق رغباته ، فإنه بذلك ينحرف عن الطريق المنطقى السليم ويلقى بنفسه طواعية فى مخالب الجريمة .

والمجتمع أيضا بنظمه وإمكاناته وخدماته يستطيع أن يعمل الكثير وكذلك أفراد المجتمع يجب أن يتربوا على أن يلعبوا دورا أكثر إيجابية ، وأكثر حزما فى مقاومة الجريمة ومنعها .

ففى المجتمع الإنجليزى مثلا ، يرجع الفضل فى ضبط كثير من مرتكبى الجرائم إلى تعاون أفراد المجتمع مع رجال الشرطة هناك وذلك عن طريق التطوع للادلاء بكل مالديهم من معلومات عن الحوادث وظروفها وملابساتها وكذلك ميل أفراد المجتمع هناك إلى التطوع للابلاغ عن الحوادث التى تقع على مرأى منهم حتى وإن لم يطلبهم البوليس . أما هنا فنلاحظ أن معظم المواطنين يميلون نحو السلبية والابتعاد عن المسئولية والهروب من الاستجوابات ويفضلون الكتمان على التعرض لاستجوابات رجال الأمن . ولكن من الناحية الأخرى فان رجال الشرطة فى انجلترا يحصلون على المعلومات وعلى تعاون أفراد المجتمع دون أن يسببوا لهم القلق أو المتاعب ، فتتم التحريات والأسئلة دائما فى منازلهم .

وفى الحالات التى تتطلب توفير حماية كاملة لمن يبلغ عن حادث ما فإن البوليس لا يتردد فى تقديم مثل هذه الحماية ، وإذا يقبل الناس على تقديم مزيد من العون والتعاون .

والواقع أن أفراد المجتمع يستطيعون بحق أن يسهموا مساهمة فعالة وإيجابية في منع الجرائم قبل وقوعها ، فكم منا يرى شخصا أو أشخاصا يحومون حول منزل ما أو محل ما ، وينتابه الشك في نواياهم ومع ذلك لا ينبه رجال الأمن . وكم منا يرى مرتكب جريمة ما يفر هاربا ومع ذلك لا يدلى بأقواله ولا يصرح بأوصافه لرجال الأمن .

وعلى المستوى التشريعي فإن قانون العقوبات يجب أن يكون أكثر صرامة وحزما مع مرتكبي جرائم القتل والعنف ، ويجب أن يخول القانون حق إبعاد هؤلاء الخطرين على الامن ، بصفة دائمة عن حظيرة المجتمع .

وكذلك يجب أن تطول مدة عقوبة معتادى النشل والسرقة بالإكراه وأرباب السوابق أيا كان نوعها ، وليس هناك ما يمنع من أن تصل هذه العقوبة إلى السجن مدى الحياة ، على أن تنظم حياة السجون بحيث تصبح معسكرات دائمة للعمل والإنتـــاج .

وعلى وجه الدقة فإن الدور الذى تستطيع أن تقوم به التربية في مجتمعنا في مكافحة الجريمة وفى التخفيف من وطأة نشأة الميول العدوانية والتخريبية لدى أفراد المجتمع — يمكن تلخيصه في الخطوات الاجرائية التالية :

١ - يجب العمل على توفير فرص التعليم لأرباب المســتويات المختلفة من الذكاء وأصحاب القدرات المحدودة على التحصيل والعمل الجاد على الإقلال من حالات الفشل الدراسى لأنه يؤدى بدوره إلى الفشل الإجتماعى

٢ - حسن توزيع التلاميذ على أنواع التعليم التى تتناسب وقدراتهم ومواهبهم وذكائهم وميولهم الدراسية والمهنية .

٣ - تصنيف التلاميذ حسب السن بحيث لا يؤدى التفاوت فيه إلى أن كبارهم يعتدون على صغارهم .

٤ — يمكن للمدرسة أن تقوم بعقد الندوات والمناظرات والمحاضرات التى تناقش الجريمة وأسبابها مع بيان رذائل الجريمة وعواقبها على الفرد . ويمكن للمدرسة توفير فرص المناشط الإجتماعية والثقافية ومشروعات الخدمة العامة واشراك التلاميذ اشراكا ايجابيا فيها .

٥ — اشراك التلاميذ فى إدارة المدرسة وفى المحافظة على نظافتها وتدريبهم تحمل المسئولية وتنمية روح التعاون والايجابية فيهم .

٦ — تطبيق مبادىء الحكم الذاتى للجماعات المدرسية وإشعار التلاميذ بقيمتهم الذاتية وإشباع حاجاتهم بالانتماء للجماعة المدرسية .

٧ — الإهتمام بالسلوك الاخلاقى واعطاء مكافأة على حسن السير والسلوك وعلى احترام القانون والنظام المدرسى وعلى احترام حقوق الآخرين .

٨ — الإهتمام الزائد بالتربية الخلقية وسرد قصص الأنبياء والرسل وسير حكماء التاريخ وعظماء العلم والاخلاق ، حتى يكونوا مثلا عليا للتلاميذ .

٩ — فرض عقوبات جدية على مرتكبي المخالفات فى المدرسة ، ومن أمثلة هذه العقوبات ، اعطاء التلميذ طابور ذنب أو حرمانه لبعض الوقت من بعض الانشطة التى يحبها .

١٠ — عدم اللجوء إلى العقاب البدنى وكذلك عدم الميل إلى سب التلميذ أو إهانته وذلك حتى لا يتعود على هذه الخبرات ويبلد احساسه بها ، وتصبح هذه الوسائل غير مجدية لديه . ومن آثار العقاب البدنى أيضا أن التلميذ ربما يتقمص شخصية المدرس ويصبح العنف منهجه فى الحياة .

١١ — يجب أن تكون العلاقة بين المدرس والتلميذ علاقة حب وود وصداقة واحترام وثقة ، وأن يقوم المدرس ما أمكن بدور الأب فى الارشاد والتوجيه .

١٢ — دراسة حالة كل تلميذ تبدو على سلوكه الإتجاهات العدوانية أو التخريبية أو الهروب أو السرقة والعمل على التعرف على الاسباب التى أدت إلى ذلك ، نفسية كانت أو دراسية أو إجتماعية أو عائلية والعمل على حل هذه المشكلة وتوفير التعويض اللازم للطفل لكى يستعيد تكيفه وسعادته .

هذه الخطوات هى التى يمكن تطبيقها فى الميدان التربوى ، أما المختصون فى الميادين الأخرى فيمكنهم إتباع وسائل على غرار هذه الخطوات .

فالاخصائى الإجتماعى والأخصائى النفسى وقادة الشباب وغيرهم من رجال الإصلاح يستطيعون أن يطبقوا أساليب متشابهة تستهدف حماية النشء من الانحراف وسوء التوافق .

٩ ـ تطبيق النظريات النفسية فى الميادين العملية [1]

لاشك أنه من الممكن أن يؤدى علم النفس دورا هاما فى إحداث التكيف النفسى والإجتماعى لأفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم . ويمدنا علم النفس الحديث بكثير من الاكتشافات والنظريات التى ينبغى نقلها إلى مجال التطبيق العملى لتحقيق الإفادة المرجوة منها ، فان النظريات والفلسفات تظل عديمة الفائدة ما لم تنقل إلى مجال التطبيق العملى . والواقع أن معظم اكتشافات علم النفس لها تطبيقاتها العملية فى مختلف الميادين التربوية والصناعية والاجتماعية . وسوف نتناول هنا نظرية التحليل النفسى بالعرض والتوضيح ثم نبرز النواحى التى يمكن تطبيقها فيها فى ميدان التربية والتعليم على وجه الخصوص ، ويستطيع الطالب أن يفكر فى كثير من النظريات السيكلوجية التى درسها وان يبحث فى أساليب تطبيقها فى الميدان التربوى والصناعى والتجارى والاجتماعى ، وان يوضح الطرق التى تمكنا من الأفادة منها .

ترتبط نظرية التحليل النفسى psycho-analysis باسم عالم النفس النمسوى « سيجمند فرويد S. Freud (١٨٥٦ - ١٩٣٩) الذى إفترض ان هناك فى اعماق النفس البشرية تقع منطقة مظلمة غير مرتادة ذات طبيعة حيوانيةوبدائية، هذه المنطقة غير المستأنسة هى ما اطلق عليه فرويد الذات الدنيا Ib ، ولكنه رأى ان هناك أيضا دافعا نحو الحب والحياة والبناء والخلق والابداع إلى جانب تلك الرغبة فى الموت والتدمير والحرب . فى سنى الطفولة المبكرة تبدو الذات الدنيا مسيطرة على سلوك الطفل حيث يسعى لتحقيق حاجاته وتصريف طاقاته، دون مبالاة بمقتضيات العالم الخارجى .

---

(١) مقتبس من مقال المؤلف نشر بمجلة الرائد عدد ديسمبر سنة ١٩٦٩ .

ولكن بمرور الزمن ، يمكف الطفل عن الإتيان بالسلوك المضـــاد لرضا المجتمع المحيط به وذلك نتيجة لمجموعة الأوامر والنواهى التى يتلقاهـا الطفـل من الوالدين والمدرسين بوجه خاص ، ومن الكبار بوجه عام . وبمضى الوقت تصبح هذه النواهى والأوامر معاييره ومثله وجزءا من كيانه الشخصى . ولقـد افترض « فرويد أن مستودع هذه المعايير والقـــيم الخلقية قوة أطلق عليهـا « الذات العليا » super-ego وتؤدى وظيفة الضمير cons cience فى الانسـان وبين الذات العليا صاحبة المثل والقيم الخلقية وبين الذات العدوانية البدائيـة ، تتوسط قوة ثالثة هى الذات ego تسير بمقتضى الواقع العقلى المنطقى والإجتماعى، وتسعى إلى التوفيق بين مطـالب الذات الدنيا المـادية ومثالية الذات الخلقيـة . وهـكذا تمثل فى هذا التنظيم النفسى الثلاثى ، الذات الدنيا الإنسان الأول ، وتمثل الذت العليا قوة الضمير والحساب الذاتى . ولقد افترض فرويد وجـود صراع محتدم بين الذات العليا الخيرة والذات الدنيا الشريرة ، وتدور فصـــول هذا الصراع فيما وراء شعور الفرد الواعى ، أو فيما أسماه فرويد اللاشعور . ويعلق « فرويد » أهمية بالغة على وظيفة اللاشعور فى تحريك الإنسان .

فالحياة النفسية فى نظرة أشبه بجبـل الثلج العـائم Ice Berg تخفى الميـاة معظمه ، كذلك يكمن فيما وراء الشعور ، معظم الدوافع الإنسـانية : فالخبرات المريرة المؤلمة التى يمر بها الإنسان ، سرعان ما يحتويها النسيان بين طياته لأن تذكرها يؤذى إحساسَ الفرد ، لذا فهى ترسب إلى الأعماق ولكن إختفـاءها فيما وراء الشعور لا يعنى إنعدامها ، ولا زوال اثرها ، فإنه فى مواقف الشـدة تطفو هذة المشاعر من جديد ويحاول الفرد دائما أن يبعد عن نفسه تلك المشاعر المؤلمة فهو ينكرها حتى على نفسه ، كما ينكرهـا امام الناس ، بل إنه يحـاول أن

يتستر على نفسه ، بأن يلصق بنفسه ، صفات تعد أضداد صفاته الدفينة : **الأم** التى تهمل أبناءها ، وتكره أسرتها ، تتغنى ـ ظاهريا ـ بمدى حنوها عليهم ومثاليتها فى رعايتهم ، وهكذا تنكر الشعور بالحنق تجاه الأسرة لأن نفسها تأباه وتعف منه.

هذا هو فحوى نظرية التحليل النفسى ، أما منهجها فهو البحث عن تلك الدراما تدور فصولها فى أعماق النفس البشرية ... فالتحليل النفسى ، فى صورته العملية ، يستهدف سبر أغوار النفس وارتياد مجاهلها ، واستكشاف الخبرات والصدمات والعقد النفسية منذ عهد الطفولة التى لا زالت تصارع بعضها البعض فى عالم اللاشعور .

ففى عملية التحليل النفسى ، يسترخى المريض على كرسى مريح ويطلق العنان لكل ما يرد على خاطره . فيسرده للمحلل دون حرج أو حياء أو كلفة بل حتى دون مراعاة أى منطق أو تسلسل ـ أو لياقة وهو دائما على ثقة تامة من المحلل ومطمئن على ما يسرده من الاسرار التى لا يمكن أن يرويها أحيانا إلى أقرب الناس إليه ، لطبيعتها الشريرة أو لسخفها الزائد .

على أن محور نجاح عملية التحليل النفسى هو التعاون التام بين المريض والمحلل واقتناع المريض أن جميع أفكاره ، مهما كانت غريبة وشاذة مقبولة لدى المحلل.

ولقد استطاع فرويد أن يعيد بعض الخبرات المؤلمة لدى مرضاه ، مصحوبة بكل انفعالاتها ، حيث فاضت أو طغت أثناء انطلاق المريض فى سرد تاريخ حياته وخبراته . ولقد استخدم فرويد فى بادىء الأمر **التنويم المغنطيسى** Hypnosis ثم تحول إلى فكرة التداعى الحر Free association لما يرد من أفكار على ذهن المريض ... ولقد أكد أن محتويات اللاشعور تكشف عن نفسها القناع فى لحظات فقدان الوعى ، وتعبر عن نفسها فى فلتات اللسان

وزلفات الذاكرة وفى الأحلام ثم فى الإبداع الفنى والنكت ولذلك لجأ إلى تحليل أحلام مرضاه باعتبارها تعبيرا رمزيا مقنعا عن كثير من رغبات الفرد المقبولة وغير المقبولة .

وبفهم المحلل لدوافع المريض الدفينة ، والتى تعمل فى الخفاء على تدمير راحته واستقراره النفسى يستطيع أن يساعده على فهم حقيقة نفسه فهما واقعيا موضوعيا وأن يساعده على إعادة التكيف مع مقتضيات البيئة المادية والاجتماعية المحيطة به وأن يفسر له سلوكه وأن يحدد له أهدافه تحديدا يتفق وقدراته الواقعية لا على أساس شطحات خيالاته وتطلعاته .

هذا ورغم الانتقادات العديدة التى توجه إلى نظرية التحليل النفسى فان قيمتها العملية لا زالت قائمة ولا سيما فى مجتمع يزداد تعقيدا يوما بعد يوم وتسود فيه الصراعات من أجل الحياة ، ويرتفع فيه مستوى الطموح ، وتحتدم فيه ظروف المنافسات ثم يجابه الفرد بكثير من ضروب الإحباط ومواقف الفشل ، ففى وسط هذه الحياة الحديثة يجب أن تقوم الرعاية النفسية للفرد بدور فعال فى تحقيق أكبر قدر من السعادة والتكيف .

ومن التطبيقات التربوية لتعاليم التحليل النفسى - العمل الجاد على إذكاء دوافع الحياة والحب والبناء والعوامل الإيجابية فى الطفل بدلا من دوافع التخريب والعدوان والسلبية . بحيث تبرز وتنتصر فيه غريزة الحياة على غريزة العدوان .

ولما كان ضمير الفرد يتكون عن طريق سلسلة الأوامر والنواهى التى يتلقاها الطفل ، لذلك يجب أن يكون المدرس أكثر إيجابية وأن يعمل دائما على

أن ينصح التلميذ وينهاه على كل ما يخالف القيم والعقائد الاجتماعية المدرسية لأن في تهاونه وترك الحبل على الغارب للطفل والأخذ بسياسة الحرية المطلقة ضعف لضميره أي للقوى الذاتية الحاكمة في الإنسان ... على أنه من الأهمية بمكان ان نشير إلى ان هذه الأوامر والنواهي يجب ألا تزيد عن الحد اللائق وألا يتخذ المدرس أو الأب أسلوب القسر والعنف والقسوة المفرطة , لأن مثل هذه المعاملة من شأنها أن تنتج ضميرا وخاذا حادا شديد الحساسية ، دائم توجيه التأنيب واللوم لصاحبه وبعبارة أخرى يجب أن يكون موقفنا وسط بين التهاون الزائد والقسوة المفرطة .

والمدرس دائما في موقف يسمح له بتنمية الحاسة التي تسير بمقتضى القيم والتقاليد والعرف الإجتماعي ، ومن المعروف ان لهذه القيم سلطانا كبير على سلوك بعض الناس بينما البعض الآخر لا يعيرها كثيرا من الأهمية .

ويجب أن تعمل الأجهزة التربوية قاطبة على تجنب الطفل مواقف الصراعات النفسية والإصابة بالعقد النفسية التي تحدث نتيجة لوضعه في مواقف مشكلة صعبة الحل ، أو في مواقف متضاربة حيث تصطرع فيه الرغبة في الإقبال والاحجام بل يجب أن يكون دائما في مواقف صريحة وواضحة لأن أمثال هذه الخبرات المؤلمة تتسرب إلى باطن اللاشعور وتتراكم ولكنها تطفو من حين لآخر وحتى إن لم تطف فان صراعا داخليا باطنيا ولا شعوريا قد يحتدم وطيسة دون أن يفهمه المحيطون بالطفل .

ومن بين نتائج نظرية التحليل النفسي أيضا الايمان بوجود دوافع لا شعورية للسلوك إلى جانب الدوافع الشعورية ، فكره المدرسة او كره مادة من المواد الدراسية قد يكون في ظاهره بلا سبب ولكنه يرجع في الواقع إلى أسباب حقيقية

ولا شعورية ودوافع منسية ومكبوتة وحبيسة اللاشعورية . هذه الدوافع تكونت نتيجة لمرور الطفل بخبرات غير مواتيه ، فالسلوك مهما بدا لنا غريبا وشاذا فان له حتما دوافع شعورية أو لا شعورية .

ولا شك أن موقف المدرس إزاء التلميذ المشكل يشبه إلى حد بعيد موقف المحلل النفسى إذاء المريض لأنه يستطيع أن يتيح من الفرص ما يساعد الطفل على تصريف الأزمة المكبوته كما يساعدة على التعرف على مواطن الضعف الكامنة فى نفسه ويشجعه على التخلص منها ، وفى كل هذا يجب أن تكون علاقة المدرس بالتلميذ ـ كعلاقة المحلل بالمريض ـ علاقة ثقة وتعاون متبادلين وفهم عميق ، فالمدرس يفتح قلبه وصدره لشكايا التلميذ ويستمع فى صبر وأناة إلى مشكلاته وخبراته السارة والمؤلمة ، ويشعر الطفل بأنه مقبول لا منبوذ ، محبوب لا مكروه .. الخ .

ولا شك أن مثل هذه العلاقات الطيبة الإيجابية تضيف الكثير إلى تكيف التلميذ وإشعاره بالرضا والسعادة مما ينعكس على حبه للمدرسة . وشغفه فى الإقبال عليها ومن ثم ازدياد مقدرته التحصيلية والانتاجية .

اسئلة تطبيقية وتمرينات عملية

١) ناقش العوامل المختلفة التى قد تؤدى إلى إنتشار الجريمة والانحراف لدى جماعات العمر المختلفة ؟

٢) أيهما أكثر مسئولية فى وقوع الجرائم : الفرد أو المجتمع ؟
ناقش هذه المشكلة موضحا رأيك المدعم بالأدلة ؟

٣) تلعب العوامل النفسية دورا هاما فى انتشار الجريمة بين الشباب .
وضح هذه العوامل . ثم اذكر كيفية تلافيها ؟

٤) لماذا تعد مرحلة الطفولة ذات أهمية كبيرة فى تحقيق تكيف الفرد .

٥) « يستطيع المعلم أن يلعب دورا إيجابيا فى حماية تلاميذه من الإنحراف» إشرح ذلك موضحا الوسائل التى يستطيع أن يتبعها ؟

٦) لماذا كان العقاب البدنى من الوسائل غير الناجحة فى تعديل السلوك المنحرف ؟

٧) وضح الدور الذى يمكن أن تقوم به الأسرة لحماية أبنائها من الإنحراف ؟

٨) ما هى الوسائل التى تقترحها والتى يمكن أن تقوم بها الإدارة التربوية لحماية النشىء ولضمان حسن تكيفهم النفسى والاجتماعى ؟

٩) ناقش التعاريف المختلفة لمفهوم التكيف النفسى مناقشة نقدية .

١٠) ماهى العوامل النفسية التى يمكن أن تؤدى إلى مرض الهستيريا وكيف يمكن تجنب الإصابة بهذا المرض ؟

١١) صف الأعراض المختلفة لكل من الهستريا والقلق والوسوسة والفوبيا .

١٢) ما هو الفرق بين الأمراض النفسية والأمراض العقلية ؟

١٣) ما الذى نقصده بالهلوسة ، وضح إجابتك بذكر الأمثلة .

١٤) أعراض أهم الطرق المستخدمة فى العلاج النفسى ووضح رأيك فى كل منها

١٥) قارن بين طرق العلاج النفسى المختلفة ؟

١٦) ماهو الفرق بين العلاج الجمعى والعلاج الفردى ؟

١٧) إشرح الدور الذى يمكن أن تؤديه الأجهزة التربوية فى تحقيق سعادة التلميذ وتكيفه .

تعريف الشخصية

هناك تعريفات متعددة للشخصية تختلف بإختلاف مدارس علم النفس . ومن الناحية اللغوية فإن كلمة الشخصية تشتق أصلا من الكلمة اللاتينيـــة persona وتعنى القناع ثم أصبح إستخدامها للدلالة على شخصية الفرد ، أما من الناحية السيكولوجية فان أغلب تعاريف الشخصية يدور حول السمات والقدرات التى يتميز بها شخص ما عن غيره من الأشخاص . ولقد أحصى البورت نحو ٥٠ تعريفا للشخصية ومع ذلك فقد أغفل بعض هذه التعاريف . ويتضمن تعريف الشخصية بعض المفاهيم التى دائما ترد فى إختبارات الشخصية وفى التكيف . ونحن نعرف أن الدور الذى يؤديه الممثل فى تمثيليـة ما يعرف أيضا بالشخصية وفى علم النفس يمكن تعريفها بأنها الفرد السيكولوجى أو الجانب السيكولوجى للشخص النفسى فسيولوجى . أما البورت فيرى أن الشخصية عبارة عن التنظيم الدينامى فى الفرد، تنظيم لتلك النظم السيكلوجية الفسيولوجية التى تحدد تكيفه الخاص لبيئته

" The dynamic organization within the individual of those psychophysical systems that detrmine his unique adjustement to his environment ".[1]

وهناك تعريف آخر ينظر للشخصية على أنها تتكون من مجموعة من سمات الفرد كوحدة ، كتلك السمات التى تميز شخصا ما فى علاقاته الاجتماعية مع الآخرين

ويعرفها بيرت (Burt) بأنها نظام متكامل من الدوافع والاستعدادات النفسيه والجسمية الفطرية والمكتسبة الثابتة ثبوتا نسبياً والتى تميز شخصا معينا عن غيره من الأشخاص والتى تحدد طرق تكيفه مع البيئة المادية والاجتماعية التى يعيش فيها

---

(١) English.

العوامل التى تؤثر فى تكوين الشخصيه .

هناك كثير من العوامل التى تؤثر فى تكوين شخصية الفرد ، منها العوامل الفسيولوجية كافرازات الغدد المختلفة . فقد وجد أن ضعف إفراز الغدة الدرقية يؤدى إلى الشعور بالخمول والنسيان والضعف العقلى . ولا شك أن عوامل الصحة العامة تؤثر فى حياة الشخص كالمرض الطويل والضعف العام وغير ذلك ولابد أن تقوم جميع غدد الإنسان بوظائفها فى تكامل وتناسق كاملين حتى يتحقق تكيف الفرد النفسى والإجتماعى .

ومن المبادىء السيكلوجية الهامة ان الإنسان قادر على تعويض ما ينقصه من قدرات او دوافع فالطالب ضعيف القدرة على التحصيل الدراسى نجده يتجه نحو النشاط الرياضى حيث يحقق نجاحه المنشود .

والعوامل البيئية المحيطة بالفرد تؤثر تأثيرا كبيرا فى نمو الشخصية فمركز الطفل فى الأسرة يؤثر تأثيرا كبيرا على شخصيته ، فالطفل الوحيد يختلف عن الطفل الأول أو الأخير ، كما أن الطفل الذى ترغب فيه الأسرة يختلف مركزة عن الطفل غير المرغوب فيه ، وكذلك جنس الطفل يؤثر فى شخصيته فاحيانا تكون الأسرة تواقه إلى إنجاب طفل ذكر وتأتى الرياح بما لا تشتهى السفن فتنجب طفلة فيتأثر إتجاه الأسرة نحوها . كذلك الظروف الأسرية المختلفة تؤثر فى شخصية الطفل وخاصة العلاقة بين الوالدين ، فعلاقة الأنسجام والوئام تختلف عن علاقة الشجار والنقار

ومن بين العوامل البيئية الهامة فى تشكيل شخصية الفرد العامل الإقتصادى والتعليم وفرص اكتساب الخبرات والمهارات الإجتماعية والمعرفية المختلفة .

أنماط الشخصية :

وهناك محاولات كثيرة قام بها العلماء لتقسيم الشخصية إلى أنواع مختلفة وترجع هذه المحاولات إلى الفلاسفة اليونانيين من أمثال ابيوقراط وجالينوس . وكانت تستهدف هذه المحاولات ربط الصفات الجسمية والاخلاقية والنفسية فى شخص ما ، حتى يستطيعوا أن يضعوه فى تصنيف معين أو فى نمط معين كالنمط الصفراوى أو السوداوى أو البلغمى ولكن لم تقم هذه التقسيمات على أى أساس علمى موضوعى وإنما كانت على أساس تأمل فلسفى ولذلك حاول العلماء فى هذا القرن البحث عن تصنيفات أخرى توضع على أسس تجريبية علمية .

وفى مطلع هذا القرن ظهرت تقسيمات أخرى من أكثرها شيوعا تقسيم عالم النفس السويسرى كارل يونج Jung وهو التقسيم إلى إنطواء وانبساط Introversion - Extravrsion . وإلى جانب ذلك قال يونج بوظائف عقلية أساسية أربعة هى التفكير والوجدان والإحساس والالهام ثم قسم كل من الانبساط والإنطواء على أساس تغلب هذه الوظائف وبذلك يعطى تقسيمه ثمانية أنماط مختلفة

ويتقدم المنهج العلمى فى علم النفس هجر العلماء فكرة التصنيف أو القوالب التى تصب فيها الشخصيات .

وعلى حال اقتضت حركة القياس العقلى والتوسع فى استخدام المقاييس النفسية إلى تقسيم سمات الشخصية إلى ما يلى :

١ - سمات جسمية كطول القامة ولون البشرة وسلامة الحواس

٢ - سمات حركية كالسرعة أو البطء وحركة اليد والأصابع .

٣ - سمات عقلية مثل التفكير والتذكر والتخيل والتصور ،

٤ — سمات مزاجية كشدد الانفعال ونوع العواطف والعقد النفسية .

٥ — سمات ذاتية كالسيطرة والخضوع والانطواء والانبساط والعدوان والتعـــاون .

٦ — سمات إجتماعية كالقدرة على إقامة العلاقات الاجتماعية والمساهمة فى المناشط الاجتماعية .

وقد يتفوق الشخص فى بعض هذه السمات دون غيرها ومعرفة ذلك تتأتى عن طريق استخدام اختبارات الشخصية المختلفة .

هناك كثير من النظريات التى وضعت لتفسير الشخصية منها نظرية السمات والنظرية الديناميكية ونظرية الأنماط وسوف نركز الاهتمام على نظرية الأنماط .

نظريه الطرز أو الأنماط

لقد وضع علماء النفس كثيرا من النظريات التى تصف الشخصية الإنسانية وتفسرها ، ومن أشهر هذه النظريات نظرية الطرز أو الأنماط personality types (١)

منذ القدم والإنسان يميل إلى تصنيف من حوله من الناس إلى طرز أو أنماط معينة على أساس ما يمتازون به أو يمتلكون من صفات جسمية أو عقلية أو مزاجية . فالنمط أو الطرز يطلق على فئة أو مجموعة من الناس يشتركون فى صفة من الصفات مع إختلافهم فى درجة إتسامهم بهذه الصفة ، النمط هو :

"a pattern of qualities that can be distinguished from other patterns and that sarves as model or example in assigning individuals to a class or proup " (٢)

وهناك أنماط جسمية قامت على أساس الصفات البيولوجية للأشخاص كالبدانة والنحالة . أما تقسيم كارل يونج فإنه تقسيم سيكلوجى يعتمد على الصفات النفسية psychological types .

ومن أقدم هذه التصانيف تصنيف « ابيقراط » الذى قسم فيه الناس إلى أربعة طرز حسب المزاج الغالب عليهم وهى :

(١) الطراز الدموى Sanguine : ويتميز صاحبه بالتفاؤل والمرح وامتلاء الجسم وسهولة الاستثارة وسرعتها ، والتقلب فى السلوك وهو ما يعرف فى العامية باسم « الهوائى » .

(١) Jung, C. C. Psychological types, Harcourt, Brance and Co. 1923.

(٢) English.

(٢) الطراز الصفراوى Choleric : ويمتاز صاحبـه بقوة الجسم والعنف وسرعة الغضب .

(٣) الطراز السوداوى Melancholic : ويمتـاز صاحبه بالتأمل وبطء التفكير والتشاؤم والنزوع إلى الإكتئاب وثبوت الإستجابة .

(٤) الطراز البلغمى Phlegmatic أو اللمفاوى : وصاحبه بطيء الاستثارة والإستجابة ، خامل بليد بدين يميل إلى الشره .

وقد زعم القدماء أن كل طراز يتميز بغلبـة عنصر فى الدم أو فى الجسم كالصفراء أو البلغم ، ولكن هذا التفسير لايقره العلم الحديث .

تصنيف الناس الى أنماط محددة فاصله :

إن فكرة تقسيم الناس إلى إنماط مختلفة تقود إلى فهم جزئى للشخصية : فهم لجانب واحد من جوانبها ، بمعنى أننا ننظر للصفات التى يحتويها هذا النمط أو ذاك ونهمل ماقد يوجد بين الشخص المنطوى والمنبسط Extravert and Introvert . مثلا من فروق فى القدرات والسمات والاتجاهات الأخرى . فالمنبسط قد يكون غبيا أو ذكيا ، طموحا أو بليدا خيريا أو أنانيا ، ومن ثم فان مجرد وضع لافته عليه يكتب عليها « منبسط » تخفى حقائق قد تكون ذات أهمية ودلالة فى فهم شخصيته وتفسير سلوكه .

وقد يروق لنا أن نتساءل كيف يتكون مفهوم النمط ؟

إننا نكون مفهوم نمط ما عن طريق ملاحظة مجموعة من الصفـات Characteristics أو السمات Traits أو القدرات Abilities المختلفة التى نستدل على وجودها من ملاحظة مجموعـة من الاستجابات Responses السلوكية

الجزئية ، ثم بعملية تجريد عقلية Abstration تخرج إلى تكوين مفهوم السمة ، ومن مجموع السمات يتكون مفهوم النمط . فالنمط مفهوم إفتراضى تجريدى نظرى يعطى أكثر مما يوجد فى فرد معين بذاته .

والواقع أن فكرة تقسيم الناس إلى أنماط ذات حدود فاصلة لاتنطبق إلا على الأقلية المتطرفة فقط ، فكما أن غالبية الناس ليسوا عمالقة أو اقزاما ، كذلك فإن السواد الأعظم من الناس ليسوا منطويين ولا منبسطين وإنما هم معتدلون ولقد دلت التجربة على ان كل منا خليط من الانطواء والانبساط . ولكن غالبا ما تكون السيادة النسبية لإحدى هاتين السمتين وهى التى تجعلنا نضع هذا الفرد فى هذا النمط او ذاك .

إن الطبيعة البشرية ترفض التقسيم الحاسم وتفضل التدرج والانسياب فمن النادر أن نجد نمطا خالصا صرفا ، ولكن دائما يكون لدى الفرد وظيفة أو عدة وظائف غالبة متسيطرة بحيث يمكننا أن نصفه بها . ولكن دائما تأتى وظائف أخرى إلى جانب هذه الوظيفة ، ومن ثم فان مفهوم النمط لا يمكن أن يكون جامعا مانعا ، ومن الحقائق الأخرى المتعلقة بنقد هذه الفكرة ، أن الانطوائيين يختلفون بعضهم عن بعض فى كثير من الصفات وإنهم لا يشبهون بعضهم بعضا إلا فى الصفات الانطوائية فقط ، وإلى جانب ذلك فان نظريات الطرز لا يمكن أن تتخذ مبدأ لتفسير السلوك ولكنها فقط وسيلة من وسائل الوصف ، فقولنا بأن هذا الشخص منسحب من المجتمع لأنه من النمط المنطوى ، لا يضع أيدينا على عوامل محدودة يمكن ملاحظتها وتعديلها . ولذا فلتفسير السلوك المنطوى يجب أن نبحث فى بيئة الفرد وفى تاريخ حيــــاته وفى قدراته الجسمية والعقلية على العوامل المؤثرة التى دفعته إلى الانطواء ، ومن ثم فإن حصولنـــا على عوامل ملموسة محسوسة تمكننا من تعديل سلوكه الانسحابى .

فوائد عمليه لتصنيف الناس الى انماط معينه

والآن قد يتساءل البعض ما هى إذن أهمية تصنيف الناس إلى أنماط في علم النفس ؟ نقول إن هـــذه التقسيمات عامة وتقريبية وأن غالبية الناس تقع في المناطق الوسطى من أى مقياس يعد لقياس أى نمط من الأنماط النفسية ولكن لهذه التصانيف قيمة عملية فنحن لدينا فكرة عامة عن شخصية الفرد الألماني والانجليزى والفرنسى والعربي وعلى الرغم من عدم إمكان جمع كافة الصفات والخصائص التقليدية المفروض توافرها في الشخصية الفرنسية مثلا في فرنسى معين ، فاننا لا زلنا نستطيع أن نميزه عن غيره من الاجناس الأخرى . كذلك في المقاييس الإحصائية فاننا نستخدم مفاهيم إحصائية تشابه فكرة الأنماط ، فاننا نطلق « المتوسط الحسابي » ونحدد قيمته لكى يعبر عن المستوى التحصيلى مثلا لمجموعة معينة من الناس ثم نضع هذا المتوسط لكى يعبر به عن مستوى المجموعة كلها ، بينما قد يندر أن يكون أى فرد بعينه من المجموعة حاصلا على هذه القيمة . إن النمط يحتوى على أكثر مما يوجد في فرد واحد بعينه ، والأنماط لا توجد في الطبيعة ولكنها توجد في عين الملاحظ الباحث . ونحن حين نستخدم مفهوم النمط لكى يعبر عن طائفة من الناس ، فانما نستخدمه لأغراض إقتصادية ، فبدلا من سرد طوائف من السمات والخصائص التى يتميز بها شخص ما ، فاننا نكتفى بذكر أنه من النمط المنطوى مثلا فالفرد لا يقال أنه يمتلك نمطا معينا وإنما يقال إنه يناسب نمطا معينا والآن يبرز السؤال : هل تفيد معرفة الأنماط التى ينتمى اليها الناس في إقامة علاقات إجتماعية بينهم ؟ .

بالإضافة إلى الفوائد التى تساعد المعالج النفسى والمدرس في علاج الحالات المتطرفة من الأنماط وفي حسن تعامل المدرس معها ، فان معرفة النمط الذى

ينتمي اليه الطفل مثلا تساعدنا على التنبؤ بسلوكه ، بنجاحه أو فشله إذا ما وضع فى موقف سلوكى معين ، وفى مجال الحياة اليومية فان معرفتك للنمط الشخصى لمن تعاشرهم من الناس يجعلك تتعامل وإياهم بطريقة تناسب هذا النمط أو ذاك ، فالمدرس الذى يفهم النمط الذى يسود بين تلاميذه يستطيع أن يتعامل معهم بكفاءة وفاعلية أكثر ، ولا شك أنه من مصلحة الزوجين أن يفهم كل منهما النمط الذى يغلب على الآخر ، وحينئذ تعرف الزوجة مثلا أن زوجها يرى الأشياء بعين غير عينها ويفكر بأسلوب غير أسلوبها ، ويدين بقيم غير قيمها ، أن مثل هذه المعرفة تجعلها ترى الأمور من زاويته أو تعمل على الإقتراب من قيمه ورغباته ، ومن ثم يحدث التوافق والإنسجام بينهما ولكن نقص الوعى النفسى لدى البعض يجعل المنطوى يعتقد أن المنبسط سطحى وهوائى ومادى وغير وقور وغير مؤدب ومتبجح ومصاب بنزعات هيستيرية ، بينما يرى المنبسط زميله المنطوى أنانيا غبيا باردا صامتا . هذا الإختلاف فى الفهم قد يؤدى إلى صعوبات فى تكيف الزواج ، ولكن قد يحدث العكس حين يسعى كل طرف إلى الحصول من الطرف الآخر على الجزء الذى يفتقده ، فالرجل المفكر الهادىء يحلم بالزوجة العملية المنبسطة التى تمد له مناشطه الاجتماعية التى تكمل حياته العملية أو المهنية ، والمرأة الخجولة والمنسحبة تعجب بالزوج الذى يتركها تمارس أعمالها المنزلية فى أمان بلا تدخل أو اضطراب من قبله حيث ينصرف إلى مناشطه الخارجية والإجتماعية . وهنا يسير كل شىء فى سلام ما دام هدفها الأكبر تكييف نفسها لمطالب الحياة وبناء مستقبلها وتكوين أسرة وتوطيد مركزهما المالى . إذا إقتصر على هذا المستوى فانه لا خوف على مستقبل حياتهما . أما إذا إمتد الأمر إلى التطلع إلى فهم متبادل أو صحبة عميقة فان مشكلات سوف تظهر فى الأفق ، لأن كلا منهما يتحدث بلغة مغايرة للآخر بل

إن قيم أحدهما هى إنتفاء لقيم الآخر ، وهنا يصبح أحدهما ناقداً لقيم الآخر ورغباته وميوله وأصدقائه . أحدهما يحاول أن يدفع صاحبه إلى معترك الحياة الإجتماعية الصاخبة ويشكو بمرارة من الروتين والهدوء القاتل المميت ، وكلاهما يشعر أنه يساء فهمه ، وقد يؤدى هذا إلى حالة شعور برثاء الذات وهنا تصبح ضرورة نمو كل منها حتى يتلاقيـــان ضرورة حتمية ، وقد يحتاج الأمر إلى مساعدات السيكولوجى .

على كل حال من أشهر التصانيف السيكلوجية تصنيف عالم النفس السويسرى يونج Jung الذى قسم الناس فيه إلى منطويين ومنبسطين :

الانطواء والانبساط : Extraveision Introversion

والآن نتساءل : ما هو المعنى الذى يقصده علماء النفس بالانطواء والانبساط ؟

تتكون كلمة الإنبساط من مقطعين Extra وتعنى إلى الخارج أو إلى السطح و vertere وتعنى تحويل أو توجيـــه ، وبذلك يصبح المعنى اللفظى لكلمة الانبساط هو توجيه أو تحويل العقل إلى خارج ذاته ، إلى العالم الخارجى عالم الأشياء والناس . وبالمثـــل تتكون كلمة الانطواء من مقطعين Intro وتعنى فى الداخل ، ثم Vertere وتعنى تحويل وبذلك يصبح المعنى القاموس لكلمة الانطواء هو تحويل العقل إلى الداخل وإنعكاسه على نفسه . فالمنبسط أو الخـــارجى أو السطحى تصبح كل رغباته وإهتماماته موجهة نحو الناس والأشياء والطبيعة ، بينما تنحصر إهتمامات المنطوى فى ذاته وفى مشاعره وإحساســـاته وأفكاره وخيالاته .

ويعرف English الانطواء والانبساط على هذا النحو فيعرف الانبساط

Extraversion = a turning outward, or attitude of interest in things outside oneself, in the physical and social environment, rather than in one's own thoughts and feelings, or the turning of the libido outward upon another person or object.

أما تعريف الانطواء فهو

A turninginward upon oneself, with some tendencies such as a tendency to shrink from social contcacts, preoccupation with one's own thoughts, sensitivity" (1)

قبل أن ينشر « يونج » هاتين اللفظتين كان يستعمل بدلها عبـــارات مثل العقلية الموضوعية والذاتية والعقلية الخشنة ، العقلية النضرة الغضـــة الرقيقة . ولـكن أمثـــال هذه العبارات إن دلت على شيء فانما تدل على الجانب العقلى فقط من ظاهرتى الانطواء والانبساط ولا تشير إلى جوانبها النفسيـــة أو الفسيولوجية .

نقول ترجع نظرية تصنيف النـــاس إلى إنطوائيين وإنبساطيين ، أو إلى داخليين وخارجيـين ، أو باطنيين وسطحيين ، إلى عالم النفس السويسرى يونج Jung . الذى عاش فيما بين عامى ١٧٨٥ - ١٩٦١ وأن كانتا قد عرفتا قبله ، فقد استعملها بعض الـكتاب فى القـرن السادس عشر ، ولـكن الفضـل فى نشرهما وإقامة نظـرية متكاملة عنها وتحليلها يرجع إلى « يونج » والـيـه أيضا يرجـع القول بأن الانبساط فى تطرفه يصبح هـستيريا ، والانطواء فى مغالاته يصبح حالة من العزلة التامة وكراهية الناس . وفى تعريفه للانبساط يقول: أنها تحويل لليبدو libido ، التى هى الطاقة النفسية والجسمية نحو الخارج ، نحو الأشياء

---

(١) المرجع السابق English :

والناس . أما فى حالة الشخص المنطوى فان هـــذه الطاقة تتجه إلى الداخل ، إلى الذات[1] .

ولقد نزع بعض الكتاب إلى إطلاق اسم (السمه) trait على ظـــاهرتى الانطواء والإنبساط ، بينما نزع البعض الآخر إلى تسميتهما (إتجاه) Attitude ولـكن النظرة التحليلية تؤكد انهما ليسا سمة واحدة ولا إتجاها واحدا . فالإتجاه هو حالة عقلية أو إتجاه عقلى نحو موضوع واحد معين ، هو إصدار حكم بالقبول أو الرفض ، بالرضا أو الاستنـكار ، بالتأكيد أو المعارضة ، بالحب أو الـكره . كالاتجاه نحو الأسرة أو نحو الصهيونية العالمية . وعلى ذلك فللاتجـــاه موضوع محدد معين . أما السمة trait فان دائرة موضوعاتها واسعة كسمة الـكرم مثلا أو العطف ، فالعطوف يكون عطوفا على الناس وعلى أقاربه وعلى الحيـوان ... وهكذا . أما إذا كان عطوفا فقط على شخص معين ، فأنه يمتلك إتجـاه العطف نحو هذا الشخص . أما إذا كان عطفه بوجه عام ، فانه يتصف بسـمة العطف عامة . أما النمط فانه مجموعة من الســمات التى تـكون فى الغالب مترابطة ومن تجريدها نخرج إلى تـكوين مفهوم الطراز .

ولقد أدى التحليل العاملى Factor analysis إلى الاعتقـاد أن ظـاهرتى الأنطواء والانبساط ظاهرتان معقدتان بمعنى إحتواء كل منهما على عوامل نوعية أخرى يمكن ملاحظتها بدرجة عالية من الاستقلال ، بحيث يمكن تمييز كل عامل عن غيره من العوامل الأخرى . وعلى الجلة ، فاننا نستطيع أن نميز أنواعا أربعة من الأنطواء والأنبساط . أنطواء وإنبســـاطا فسيولوجيا وعقليا وأنفعاليا واجتماعيا .

---

(1) Jung, C. G. , psychological types

فالشخص المنطوى إجتماعيا ليس بالضرورة أن يكون منطويا عقليا أو نفسيا ... وهكذا .

ومما يؤيد ما نذهب اليه ، أن « جلفورد » أثبت احصائيا وجود عوامل مستقلة تكون هذه الظاهرة ، وهذه العوامل هى :

١ - إتجاه نحو الخوف من البيئة والهروب منها .
٢ - حساسية إنفعالية أو عاطفية نحو البيئة .
٣ - نزعة تركيز حول الذات .

وقد ميز بعض البحاث العوامل الآتية .

١ - الانطواء الإجتماعى أو الخجل .
٢ - الانطواء العقلى أو الفكرى .
٣ - الخمول .
٤ - الحزن .
٥ - القمع أو الكبت .

ومن الملاحظ أن الشخص الخجول مثلا ليس من الضرورى أن يكون حزينا أو مهموما . كذلك ليس من الضرورى أن يكون الشخص المنسحب إجتماعياً مرهف الحس بحيث تجرح مشاعره وإحساساته بسهولة وبسرعة . ونحن إذا ما قبلنا الرأى القائل بتعدد العوامل المكونة لهاتين الظاهرتين ، فإننا يجب أن نتساءل : ماهى الخصائص والسمات الجسمية والعقلية والإنفعالية والإجتماعية التى تميز الشخص المنطوى عن المنبسط ؟

وفى اجابتنا عن هذا التساؤل ، أود أن أؤكد أن هذا التقسيم الى صفات جسمية وعقلية ونفسية واجتماعية ، القصد منه التحليل وسهولة الفهم . وهنا ينبغى أن أؤكد أن الشخصية الانسانية وحدة نفسية عقلية جسمية ، وحدة ديناميكية متطورة متكاملة متفاعلة ، وأن فصل أثر العوامل العقلية عن النفسية أو أثر العوامل الجسمية عن النفسية ، أمر بالغ الصعوبة . فالعوامل المكونة للشخصية الانسانية متشابكة متداخلة ، ومن هنا كانت صعوبات القياس النفسى .

صفات المنطوى والمنبسط

أود أن أخرج من حيز التجريد والتعميم إلى مجال الوقائع الملموسة ، وإلى الإشارة إلى وحدات السلوك الفردية الجزئية التي تميز السلوك المنطوى والمنبسط ، فأعرض صورة لنماذج من سلوك كل منهما . ويفيد مثل هذا العرض فى تصميم الاختبارات التى تقيس الشخصية حيث يمكن ترجمة هذه الصفات إلى وحدات لتكوين الاختبار المطلوب .

الصفات الجسمية Physiological Characterics

فعلى المستوى الفسيولوجى ، لوحظ أن المنبسط ترتفع عنده القدرة السمعية ، وأنه أكثر تأثرا بحالات نقص الأوكسجين فى الدم ، وأنه يميـــل إلى الحركة والحيوية والنشاط ويؤثر المناشط الحركية : كالرحـــلات والألعاب الرياضية وتسلق الجبال ، ولا يجد صعوبة فى القيـــام « بدور العسكرى » : وقد أشار البعض إلى العادات النوعية للمنبسط على أنه يتحدث بثقة ، يفتح منديله المنطوى ثم بثقة وضوضاء ينفض أنفه ، يبصق على بعد مسافة طويلة ، يعطس بصوت مرتفع ، وعلى المائدة يشغل حيزا كبيرا ، يجلس فى المقدمة ، يمشى بصدره منتفخا ، إذا ما جلس يضطجع على كرسيه واضعا رجلا فـــوق أخرى ، يضع قبعته فوق أحد حاجبيه ، وكأنه يكتفى بالرؤية بعين واحدة ، ويصـف البعض المنطوى بأنه يمشى متهيبا متمهلا فى خفة ونعومة وكأنه يخـاف أن يلمس الأرض يسير وعيناه منخفضتان لا يجرؤ على الحلقة فى وجوه المارة ، إذا ما جلس فإنه يضع نفسه خلسة خلف المتحدث ، قبل أن يتحدث يستجمع ما يريد أن يقوله أولا ، يهرب إذا شعر أن العيون ترقبه ، يجلس وكأنه لا يشغل حـــيزا من المكان ، يكبس قبعته فى رأسه كى تخفى وجهه ، ينكمش ويتضاءل وهو ينظر

لساعته ، إذا ما سألته الجلوس جلس فقط على حافة المقعد فى حذر ، وإذا ما تحدث فبصوت منخفض ، ينتظر حتى يصبح وحده فيعطس ويبصق تقريبا « فوق نفسه » .

وفى الحالات المتطرفة من الإنطواء ، نجد الفرد قد أهمل مطالب جسده ، ومطالب المجتمع الذى يعيش فيه .

أما فيما يتعلق بالناحية الجنسية لدى كل منهما ، فالمنطوى أكثر شعورا بالذنب نتيجة لتأثره بوصايا الوالدين ، وعلى ذلك فانه يحاول أن يخفى سلوكه الجنسى ويحيطه بالسرية التامة . وعلى ذلك تظهر بعض حالات الانحرافات الجنسية لديه ، فيؤثر الخيال الوهمى ، ويفضل قراءة القصص العاطفية على العلاقات العاطفية الواقعية ، ويستجيب لأفلام العشق والغرام ، ولا يشارك فى حفلات الرقص أو فى مناشط الأندية ، له أصدقاء على قلتهم من نفس الجنس فقط .

وقد ذهب بعض الكتاب إلى نعته بالتأنيث والنعومة عامة . كذلك ذهب البعض إلى القول بأن المنبسط يميل فى الأغلب إلى البدانة وامتلاء الجسم ، بينما المنطوى يميل إلى النحالة .

الصفات العقلية Mental Characteristics

يميل المنطوى إلى تحليل نفسه ونقدها ، ويكثر التفكير فى الصغائر والدقائق ، ويتصف تفكيره بالذاتية وعدم الموضوعية ، فعنده ينعكس العقل على ذاته ، فيكثر التأمل فى ذاته وفى مشاعره وإحساساته وآلامه وآماله .. ، يميل إلى الخيال الجانح ، والاستغراق فى الأوهام ، وتستولى عليه أحلام اليقظة التى يحقق فيها آماله وتطلعاته التى يعجز عن تحقيقها فى عالم الواقع ، فتجده يحارب وينتصر ويجمع الثروة ويحرز النجاح والتقدم فى عالمه الخيالى ... كذلك إذا

كان لنا أن نقارن بين تفكير المنطوى والمنبسط ، وبين ألوان من الفكر الفلسفى الحديث ـ فالمنطوى مثالى ، رمزى ، ذاتى ، نظرى . بينما المنبسط واقعى ، عملى ، تجريبى ، حسى . كذلك نجد المنطوى يفضل المناشط والالعاب العقلية الداخلية ، بينما المنبسط يفضل المناشط الرياضية والحركية .

الصفات الانفعالية Emotinal Characteristes

تظهر ظاهرتا الانطواء والانبساط أكثر ما تظهر فى الميدان العاطفى الانفعالى . فالمنطوى يؤثر العزلة والاعتكاف ويحب الانفراد ، ويميل إلى التهيب والخجل والحساسية المفرطة .

ويغلب عليه التردد فيفكر كثيرا فيما يعمل قبل أن يبدأ ، كثير الارتباك والحيرة ، كثير الندم والتحسر على مافات ، حساس للنقد والاهانة ، يأخذ كل شىء مأخذا شخصيا ، شكاك فى نيات الناس ودوافعهم ، كتوم يحتفظ بأسراره لنفسه ، يكبت عواطفه وانفعالاته ، يحدث نفسه ، ويشغله كثيرا ما يظنه الناس فيه . أما المنبسط فانه سريع التكيف للمواقف الجديدة ، سريع التعارف على الناس سريع الاستجابة ، لا يعبأ بالنقد ، غير مفرط الحساسية (لا يؤذيه النقد) .

وفى هذا الصدد يقول يونج هناك طائفة من الناس فى لحظات استجاباتهم لموقف معين فى البداية ينسحبون إلى الوراء ، وكأنهم يهمسون بكلمة «لا» غير مسموعة ، ثم بعد ذلك يبدأون فى رد الفعل .. وهناك طائفة أخرى من الناس الذين يقابلون نفس الموقف باقدام واستعداد أولى للاستجابة . وكأنهم واثقون أن سلوكهم صواب بداهة ، وعلى ذلك فإن رد فعل المنطوى يتصف بالسلبية ، بينما يتصف المنبسط بالايجابية والثقة والتفاؤل والانشراح والجرأة ، ويميل إلى كثرة التحدث وحب الظهور ويمتاز بسهولة التعبير اللفظى عن نفسه .

الصلة بينه وبين العالم الخارجي وثيقة . فالقيمة الكبرى عنده للموضوع الخارجي وليس للذات ، وإذا ما حدث خلاف بينه وبين العالم الخارجي ، فانه لا يستسلم بالإنسحاب ، ولكنه يتعارك وأياه ويجادله حتى ينتصر ، ويحاول إعادة تشكيل الموقف الخــارجي حتى يتلاءم وأياه . أما المنطوى فالسيادة عنده هى الضرورة الذاتيــة الباطنية ، ولا تظهر عواطفه وانفعالاته بسهولة ، لا يعقد صداقات بسهولة، ولكن إذا عقدها فتتصف بالعمق والولاء والاخلاص والوفاء.

يميل الأنبساطيون إلى التفاؤل والتحمس ، على الرغم من أن تحمسهم دائما لا يدوم طويلا . فالمنبسط يعقد صلات مع الناس بسرعة ، ولكنه يقطعها بسرعة أيضا ، فهو راغب فى كل جديد ، وله صلات بكلا الجنسين وبكل الأعمار ، ويقتحم المحادثات فى جرأة وجسارة .

يسير فى حياته بلاخطة موضوعة وبلا طموح كبير ، يأخذ الحياة كما تأتى ويستمتع بكل دقيقة إلى منتهاها دون الامعان فى التفكير فى المستقبل ، وكأنه يتمثل بالقول : لا تشغل البال بماض الزمان ، ولا بآت العيش قبل الأوان ، وأغنم من الحاضر لذاته .

أما المنطوى فهو صوفى حالم تجول فى رأسه الأسئلة الميتافيزيقية .

الصفات الاجتماعيه Social charactertics

تؤدى رغبة المنطوى فى العزلة إلى ضيق دائرة أصدقائه وأعدائه أيضا ، فهو قليل الأصدقاء ، وقليل الأعداء ، فهو يؤثر العزلة على الاختلاط ، والفكر على العمل ، يشعر بالعزلة والضياع فى وسط المجتمعات الكبيرة ، يدفعه حسه المفرط إلى الخوف من أن يكون مثارا للضحك والسخرية ، ويميل إلى أن يكون حى الضمير مؤدب وناقد ، ومن ثم لا يظهر مواهبه . وعلى ذلك فانه يهمل ،

ويحرز نجاحا أقل من زميلة المنبسط . وبسبب عدم انخراطه فى المجتمع ، فانه غالبا ما يدين بلون شاذ من العقائد، وعلى الرغم من عدم تمتعه بالبريق الاجتماعى، وعدم سعيه اليه ، فانه أن عقد صداقات فانها تتسم بالعمق .

ولقد دلت الدراسات الحديثة على أن المنطوى يختار مثالة الاعلى من نماذج من الأدباء ورجال الدين . أما المنبسط فانه يختـــارها من العلماء وأصحاب الصناعات . ولكن قد يحدث العكس حين يختار المنطوى أحد أبطال المخاطرات حيث يبدى رغبته فى تقمص شخصية تمتلك ما يفتقده هو .

المنبسط يشارك فى الحفلات الاجتماعية ، وحفلات الرقص ويقبل عليها بلا خجل أو أرتباك وخور بنفسه ، مهتما بهندامه . أما المنطوى فانه لايهتم بهندامه مدام لا يجلب عليه أنتبـــاه الآخرين ، يستمتع بالاستغراق فى الأستبطان Introspection والأسقاط Porjection ، ويؤذيه الأحباط والفشل ، ويفكر فى آلام الناس ، ولا يستطيع أن يقوم بدور ما على خشبة المسرح ، كما لا يمكنه أن يقلد أصوات أو حركات الناس أمام مجموعة كبيرة ، ويميل إلى الخضوع أما المنبسط فهو يحب القيادة والزعامة .

بين الانطواء والانبساط :

هذه اللمحات عن صفـــات كل من الأنطواء والأنبساط تجعلنا نتساءل : أيها أفضل ، أننبسط أم ننطوى ، أو بعبارة أخرى أيها أفضل أن نربى أبناءنا فى المدارس على الأنطواء أم على الأنبساط ؟

يعيب المنبسط ميله نحو السطحية والتفاؤل المفرط ، وأفتقاره إلى النقد الذاتى ، وعدم الحساسية وتبلد الضمير ، واعتقاده أن التأمل « علة نفسية » . ويعاب على المنطوى عزلته التامة وأنانيته ، وشكه وإرتيابه ، وفتور عاطفته ، وإنسحابه من المجتمع .

وفى الحضارة الغربية الحديثة ، يفضـــل الأتجاه المنبسط ، حيث يوصف صاحبه بعبارات مشجعة ، مثـل إجتماعى وإيجابى ونشيط وناجح .. وهـكذا .
ويزعم بعض علماء النفس أن الشرق على العكس من الغرب ، يشجـــع الأتجاه الأنطوائى . ولقـد ذهب بعضهم إلى القول إن الحضارة الإسلامية تشجـع على الأنطواء ، بينما المسيحية الغربية تحض على الأنبساط .

وفى الرد على مثل هـذا الزعم نقول : إن الإسلام دين دنيا وآخرة ، ويجمع الروحانية والواقعيـة والمواطن المثـالى فى نظر الإســـلام هو المواطن العـامل المنتج غير المتواكل ، فهو يحض الناس على المشاركة الإجتماعية ، كصلاة الجماعة ، والحج ، ويدعو إلى التعاون والمؤازرة ، والأخذ والعطاء « إعمـل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ففى هـــذا نوع من التوسط والاعتدال بين الزهد والـكفاح فى الحياة .

فى ردى على هذا التساؤل : أيهما نختار ؟

أرد أن استرجع قول أرسطو : الفضيلة وسط بين طرفين كلاهما رذيله : أفراط وتفريط . الوضـع المثالى أن نـكون وسطا بين الانطواء والانبساط أن نأخذ بقـدر من كل . وأن نربى أطفالنا فى مدارسنا وبيوتنا على الإعتـدال والتوسط . ولـكن كيف يتسنى لنا هذا الجمـع ؟ يقودنا ذلك إلى ضـرورة معرفة الأسباب المؤدية لـكل من الأنطواء والأنبساط .

العوامل التى تؤدى الى الانطواء والأنبساط :

يذهب بعض علمـاء النفس إلى القـول بأن ظاهرتى الأنطواء والإنبسـاط ترجعان إلى عوامل فطرية وراثية. وحجتهم فى ذلك أن التمييز بين السلوك المنطوى والمنبسط يمكن ملاحظته فى الطفولة المبكرة . حيث تظهر على الطفل المنبسط دلائل سرعة التـكيف مع البيئة وأنتباهه الزائد نحو الأشياء المحيطة به خاصة نحو تأثيره

عليها . فهو يتحرك ويلعب ويعيش وسط الأشياء فى ثقة وجرأة . ويدرك ما يحيط به أدراكا سريعا ولكنه عشوائيا وإن كان أقل خوفا من الطفل المنطوى فانه ينمو أسرع منه ويختلط بالأشياء فلا يستشعر حدودا تفصله عنها ، وهو يدفع نفسه اليها ، ويخاطر بنفسه فى استكشاف ما تقع عليه يديه . أما الطفل المنطوى فإنه يميل إلى الخوف والتردد وينكمش عن المواقف الجديدة ويقترب منها فى خوف ، وترقب . ويذهب دعاة الوراثة إلى القول بأن هاتين الظاهرتين تحددهما أيضا عوامل داخلية فسيولوجية كافرازات الغدد الصماء والجهاز العصبى المركزى وبعض التفاعلات الكيماوية والتغيرات التى تطرأ على الهرمونات وعمليات الأيض والتمثيل المختلفة ، ومن ذلك ما وجدوه من تحول الانطوائى إلى السلوك المنبسط إثر تناول جرعات متتالية من الكحول . ولقد وجدوا أنه كلما زادت درجة إنطوائية الشخص كلما زادت كمية الكحول اللازمة لتحويله إلى السلوك المتحرر . كما وجد أن المنبسط رأسه سهلة التأثير بالمشروبات الكحولية حيث تكفى كميات قليلة لتحويله إلى حالة فقدان الوعى التام . ولقد وجدوا أن المورفين والشاى والقهوة والأفيون تجعل الفرد ينزع إلى الحساسية والأنطوائية . كذلك ذهبوا إلى تدعيم أثر الوراثة بما لاحظوه من أرتباط بين البدانة والانبساط والنحالة والإنطواء وكذلك دل البحث العلمى على أن الأمراض الطويلة والادمان على المخدرات وحالات سوء التغذية والحوادث وما اليها تؤدى إلى إنخفاض نسبة ذكاء الفرد .

وفى الرد على هذا الزعم نقول إن الملاحظة تدحض هذا ، والادلة على ذلك ما لوحظ من أن أبناء البيئات الريفية أكثر أنطواء من أبناء الحضر وأبناء الطبقات الفقيرة أكثر أنطواء من أبناء الطبقات المتوسطة والعليا .

كذلك لوحظ أن التوأم الذى يتربى مع أمه يكون أكثر أنبساطا من زميله الذى حرم منها ، كذلك يميل الطفل الوحيد أن يكون منطويا . وتعتمد هاتان الظاهرتان اعتمادا كبيرا على ما يلقاه الطفل من معاملة المحيطين به فالطفل الذى يحرم من أشباع حاجاته الأولية والذى يجد صدا دائما من قبل الكبار حين يريد التعبير عن نفسه لابد وأن ينزع إلى الإنسحاب . كذلك وجد أن مواقف الإحباط التى يتعرض لها الطفل فى المدرسة تشعره بالألم . ومن ثم فانه يتفادى هذا الإحساس المؤلم بالإنسحاب كاحدى الحيل الهروبية من المواقف غير المرغوب فيها . كذلك العكوف على توجيه النقد الهدام للطفل وذمه وبخس قدراته من شأنه أن يقوده إلى الشعور بالنقص وعدم الثقة بنفسه . ومن ثم يلجأ إلى الإنطواء وكذلك التربية الإتكالية حيث يحرم من الفرص التى يتمرن فيها على تحمل المسئولية والقيام بأدوار قيادية . من شأنها أن تدفعه إلى الإنزواء فى المناسبات التى تتطلب مثل هذا السلوك ، وكذلك غلق الطريق أمام الطفل للتعبير عن نفسه من شأنه أن يقوده إلى الصمت والإستغراق فى الأحلام . والتسلط على الطفل والسيطرة عليه والإفراط فى القسوة والعنف والكبت والحرمان والاهمال والمعايرة والتوبيخ وما إلى ذلك له أثر فى إتجاه الطفل نحو الأنطواء أو الأنبساط . وللمدرس وأسلوب التربية أكبر الأثر فى هذا .

الواقع اننا لا نستطيع أن نزعم أن الأنطواء والانبساط إكتساب صرف أو وراثة محضة . ولكن الإنسان أبن الورثة والبيئة معا . فالوراثة تضع البذور وتحدد الأطار العام الذى لا يمكن أن تتعداه العوامل البيئية . فالبيئة . لا تخلق من العدم ، والوراثة وحدها لا تجدى أننا لا نستطيع أن نحول الاقزام إلى عمالقة ولا البلهاء إلى عباقرة . ولكن بذور البرتقال مثلا لا تحتوى على شجرة

تفاح ، ولا تستطيع تربة كائنة ما كانت أن تخلق من بذور التفاح برتقالا ، كذلك التربة الصالحة لنمو البرتقال قد تكون من العوامل المعوقة لنمو التفاح ... . وهكذا فإن البيئة تصقل وتوجه النمو ، تسمح بالذكاء مثلا أن يخبو أو يظهر ثم توجه سيره وطريقه ، فإما تفوق فى العلم أو فى « الجريمة » .

إذا قبلنا أن الشخصية الإنسانية محصلة لتفاعل مجموعة العوامل الوراثية والبيئية ، يبقى تحديد الأهمية النسبية لكل منهما وهو أمر بالغ الصعوبة ... على أننى أميل إلى إستخدام لفظ الوراثة بمعنى كل ما يولد مزودا به الطفل ، أو على القليل ما توجد جذوره عند ميلاد الطفل . ولست أعنى بها فقط مجرد الإنتقال من الآباء إلى الأبناء . ذلك أن الرحم وما يقع عليه من تغيرات خارجية وداخلية يعد بيئة للطفل . وأن ميلاد الطفل ليس إلا مرحلة جديدة من مراحل نموه . فكل ما هو غير مكتسب أو متعلم فهو فطرى فالصدمات التى قد يتعرض لها مخ الطفل أثناء الولادة المتعسرة ليست مكتسبة ، وليست منقولة عن آبائه ، لكنها ذات تأثير بالغ على شخصيته . هذا قد يبرر ما لوحظ من أن بعض أفراد الأسرة الواحدة قد يكون منطويا ، بينما البعض الآخر منبسطا . ولتوضيح صعوبة تحديد ما هو وراثى وما هو مكتسب . هب أن أما منطوية انجبت طفلا ولوحظ على سلوكه بعد أن بلغ سنا تسمح لنا بملاحظته أنه أيضا منطوى . هنا لا نستطيع أن نجزم بأنه ورث انطوائيته ولم يكتسبها لأنه يحتمل أن تكون الأم قد ربته على القيم الإنطوائية وغرست فيه السلوك المنطوى ، وأن يكون هو قد نقل عنها تقليدا الانطواء . أننا نجد فى أصحاب الوراثة الواحدة — كما هو الحال فى التوائم العينية — أن العوامل البيئية عندهم متشابهة أن لم تكن موحدة ، على أننا فى قبولنا للدور الوراثى يجب أن نقرر أن هذا الدور مشروط بنوع السمة . فالسمات الفسيولوجية مثل طول القامة ولون الشعر يغلب عليها العامل الوراثى ،

بينما السمات الخلقية والنفسية كالإتجاه نحو الاسرة أو العروبة فهى خاضعة للتعليم والاكتساب والواقع أن الدراسات الحديثة قد اثبتت أن كثيرا من السمات والقدرات التى كان يظن أنها محدودة بعوامل وراثية صرفة ، أمكن تعديلها . ففى الذكاء مثلا أمكن تعديل مستوى بعض الأفراد عن طريق وسائل تربوية صالحه ، وعن طريق تحسين التغذية ، واستخدام وسائل وقائية وعلاجية معينة

كذلك دل البحث العلمى على أن الأمراض الطويلة ، والإدمان على المخدرات وحالات سوء التغذية ، والحوادث وما إليها تؤدى إلى إنخفاض نسبة ذكاء الفرد .

الاتجاه فى البحوث النفسية الآن هو تعضيد أثر العوامل المحسوسة الملموسة ،

أننا لا نستطيع أن نفسر السلوك الأنطوائى لشخص ما بمجرد القول بأنه « ورث » هذا أو بأن ذلك راجع إلى « غريزته » . كما أننا لا نستطيع تفسير السلوك المنحرف مثلا لدى طفل ما بالقول بأن « الإجرام فى دمه » أو أن غريزة المقاتلة هى التى تدفعه إلى إرتكاب الجريمة أو العوامل العصبية هى المسئولة عن هذا السلوك أو ذاك . أننا لا نستطيع أن نعزى السلوك إلى عوامل غيبية فى داخل الفرد . لأن ذلك يغلق باب البحث عن العوامل الحقيقية المسئولة عن السلوك والتى يمكن ملاحظتها وقياسها والتحكم فيها وتعديلها . وعلى ذلك فلتقرير العوامل المسئولة عن سلوك ما ، لابد وأن نبحث فى بيئة الفرد الإجتماعية والمادية وفى تاريخه المرضى والنفسى ، وفى قدراته الحقيقية التى يمكن قياسها .

اما القول بالغريزة أو « بالقدر » أو بالوراثة ، فانه يسد الطريق أمامنا . فى علاج الشخص أو تحويله او التنبؤ بسلوكه . ولكن تفسيرنا لسلوك طفل ما داخل حجرة الدراسة ، سلوكا هروبيا بالقول بأنه ضعيف فى القدرة على القراءة. ومن ثم يتحاشاها حتى لا يكون مثار سخرية زملائه مثل هذا التفسير يضع

أيدينا على عامل واقعى حقيقى ملموس يمكننا التحكم فيه وتعديله عن طريق الطفل على عمليات قراءة إضافية ، ومن ثم تحويله إلى الاعتدال .

وبذلك يصبح المجتمع وما فيه من وسائل التربية والإرشاد النفسى والعلاج قادرا على القيام بعمل إيجابى لتحقيق تكيف الفرد :

كذلك فانى أود أن أشير إلى أن ما يوجد بين سمات الإنطواء ، كالخجل أو الخوف من ارتباط ليس بالضرورة دليلا على أن أحد الظواهر المترابطة سببا فى وجود الآخر . فالعلاقة الارتباطية ليست بالضرورة علاقة سببية أو عليه ، فقد يرجع العاملان المرتبطان إلى عامل ثالث مسئول عنهما . فالقول بأن هذا الطفل منطو لأنه نزاع إلى الخوف ، أو أن الخوف والإنطواء مرتبطان ، لا يدل على أن الخوف سبب الإنطواء[1] .

وكذلك تجدر الاشارة إلى أن العوامل المكونة للشخصية الانسانية ، ليست مطلقة فى أثرها على السلوك . فالعامل الواحد قد يؤدى إلى أكثر من وظيفة ، أى أن العامل الواحد تختلف وظائفه باختلاف العوامل المتفاعلة معه أو المواقف المحيطة بالفرد . فالذكاء قد يقود إلى الانبساط ولكن إذا ما وضع طفل لامع الذكاء وسط مجموعة أقل منه ذكاء ، فن المحتمل الا يجد رغبة واشتياقا فى مشاركتهم فى مناشطهم . كذلك إذا وضع الفرد فى مجموعة لا تنتمى إلى طبقته الاجتماعية أو سنه ، ربما يميل إلى الإنطواء . كذلك الذكاء الخارق قد يقود صاحبه إلى العكوف على العلم والقراءة والبحث والابتعاد عن ضوضاء المجتمع . ولذلك يجب على الادارت التعليمية والتربوية أن تقسم التلاميذ إلى مجموعات متجانسة .

---

(١) راجع باب الارتباط من كتاب « علم النفس والانسان » للمؤلف .

فكرة وجود وظائف مختلفة للعنصر باختلاف العناصر المتحدة معه ، ليست غريبة فى عالم الكيمياء مثلا .

وعلى الجملة فان الوراثة تعطى المادة الخام التى تشكلها البيئة وتصقلها وتحدد كم وكيف نموها .

ما ينطبق على البيئة الإجتماعية المحدودة التى يلاقيها طفل ما تتصف بالدفء والحنان ، أو القسوة والإهمال ، ينطبق على الفلسفة الاجتماعية برمتها . فالمجتمع الدكتاتورى الذى تتحكم فيه القلة وتحرم الأغلبية الساحقة من الاشباع ومن التقدير الاجتماعى ، يؤدى إلى إنسحاب هذه الأغلبية وميلها نحو السلبية . أما المجتمع الذى يؤمن بالأخذ والعطاء وتكافؤ الفرص وعدالة توزيع الثروة والسلطة والادارة والأعمال ، فانه يشجع الأفراد على الثقة بذواتهم والاعتماد عليها وينمى فيهم روح تحمل المسئولية ، وروح الانتماء إلى المجتمع الأكبر ، وإلى إحترام الملك العام والصالح العام .

ويجب أن تنمو فى المواطن روح الإيجابية والإهتمام بالمشروعات العامة ومناقشتها ، والمساهمة فى بنائها ، وفى تعميم نفعها ، ويتأتى ذلك عن طريق تربية الفرد على أساس الاحساس بقيمته وبدوره فى العمل والانتاج والتخطيط والتقويم . ويرسخ هذا الشعور عندما يرتد عائد عمله وجهده اليه بصورة عملية .

والتربية هى التى تشعر الفرد بالكرامة والحرية والاستقلال ، وتحميه من الشعور بالسخرة والاحتكار والضياع . إن النشأة على أساس إحترام مبادىء الأخاء والمساواة والعدل ، تجعل الفرد ينشأ مكتفيا ومتخلصا من مشاعر السخط والكراهية ، ومن مشاعر النقص والحرمان . وبالتالى من النزوع إلى الإنسحاب والإنطواء .

فى ظل النظم الإجتماعية التى يكافأ فيها الفرد على عمله وجهـــده ، لا يشب الفرد على مشاعر الظلم والاضطهاد . كذلك الفلسفة الإجتماعية التى تؤمن الفرد على حياته ومستقبله ورزقه ، تحميه من الشعور بالقلق والتوتر والخوف ، وهذه العوامل المؤدية إلى الإنطواء .

والمجتمع الذى يستهدف اتاحة الفرصة أمام أكبر عدد من أبنائه لكى ينالوا أعلى قدر ممكن من التعليم يشجعهم على أن يمارس كل فـرد حقوقه فى الحرية والكرامة والقيادة والمشاركة بأعلى درجة من الوعى والكفاية .

والتربية هى أداة المجتمع ووسيلته فى صنع المواطن الصالح الذى يتمتع بالتكيف والانسجام مع نفسه أولا ومع أسرته ومع مجتمعه الأكبر . والتربية فى المجتمع الاشتراكى لابد وأن تكون تربية ديموقراطية تتيح للفرد حرية الفكر والكلمة، والتعبير عن الذات ، وحرية الاشتراك فى إدارة شئون نفسه .

أسئلة تطبيقية وتمرينات عملية

١ — حاول أن تضع تعريفا دقيقا لمفهوم الشخصية ؟

٢ — إن الشخصية ليست مجموعة من السمات المرصوصة جنبا إلى جنب .

إشرح هذه العبارة موضحا الطبيعة الديناميكية للشخصية .

٣ — وضح ما هو المقصود بالنمط في تفسير الشخصية .

٤ — ما هي العوامل التي تؤثر في تكوين الشخصية ؟

٥ — إشرح نظرية الأنماط شرحا نقديا .

٦ — ما هي الصفات المختلفة التي تميز كل من المنطوى والمنبسط ؟

٧ — وضح العوامل التي تؤثر في إتجاه الفرد نحو الأنطواء والأنبساط .

٨ — كيف يمكن للتربية أن تؤثر في نمط شخصية الفرد ؟

٩ — هل لتصنيف الناس إلى أنماط فوائد عملية ؟

١٠ — كيف يمكن قياس الإنطواء والإنبساط ؟

١١ — هل تفيد معرفتك لنمط شخص ما في التعامل معه ؟

الفصل التاسع عشر

مبادىء وأسس القياس العقلى

Principles of Psychological measurement

يستهدف القياس النفسى التعرف على قدرات الأفراد الخاصة وذكائهم العام ومواهبهم واستعداداتهم وميولهم المهنية والدراسية ، وذلك بقصد تصنيفهم إلى مجموعات متجانسة أو من أجـــل توجيههم إلى أنواع العمل أو الدارسة التى تتناسب وقدراتهم ، وكذلك يستخدم القياس النفسى فى ميدان التوجيه التربوى Educational guidance بقصد توجيه الطلاب إلى أنواع التعليم المختلفة التى تتوافق وما لديهم من قدرات واستعدادات والتى يحتمل أن يحرزوا فيها أكبر درجة ممكنة من النجاح . ويفيد القياس العقلى فى عمليـــات التوجيه المهنى Vocational guidance حيث تتاح للفرد فرصة تحقيق أكبر قدر من الإنتاج ومن التكيف .

وللقياس أسس ومبادىء لابد من توافرها من بينها أنه يجب أن يكون قياسا موضوعيا objective بمعنى ألا يتأثر بالعوامل الشخصية للمختبر كارائه وأهوائه الذاتية وميوله الشخصية وحتى تحيزه أو تعصبه . فالموضوعية تقتضى أن نصف قدرات الفرد كما هى موجودة فعلا لا كما نريدها أن تكون .

ويستخدم القياس كثيرا من الأدوات والآلات والإختبارات اللفظية والعملية الجماعية والفردية ، اختبارات السرعة واختبارات الدقة ... الخ .

ومن أهم صفات المقياس الجيد أن يكون صادقاً Valid وأن يكون ثابتاً Reliable فما الذى نقصده بالصدق والثبات ؟

الصدق Validity

ويقصد بالصدق أن يقيس الإختبار فعلا القدرة أو السمة أو الأتجاه أو الأستعداد الذى وضع الإختبار لقياسه أى يقيس فعلا ما يقصد أن يقيسه .

Validity insursea that the obtained test scores correctly measure the variable they are supposed to measure (1)

فالإختبار الذى وضع لقياس القدرة الميكانيكية مثلا يجب أن يقيسها فعلا ولا يقيس قدرة أخرى كالذكاء مثلا فقد يحدث أن يضع السيكولجى إختبارا لقياس القدرة الحسابية مثلا ولكنه قد يصيغ مفردات الإختبار أى أسئلته Items فى لغة بالغة الصعوبة والتعقيد فيصبح بذلك إختبارا للقدرة اللغوية . وليس الحسابية لأن التلميذ المتفوق فى اللغة سوف يتمكن من فهم الإختبار ، وهنا نتساءل كيف يمكن إيجاد معامل الصدق ؟ وبعبارة أخرى كيف يتأكد الباحث من صدق إختباره ؟

طرق الحصول على صدق الإختبار .

هناك وسائل متعددة للحصول على صدق الإختبار ، فيمكن الحصول على صدق الإختبار بتطبيق إختبار آخر يكون قد سبق تطبيقه والتأكد من صدقه ، ويسمى هذا الإختبار الأخير بالمحك Criterion الخارجى ثم نقارن درجات الإختبار بدرجات المحك وتحدد قيمة الصدق بما يعرف باسم معامل إرتباط الصدق Validity correlation coefficient بين درجات الإختبار

(١) المرجع السابق English H. B, and A. C A comprehensive Dictionary

لنفس المجموعة من الأفراد وبين درجاتهم على المحك فان كانت درجاتهم متشابهة أى إذا كان هناك معامل إرتباط كبير دل ذلك على أن الاختبار الجديد صادق فيما يقيس . وهناك أنواع مختلفة من الصدق منها :

١ - صدق المضمون Content validity :

ويسمى أيضا الصدق المنطقى Logical validity :

وفيه يقتضى التأكد من تمثيل جميع المواقف التى تبدو فيها القـــدرة المراد قياسها . ويصلح هذا النوع من الصدق فى إختبارات التحصيل Achievement tests ويتطلب ذلك عمل تحليل للمواد المراد قياسها ثم أخذ عينات ممثلة للسلوك الذى تظهر فيه القدرة ووضعها فى الإختبـار وعلى ذلك فللتأكد من صدق إختبـار ما نقوم بدراسة مفرداته لمعرفة مدى تمثيلها للقدرة المراد قياسها .

٢ - الصدق التنبؤى Predictive validity :

ومؤدى ذلك النوع إننا نطبق الإختبار ثم نتابع سلوك الفرد فيما بعد فإذا طبقنا إختبارا ما لقياس القدرة الميكانيـكية فاننا نلاحظ آداء المختبر فى ميـدان العمل الميكانيكى فإذا أتفق مستوى عمله وإنتاجه ومستواه على الإختبار دل ذلك على أن الأختبـــار صـادق ، وتسمى هـــذه الطريقة بالطريقة التتبعيـة Follow — up — Method لأننا نتتبع فيهـا أداء الفرد الفعلى فى مجـال القدرة المراد قياسها ، وهنا نبحث عن مدى إتفـاق الدرجات مع التحصيل فى المستقبل Future achievement

٣ - الصدق التلازمى Concurrent validity :

A measure of the correspondence between test results and the present status or classification of individuals, aform of empirical (1) validity

(1) English .

ويشبه الصدق التنبؤى ولكن يختلف عنه فى أنه فى حالة الصدق التلازمى يطبق الإختبار فى وقت واحد على مجموعة من الأفراد وعلى مجموعة أخرى من العمال القدامى الذين نعرف مقدما مقدار تفوقهم فى العمل ، فإذا كان العامل المتفوق فى عمله متفوقا أيضا على الإختبار دل ذلك على أن الإختبار صادق ، وتسمى هذه الطريقة أحيانا بطريقة العمال الحاليين .

The present employee method .

وحيث أن كل من الصدق التلازمى والصدق التنبؤى يقوم على التجريب فانه كثيرا ما يشار إلى هذين النوعين بالصدق التجريبى أو العملى .

Empirical validity

أما ثبات الإختبار Relialility فيعنى أن الإختبار ثابت فيما يعطى من نتائج فإذا طبق الإختبار على نفس المجموعة من الأفراد فى مرتين متلاحقتين كانت النتائج متشابهة ، أما إذا كانت مختلفة إختلافا كبيرا دل ذلك على أن معامل ثبات الإختبار ضعيف ، ويعبر عن معامل الثبات إحصائيا بمعامل إرتباط الثبات بين نتائج الإختبار فى مرتين متلاحقتين يجب أن يتراوح معامل الإرتباط للاختبار الثابت ما بين ٧٠ر ٩٠ر . فإذا طبقنا إختبار للقدرة الميكانيكية مثلا على مجموعة من العمال ثم أعدنا تطبيقه بعد حوالى شهرين على نفس المجموعة وفى نفس الظروف وكانت النتائج متشابهة بمعنى أن العامل الذى حصل على المركز الأول فى المرة الأولى يحتل أيضا المركز الأول فى المرة الثانية والذى حصل على المركز الثانى يظل محتفظا به فى المرة الثانية ، وهكذا بالنسبة للمجموعة كلها كان الإختبار ثابتا ثباتا مطلقا ، ولكن هذا الثبات المطلق لا يمكن أن نحصل عليه عمليا ويكتفى فى الغالب بدرجة معقولة من الثبات تتراوح غالبا

بين ٧ر ، ٩ر ويعبر عن الثبات المطلق إحصائيا بمعامل إرتباط يساوى واحد صحيح ، ولكننا إذا طبقنا الإختبار على الفرد أكثر من مره فاننا لا نحصل عادة على نفس الدرجات فى كل مرة وإنما نحصل على درجات متقاربة . ويجب أن يستخدم الباحث عددا معقولا من الأفراد فى عملية تحديد ثبات إختباره ويلاحظ أن الإختبار قد يكون ثابتا ولكن ليس من الضرورى أن يكون صادقا لأن الثبات عبارة عن درجة إرتباط الإختبار مع نفسه وليس من المعقول أن يرتبط الإختبار مع غيره أكثر من إرتباطه مع نفسه.

كيف يمكن إيجاد ثبات الإختبار ؟

هناك طرق مختلفة للحصول على معامل ثبات الآختبار منها ما يلى :-

(١) - طريقة إعادة الإختبـــار The test — retest Method حيث يطبق الإختبار على نفس المجموعة من الأفراد مرتين متلاحقتين متباعدتين ، ثم نقارن درجات الإختبار فى المرتين ويستخرج معامل الإرتباط بينها [1]

وتستخدم هذه الطريقة فى الحالات التى لا يحتمل أن تتأثر النتيجة بعوامل مثل الذاكرة والمران والتدريب . ويلاحظ أن للفترة الزمنية بين تطبيق الإختبار فى المرة الأولى والثانيه يجب ألا تكون طويلة جدا حيث يحدث نمو طبيعى لقـــدرات وميول وإستعدادات الفرد . ويؤثر ذلك على درجاته ، ويجب ألا تكون قصيرة جدا حيث تتأثر الدرجات بعامل التذكر وهنا يعطى الفرد فى المرة الثانية نفس الإستجابات التى أعطاها فى المرة الأولى .

٢ - طريقة الصور المتكافئة The alternate forms method

فى هذه الحالة يصمم الباحث صورتين متكافئتين متساويتين لقيـــاس نفس

---

(١) راجع طرق حساب معامل الارتباط وخصائص الارتباط فى كتب الاحصاء وفى كتاب المؤلف علم النفس والانسان .

القدرة ثم يطبقها معا على نفس المجموعة ، ثم يقارن درجات الأفراد على هذين الصورتين ، فان كانت متشابهة كان الإرتباط بينها كبيراً ومن ثم كان الإختبار ثابتا وإن كان الإرتباط صغيرا كان الإختبار غير ثابت .

٣ — طريقة القسمة إلى نصفين The split-half Method :

فى هذه الطريقة يقسم الإختبار إلى نصفين بطريقة عشوائية أو بأخذ مفردات الإختبار ذات الأرقام الزوجية على حدة وذات الارقام الفردية على حدة ، ثم يقارن درجات الأفراد على هذين النصفين فاذا كانت متشابهة دل ذلك على أن الإختبار ثابت ، وتصلح هذه الطريقة فى حالة ما إذا كانت مفردات الإختبار كثيرة العدد ، ومن مزاياها الاقتصاد فى الزمن المطلوب لتطبيق الاختبار حيث يطبق دفعة واحدة . والاختبار الثابت يشبه المسطرة أو المتر المدرج تدريجا دقيقا .

وإلى جانب ضرورة توفر صفتى الصدق والثبات للاختبار الجيد فانه لابد من توفر معايير Norms دقيقة تقارن بها الدرجات التى يحصل عليها الأفراد حتى يمكن تفسير الدرجة التى يحصل عليها الفرد فى اختبار معين ذلك لان الدرجة الخام Row score التى يحصل عليها الفرد فى اختبار ما ليست لها دلالة فى حد ذاتها ، ولكى يكون الإختبار مفيداً يجب أن يكون لدينا معايير تقارن بها الدرجات التى يحصل عليها الأفراد ويمكن إيجاد معايير لاختبار قياس القدرة الميكانيكية مثلا عن طريق تطبيقه على عدد كبير جدا من العمال الذين يمارسون فعلا أعمالا ميكانيكية والذين يمثلون هذه المهنة أصدق تمثيل ، فإذا حصل الغالبية العظمى من العمال على الدرجة ٥٠ مثلا استطعنا أن نقول لن هذه الدرجة تمثل العامل المتوسط فى القدرة الميكانيكية ،

ومن يحصل على أكثر منها فوق المتوسط ومن يحصل على أقل منها فهو دون المتوسط، على أنه لا يمكن مقارنة درجة الفرد بهذه الطريقة إلا إذا كان هناك تشابه بينه وبين مجموعة التقنين .Stanadardization group والمفروض أن تكون ممثلة Representative تمثيلا حقيقاً للمجتمع الكلى الذى تجرى عليه الإختبارات .

أى المجموعة التى وضعت معايير الاختبار على أساسها ، تشابه من حيث السن والجنس والمهنة والبيئة وغير ذلك .

يجب أن يكون الاختبار الجيد مقننا Standardized

ويتضمن التقنين تحديد شروط تطبيق الاختبار تحديدا دقيقاً وتثبيت جميع العوامل التى يمكن أن تؤثر فى النتائج أى ضبط جميع العوامل المحيطة بالفرد عندأداء الإختبار، ويتطلب ذلك أن تكون تعليمات الإختبار Test instruction وهى التعليمات التى تشرح للمفحوصين كيفية أداء الاختبار يجب أن تكون موحدة ومحددة فيشرح الباحث لمن يطبق عليهم الاختبار كيفية الاجابه على الأسئلة كما يحدد الزمن اللازم لاداء الاختبار ويحدد نوع الافراد الذين يصلح الاختبار لقياس قدراتهم وهكذا . ويجب التحكم فى العوامل التى تؤثر على نتائج الاختبار مثل الاضاءة والتهوية ودرجة الحرارة والرطوبة والهدوء وعوامل تركيز الانتباه وعوامل إثارة إهتمام المفحوصين .

من صفات الاختبار الجيد أيضا أن يكون مستواه معقولا من حيث الصعوبة والسهولة ، فالاختبار الصعب جداً لايجب عليه أحد والاختبار السهل جدا يجب عليه جميع الافراد ، وفى كلتا الحالتين لايمكن التمييز بين الافراد ولا يمكن تصنيفهم إلى فئات أو مجموعات متجانسة ومن شأن الاختبار المعتدل فى مستوى الصعوبة أن يعطينا توزيعاً إعتداليا للدرجات Normal distribution

أما إذا كان الإختبار سهلا جدا تركزت الدرجات فى الطرف الاعلى من التوزيع وإذا كان صعبا جدا تركزت فى الطرف الآخر ، أما إذا كان متوسط الصعوبة فانها تتركز فى منطقة الوسط وبذلك نحصل على توزيع إعتدالى للدرجات وعلى ضوء معرفة مستوى الصعوبة يمكن تعديل الإختبار بإضافة أو حذف أسئلة صعبة أو سهلة حسب مقتضيات الحالة .

ومن صفات الإختبار الجيد كذلك السهولة العملية بمعنى أن يكون سهلا فى تطبيقه بحيث لا يحتاج إلا إلى تدريب معقول المختبر ولا يحتاج لوقت طويل جدا لتصحيحه أو لآدائه ومن حيث النفقات المطلوبة لتطبيقه حتى لا تكون نفقاته أكبر من فوائده ، ومن الإختبارات التى تتطلب تدريبا طويلا لمن يطبقها اختبار وكسلر للذكاء وهو إختبار فردى يتكون من جزء لفظى Verbal وجزء عملى Preformance وعلى كل حال فإن جميع الإختبارات النفسية لا يمكن أن يطبقها إلا الأخصائى النفسى المدرب .

٢ ـ الاختبارات النفسية

لقد أدى إهتمام العلماء بالإختبارات النفسية إلى ظهور عدد كبير جدا منها وأصبح من الصعب وصف هذه الإختبارات أو تصنيفها تصنيفا دقيقا ولكن على كل حال هناك أسس مختلفة يمكن على أساسها تصنيف الاختبارات النفسية ووصفها ، ومن هذه الأسس ما يرجع إلى طريقة آداء الإختبـــار . وقبل الحديث عن هذه الإختبارات يلزم تعريف بعض العوامل التى توضع الاختبارات لقياسها :

١ — القدرة Ability وتعنى القدرة على أداء عمل معين سواء كان عملا حركيا أو عقليا ، وتعنى ما يستطيع أن ينجزه الفرد بالفعل من الأعمال ، وتشمل أيضا السرعة والدقة فى الأداء وليس هناك فرق فى هذا الاستعمال بين القدرات المكتسبة Acpuired والقدرات الفطرية Innate

Ability = Implies that the task can be performed, if the necessary external circumstauces are present, no further trainiag is needed (1)

وتعنى قدرة الفرد قيامه بأداء عمل ما دون حاجة إلى تدريب أو تعلم كالقدرة على الكتابه أو القدرة على الرسم .

٢ — الاستعداد Aptitude : ويعنى قدرة الفرد الكامنة على تعلم عمل ما إذا ما أعطى التدريب المناسب .

ويدل الاستعداد على قدرة الفرد على أن يكتسب بالتدريب نوعا خاصا

(1) English

من المعرفة أو المهارة . ومعنى ذلك أنه عبارة عن قدرة الفرد المستقبلة ، وكثيرا ما تستخدم كلمة إمكانية Potentiality بدلا من كلمة استعداد وتعنى القـــدرة الـكاملة التى تتطلب النمو والتدريب .

Aptitude = The capacity to acquire proficiency with a given amount of training. formal or informal.

التحصيل Achievement :

ويعنى مقدار المعرفة أو المهارة التى حصلها الفرد نتيجة التدريب والمرور بخبرات سابقة . وتستخدم كلمة التحصيل غالبا لتشير إلى التحصيل الدراسى أو التعليم أو تحصيل العامل من الدراسات التدريبية التى يلتحق بها . ويفضـــل بعض علماء النفس استخدام كلمة الـكفاية proficiency . للتعبير عن التحصيل المهنى أو الحرفى بينما تختص كلمة التحصيل بالتحصيل الدراسى .

Achievement = Success in bringing an effort to the desired end.

٤ ـ المهارة Skill :

وتعنى المقدرة على الأداء المنظم المتـكامل للأعمال الحركية المقصـــودة بدقة وبسهولة ، مع التـكيف للظروف المتغيرة المحيطة بالعمل .

Skill = Ability to perform complex motor acts with ease, precision and adaptability to changing conditions.

تصنيف الاختبارات النفسية :

١ ـ يمكن تصنيف الاختبارات النفسية على أساس الخبرات أو الوظائف التى تقيسها . وعلى هذا الأساس تصنف الاختبارات إلى اختبـــارات ذكاء Intelligence tests أو اختبارات القدرة العقلية العامة وهى من الناحية التاريخية

أول إختبارات وضعت لقياس القدرة العقلية العامة ولما ظهرت بعض العيوب في إختبارات الذكاء وكذلك نظرا لإختلاف العلماء حول مفهوم الذكاء ظهرت مجموعة أخرى من الإختبارات مثـــل إختبـــارات التصنيف العام General classification tests واختبارات الإستعداد الخاصة Special Aptitude tests ولم تـــكن إختبارات الذكاء تقيس الاستعدادات الخاصة التي أصبح قياسها ضروريا في ميدان التوجيه والإختيار المهني إلى جانب معرفة القـــدره العقلية العامة . ومن أمثلة هذه الإستعدادات الخاصة الاستعداد الكتـــابي والحسابي والموسيقي والفني وغيرها . ثم ظهرت بعد ذلك الحاجة إلى قيـاس مجموعة من الاستعدادات الخاصة في الفرد المراد توجيهه إلى عمل ما ولذلك أصبح هناك بطاريات من إختبارات الإستعدادات التي تقيس إستعدادات الأفراد في كثير من المهن في وقت واحد . ويقصد ببطارية الاختبارات Test bettery مجموعة من الاختبارات المترابطة التي تعطي درجة إجمالية عامة ذات الكفاءة العالية في قياس عرض أوسمة ما أو قدرة ما .

ويطلق أيضا هذا اللفظ على مجموعة مترابطة من الإختبارات التي تطبق معا في وقت واحد ، ولـكن يعطى كل منها درجة مستقلة :

A group of tests combined to yield a single total score that is of maximal efficiency in measuring a specified purpose or ability or trait.

or : A group of related tests to be administered at one time (1).

وطبقا لهذا الأساس في التصنيف أيضا هناك مجموعه أخرى من الاختبارات تقيس الشخصيه Personality tests مثل إختبـارات التكيف الانفعـالي والسمات الشخصيه الإجتماعيه كالسيطرة والخضوع والانطواء والثقه بالنفس

(1) English

والكفاية الذاتية والمثابرة والأمانة والتعاون وغير ذلك من السمات الخلقية .

وهناك أيضا إختبارات لقياس الميول Interests نحو الأعمال والمهن المختلفة . وهناك أيضا مجموعة من الاختبارات التى تستخدم لقياس الاتجاهات العقلية Attitudes كالاتجاه نحو السلطة أو نحو الدين . واليك هذه العوامل ومرادفاتها العربية .

التكيف الانفعالى Emotional adjustment

سمات الشخصية Personality traits

السيطرة	Dominance الرغبه فى التحكم فى الغير
الخضوع	Submissoin الرغبة فى الخضوع لسيطرة الغير
الانطواء	Introversion الميل نحو الانسحاب من عالم الأشياء والناس
الانبساط	Extraversion الميل نحو الاختلاط بالناس والإشياء
الثقة بالنفس	Self-confidence الشعور بقدرة الفرد على أداء مايرغب عمله
الكفاية الذاتة	Self-sufficiency الشعور بالقدرة والكفاية
المثابرة	Persistence الصمود فى بذل الجهد
الأمانة	Honesty الرغبة فى قول الحق وفعله
التعاون	Co-operation الرغبة فى مساعدة الغير

٢ ـ تصنف الاختبارات على أساس الهدف من تطبيقها :

وهناك اختبارات تستخدم للتنبؤ بنجاح الفرد فى المستقبل فى عمل ما لم يسبق له أن تدرب عليه، وتعرف هذه الإختبارات باختبارات الإستعدادات وهناك مجموعة أخرى من الاختبارات تسمى اختبارات الكفاية وتستخدم

لمعـــرفة مقدار كفاية الفرد ومهاراته فى القيام بعمل ما سبق أن تدرب عليه .

٣ — التصنيف على أساس طبيعة الأداء فى الاختبار :

فهنـــاك اختبارات لفظيـة Verbal tests واختبارات أداء أو عمل Performance tests . فى الاختبارات اللفظية تكون استجابة الفرد لأسئلة الاختبار لفظية سواء كانت شفوية أو كتابية ، أما فى اختبارات الأداء فإن استجابة الفرد تتضمن استخدام بعض الأدوات والآلات والأجهزة مثل اختبارات الحل والتركيب وترتيب الصور وتسمى الاختبارات اللفظية أحيانا باختبارات الورقة والقلم paper and pencil tests.

وتمتاز الاختبارات اللفظية بسهولة تطبيقها وقلة نفقاتها . أما اختبارات الأداء فتمتاز بأنها تسمح بملاحظة سلوك المفحوص أثناء قيامه بحل الاختبار ، وتفيد هذه الملاحظة فى معرفة درجة انفعال المفحوص ومثابرته وتيقظه وتعاونه وطاعته للاوامر وغير ذلك .

ويمكن تصنيف الإختبارات على أساس طبيعة الإستجابة أيضا إلى اختبارات لغوية language tests واختبارات غير لغوية non-languap tests فى التطبيق على الأميين والأجانب ، والصم والبكم وغيرهم ممن لا يستطيعون فهم اللغة ويستخدمون بدلا من اللغة رموزاً غير لغوية كالصور والأشكال ، ويجيب الفرد بالتعرف على الشكل أو الصورة من بين كثير من الصور المعروضة ، وتقوم على أساس معرفة بعض الفروق الدقيقة بين الصور .

٤ — التصنيف على أساس طريقة التطبيق :

وهناك اختبارات فردية Individual tests

واختبارات جماعية Group tests

الاختبارات الفردية تعطى لفرد واحد مثل إختبارات بينية Binet للذكاء أما الاختبار الجمعى فيطبق على مجموعة كبيرة من الأفراد فى وقت واحد كالامتحانات التحصيلية ، وتمتاز الاختبارات الجمعية بالاقتصاد فى الوقت وبعدم تطلبها لتدريب كبير من الاخصائى الذى يطبقها أما الإختبارات الفردية فانها تتطلب درجة كبيرة من الخبرة والتدريب لاستخدامها ، فاختبار وكسلر للذكاء مثلا Wechsler يتطلب تدريبا طويلا قبل تطبيقه بدقة ولكن الاختبارات الجمعية تفيد فى الحالات التى لا يرغب فيها الباحث الاتصال الشخصى بالمفحوص وفى حالة الأختبارات التى يرغب المفحوص أن تظل إجابته سرية والتى تتطلب عدم الافصاح عن شخصية المفحوص كما هو الحال فى حالة إبداء الرأى تجاه إدارة العمل أو نحو جماعة معينة من المجتمع أو فى حالة قياس سمات الشخصية كالسيطرة أو العدوان .

٥ — التصنيف على أساس الزمن المحدد للاختبار :

فهناك إختبارات سرعة Speed tests وإختبارات قوة Power tests ففى إختبارات السرعة يكون الزمن المخصص محددا ويطلب من الفرد أن يجيب على على أكبر عدد ممكن من الأسئلة المعطاة بأسرع ما يستطيع ، وفى الغالب يعطى قدرا كبيرا من الأسئلة ، وقد يكلف المفحوص بأداء عمل معين وبعد الانتهاء منه يحسب الزمن الذى استغرق فيه كما هو الحال فى إختبارات قياس القدرة على الكتابة على الآلة الكاتبة . أما إختبارات القوة فغالبا ما لا يكون الزمن

محدداً بل يترك الفرد حتى يجيب على جميع الأسئلة ولكن تكون الأسئلة متدرجة في الصعوبة بحيث تزداد كلما إقترب الفرد من نهاية الاختبار ، ويمكن الجمع بين عامل السرعة وعامل القوة في إختبار واحد .

يجب أن يلم السيكولوجى إلماما تاما بجميع أنواع الاختبارات النفسية، وأن يعرف الغرض الذى وضع من أجله كل إختبار وأن يلم بالدراسات والابحاث التى أجريت عليها وأن يلم بدرجة ثباتها وصدقها .

كما ينبغى أن يلم بطرق تطبيق الأختبارات وكذلك طرق تصحيحها ثم يعرف كيفية تفسير الدرجات التى يحصل عليها تفسيرا سيكلوجيا [1] .

---

(١) لمعرفة هذه المسائل راجع كتاب المؤلف « علم النفس والانسان »

٣ ـ مناهج البحث الميدانى

والواقع أن السيكلوجى لا يختلف عن رجل الشارع فى فكرته عن علم النفس إلا من حيث الدقة فى الوصف والدقة فى الملاحظة ، ملاحظة سلوك الآخرين وبالتالى الدقة فى كتابة تقريره عن هذا السلوك . وتتطلب هذه الدقة أن يبدأ الدارس أو الباحث بتعريف العوامل التى يدرسها أو يقيسها (Define the variables) فعندما تصف فردا ما بالقول بأنه شخص عبقرى فان ذلك لا يمكن قبوله علميا إلا إذا حددت الذى تقصده بالعبقرية ، وعلى أى أساس إعتبرته عبقريا ، وبالمقارنة لمن يعد هو كذلك ، ولابد أن ينتهى تحليل وصفك إلى بعض الأنماط السلوكية التى تعتبرها دالة على العبقرية ولا بد أن يكون السلوك سلوكا يمكن ملاحظته Observable بحيث تعتبر العبقرية مجرد تلخيص لهذه المجموعة من السلوك وتبدو الحاجة واضحة إلى التعريفات الدقيقة فى حالة إستخدام الألفاظ الفنية مثل العتبة الفارقة أو سعة الإستجابة أو الإشتراط أو زمن الرجع . ولذلك يفضل أن يوصف سلوك الشخص بدلا من أن نصف الشخص كلية فنقول إن فلانا يسلك سلوكا عدوانيا فى كذا وكذا بدلا من أن نقول إن فلانا عدوانى .

وينبغى ألا نضع الأفراد فى فئات Categories مستقلة أو تصانيف أو أنماط مستقلة وإنما يجب أن نفكر دائما فى صفة الاستمرار والديمومة والاتصال Continua فيجب أن نبتعد عن فكرة تصنيف الناس إلى فئات (إما بيضاء أو سوداء) Crude blaek white categories فالأشياء تبعا لمنهج الفئات تكون إما بيضاء أو سوداء ، صح أم خطأ ، جميلة أم قبيحة ، سارة أو حزينة وليس هناك حالات بين بين . فالناس تبعا لذلك يكونون إما نحاف أو سمان أذكياء أو أغبياء ، طوال أم قصار ، منطويين أم منبسطين متسلطين أو

خائفين . فالناس طبقاً لهذا التصور يوضعون فى قوالب ثابتة ومستقلة بل ومتساوية . فليس هناك توسط وليس هناك تدرج Graduation . ولكن الواقع أن الناس يتدرجون فى كل سمة نقيسها تدرجا متصلا .

" That people vary along a contiuum with respect to almost any attribute wish to name" . (1)

فالغالبية الساحقة من الناس ليسوا عمالقة أو أقزاما ولكنهم يقعون فى الوسط بين العملقة والقزامة ، فالغالبية العظمى من الناس ذو طول متوسط ، وبالمثل فان غالبية الناس ليسوا عباقرة ولا أغبياء dullis ولكن لهم ذكاء متوسط ، أى أن الغالبية من الناس يقع فى مكان ما على المقياس بين الغباء والألمعية Brightness وينبغى أن تكون ملاحظة السيكلوجى ملاحظة موضوعية Objective observation وليست ملاحظة إنفعالية Emotional أى ملاحظة حيادية neutral وغير متحيزة Unbiased وبذلك يحصل على معلومات دقيقة وموضوعية .

ومن القواعد الهامة التى يجب أن يراعيها الباحث فى جميع مادته أن يكون من الناحية الانفعالية محايدا Emotionally neutral ، كذلك ينبغى ألا يعطى تفسيرات ذاتية فى أثناء عملية ملاحظة السلوك ، فتكون ملاحظاته خالصة وليست ملاحظات تفسيرية (Interpsetive observation)

على كل حال بعد وضع تعريف دقيق للظاهرة التى يريد الباحث دراستها ، يستطيع أن يجمع عينة من السلوك الذى يفترض أنه يكمن وراء القدرة المراد قياسها . فاذا أراد وضع إختبار لقياس الذكاء مثلا كان عليه أن يحدد مجموعة من إنماط السلوك التى يفترض أنها تدل على الذكاء وأخرى تدل على الغباء .

(1) Sanford

ويجب أن تكون مظاهر السلوك هذه موحدة وثابتة نسبيا لأن الاختبارات العقلية دائما تستهدف قياس السمات الثابتة وليست الإنفعالات العارضة .

"Most psychological tests are designed to measure relatively enduring. relatively unohanging attribntes of behaviour" (1)

ولكن هناك نوعا خاصا من الاختبارات يصمم أساسا لقياس التغيرات التي تحدث على سلوك الأفراد بمرور الزمن . وغالبا ما تطبق هذه الاختبارات مع المرضى يوميا حيث تساعد النتائج فى معركة أثر العلاج . ويمكن تحقيق ذلك عن طريق إبتكار صور الاختبار(Alternate forms) حيث

يمنع ذلك من تدخل أثر الذاكرة على إستجابة الفرد .

ويمكن تلخيص الخطوات العملية التي يتبعها الباحث فى تصميم إختبار لقياس تحصيل الطلاب فى ماد مثل علم النفس .

١ـ ضع مجموعة كبيرة من المفردات items التي تغطى جميع محتويات منهج علم النفس .

٢ ـ أعرض هذه المفردات على أحد أساتذة علم النفس الذين يدرسون هذا المقرر وأحصل على موافقته على أن هذه المفردات تشتمل على جميع عناصر المنهج .

٣ ـ طبق هذه المفردات على عدد كبير من الطلاب الذين يمثلون جميع الكليات والمعاهد التي تدرس هذا المنهج ، وأحذف جميع المفردات التي يجيب

Sanford.

عليها الجميع والتى لا يجب عليها الجميع لأنها لا تضيف شيئا بالنسبة لمعلوماتنا .

٤ ـ أوجد معامل إرتباط كل مفردة item بالاختبار ككل واحذف المفردات التى لا ترتبط مع الاختبار ككل ، لأن السؤال الذى يجده طالب ما سهلا جدا ويجده طالب آخر صعبا جدا لا يصلح للاستعمال .

٥ ـ أوجد معامل ثبات الاختبار باسم طريقة القسمة إلى نصفين Split - half - method للتأكد من أن الاختبار ـ بجميع أجزائه ـ يقيس نفس الشىء .

٦ ـ أوجد معامل الثبات بطريقة اعادة تطبيق الاختبار للتأكد من أن الطالب الذى حصل على رتبة عالية يحصل عليها أيضا عندما يعاد تطبيق الاختبار

٧ ـ أوجد معامل الصدق للتأكد من إرتباط الاختبار بالإختبارات أو الامتحانات الأخرى التى أجريت فى مادة علم النفس .

٨ ـ أعمل تقنين Standardization للاختبار بتطبيقه على جميع طلاب الجامعات المصرية الذين يدرسون هذا المنهج حيث تستطيع بعد ذلك مقارنة الدرجة التى يحصل عليها طالب ما بدرجات الاختبار على المستوى القومى وتستطيع ان تعرف كم فى المائة من سكان الوطن حصلوا على نفس الدرجة التى حصل عليها هو وكم فى المائة حصلوا على درجات اقل منه وكم فى المائة اكثر منه وهكذا كما تستطيع ان تضعه فى العشرة فى المائة الأوائل او العشرة فى المائة الأخيرة[1] الخ .

---

(1) Sanford .

٤ ـ نماذج من الإختبارات النفسية المستخدمة فى البيئة المحلية

١ ـ اختبارات الشخصية

هناك كثير من الإختبارات النفسية التى نقلها إلى اللغة العربية المشتغلون بالدراسات النفسية والتربوية فى مصر وذلك بعد إعادة صياغتها بما يلائم البيئة المصرية وبعد إعادة تقنينها ووضع معايير جديدة لها .

وتشمل هذه الإختبارات مختلف القدرات النفسية والشخصية والذكاء والميول المهنية والتعليمية وغير ذلك . وقد ينتقد البعض حركة نقل المقاييس العقلية والتربوية الأجنبية إلى البيئة المحلية بحجة أن هذه الإختبارات صممت لقياس أفراد من بيئات مختلفة ومن ثقافات مختلفة . ولكن الواقع أن هذه الإختبارات لا تنقل إلى العربية كما هى وإنما تعاد صياغتها كما توضع لها معايير جديدة بحيث لا يقارن الفرد المصرى بفرد أمريكى أو انجليزى ولكن يقارن بأفراد آخرين من أرباب الثقافة المحلية ومن نفس سنه ومستواه التعليمى والمهنى هذا فضلا عن أن هذا الإتجاه أى نقل الإختبارات إلى بيئات جديدة يوخذ به فى مختلف بلدان العالم ، فاختبار بينيه وإختبار وكسلر مثلا فى الذكاء وإختبار الشخصية المتعددة الأوجه M. M. P. I وغيرها من الإختبارات تطبق فى جميع أنحاء العالم على الرغم من أن إختبار بينيه فرنسى النشأة وإختبار وكسلر وإختبار الشخصية المتعددة الاوجه أمريكيان ومع ذلك يطبقان فى إنجلترا بنفس صورتها الاصلية .

وسوف نعرض للقارىء قائمة باسماء الإختبارات المتداولة فى البيئة المصرية ولنبدأ بإختبارات الشخصية .

١ ـ إختبار الشخصية من وضع روبرت ج . برونرويتر أعده باللغة العربية الدكتور محمد عثمان نجاتى . ومن مفرداته ما يلى .

أ - هل تشعر أنك غير مستريح إذا كنت مختلفا عن الناس أو إذا لم تتمسك بالتقاليد ؟ نعم / لا .

ب - هل كثيرا ما تشعر إنك غاضب وترغب فى الشكوى إلى أحد ؟ نعم / لا .

٢ - إختبار الشخصية المتعددة الأوجه وهو مقتبس من إختبار

(MMPI) Minnesota Multiphesic Fersonality Inventory.

وهو تأليف Mckinley Hathaway

نقله إلى العربية الدكتور عطية محمود هنا والدكتور عماد الدين اسماعيل والدكتور لويس كامل مليكه وهو إختبار إكلينيكى لقياس الإنحرافات الآتية :-

توهم المرض Hypochondriasis

الانقباض Depression

الهستريا Hysteria

الإنحراف السيكوباتى Psychopathic deviation

الذكورة - الانوثة Mas culinity — Femininity

الفصام Schizophrenia

الهوس الخفيف Hyp ovmania

الإنطواء الإجتماعى Cocial introvevsion

هذا إلى جانب عددا آخر من المقاييس scales التى تقيش درجة تعاون المختبر ومدى صدق إستجاباته ومعايير الأختبار موضوعه على أساس تطبيقه على ٥٠٠ حالة من البيئة المحلية . ويستخدم هذا الأختبار للكشف عن النواحى المرضية لمن هم فى مستوى ثقافى يعادل الثانوية العامة وما يليها من مراحل

تعليمية . كذلك يمكن إستخدامه كاختبار فردى وجمعى ويفيد الاختبار كأداة للتشخيص ويمكن رسم درجات المقاييس المختلفة على صفحة نفسية حيث تعطى صورة شاملة لجميع جوانب الشخصية . ويتكون الاختبار من عدد كبير جدا من الأسئلة (٥٦٦ سؤالا) تتناول نواحى متعددة مثل النواحى الصحية والإجتماعية والأسرية ، والنزعات السادية والمخاوف والوساوس والهلاوس . ولقد تمكن البحاث من استنباط مقاييس أخرى جديدة من هذا الإختبار مثل مقياس السيطرة والتعصب . ومن المقاييس الجزئية لهذا الإختبار ما يلى : —

١ — مقياس الكذب : تحصل على درجة هذا المقياس من الاستجابة لعدد ١٥ سؤالا كلها تدور حول الأمور المقبولة اجتماعيا مثل «لا أقول الصدق دائما» ، فإذا أجاب المفحوص بالنفى لمثل هذا السؤال كانت استجابته للإختبار كله غير صادقة

٢ — مقياس الصدق : ونحصل على درجته من عدد الإستجابات الغير محددة أى التى لا يستطيع المفحوص أن يقول فيها نعم أو لا ولكنه يضع علامة إستفهام . فكلما قلت علامات الاستفهام كلما صدقت استجابات المفحوص .

٣ — مقياس الخطأ : ونحصل على درجته من الاستجابات العشوائية التى تنتج من عدم الفهم أو عدم القدرة على القراءة أو الاهمال بقصد أو بغير قصد

٤ — مقياس التصحيح : وتدل الدرجة العالية فيه على ميل المفحوص للظهور بمظهر السوى أما الدرجة الصغيرة فتدل على رغبته فى إظهار نفسه بمظهر المريض الضعيف .

٥ — مقياس توهم المرض : وتدل الدرجة العالية فيه على ميل المفحوص إلى الإهتمام الزائد بصحته وإلى كثرة الشكوى من الآلام الجسمية دون وجود سبب حقيقى .

٦ — الانقباض والدرجة المرتفعة عليه تدل على إنخفاض الروح المعنوية وعدم التفاؤل وعلى الانطواء وعلى فقدان الثقة بالنفس .

٧ — الهستريا وتدل الدرجة العالية على شكوى المريض من الشلل والتقلصات والتقلصات والاضطرابات المعوية والاغماء والصرع وقدلا تظهر هذه الاعراض على الشخص الذى يحصل على درجة عاليـــة ولكنه فى وقت الشدة يلجأ إلى الاحتماء بهذه الاعراض .

٨ — الانحراف السيكوباتى وتدل الدرجة العالية على عدم إستفادة الفرد من الخبرات السابقة وعلى عدم إهتمامه بالقيم والمعايير الخلقية والاجتماعية وعلى الميل نحو الكذب والسرقة وإدمان المخدرات والخور والشذوذ الجنسى ولا يميل المريض إلى إخفاء جريمته بل ولا يستفيد حتى من وراء جرائمه .

٩ — مقياس الذكورة والأنوثه والدرجة العاليه عليه تدل على شذوذ فى الاتجاهات والميول الجنسيه ولكن الدرجة العالية التى يحصل عليهـــا الرجال ليست وحدها دليلا قاطعا على وجود الجنسيه المثلية أو اللواط إذ لابد من وجود أدلة أخرى إضافية .

١٠ — مقياس البارانويا وتدل الدرجة العالية على أن المفحوص يعانى من الشعور بالتشكك ومن الحساسية المفرطة ومن هواجس الاضطهاد ومن القلق وشدة الانفعال ، أما الدرجات الصغيرة (أقل من ٧٠ درجة) فتدل على أنه يتصف بالمرح والاقبال على الحياة .

١١ — مقياس الفصام وتدل الدرجة العالية على هذا المقيـــاس على أن المفحوص يعانى من حالات القلق ولكنه يمتاز بالشجاعة وطيبه القلب أما الدرجه الصغيرة فتدل على الاتزان الانفعالى . ولكن هذا الاختبار ليس دليلا كافيا على الإصابة بالفصام .

١٢ - الهوس الخفيف وتدل الدرجة العالية على أن الشخص مصاب بالنشاط الزائد فى التفكير وفى العمل وبكثرة التحمس وتنوع المناشط والرغبة فى إصلاح المجتمع وعدم المبالاة بالنظم الإجتماعية القائمة.

١٣ - الإنطواء الاجتماعى ويقيس النزعة نحو البعد عن الناس وعن المناشط الاجتماعية

هذا ولقد استنبط البحاث عددا آخر من العوامل التى يقيسها هذا الاختبار منها مقياس التعصب ويقيس العوامل النفسية المتعلقه بالتعصب ضد الأقليات، ومقياس السيطرة ويقيس الميل نحو السيطرة فى مواقف التحدى، ومقياس المسئولية ويقيس الشعور بالمسئولية الإجتماعية والأخلاقية، وكذلك مقياس العصاب ويقيس الأعراض العصابية ومقياس ألم الظهر الأسفل ومقياس العداوة ويقيس ميول الكراهية وعدم الثقة فى الآخرين، وكذلك مقياس التزمت الخلق وتقيس النزعة نحو الإنشغال الدائم بالمسائل الأخلاقية وكذلك الشعور بالتوتر والخوف [1].

ومن أمثلة مفرداته ما يلى :-

١ — أجد صعوبة فى التحدث مع الناس إذا كانت معرفتى بهم حديثة.

٢ — أعتقد أن هناك من يحاول أن يسرق أفكارى أو نتائج أعمالى.

٣ — لا أهتم مطلقا بمظهرى.

ومن إختبارات الشخصية أيضا ما يلى

(١) د. لويس كامل مليكة، د. محمد عماد الدين اسماعيل، د. عطيه محمود هنا، «الشخصية وقياسها» مكتبة النهضة ١٩٥٩.

٣ -إختبار الشخصيه للاطفال إعداد وإقتباس الدكتور عطية محمود هنا ويقيس نواحى التكيف الشخصى والعائلى والخلو من الأعراض العصابية والأعتماد على النفس وعدم الإنطواء

٤ - كراسة الملاحظة لتقدير سمات الشخصية ومميزات السلوك من إعداد الدكتور عطية محمود هنا والدكتور عماد الدين اسماعيل وهى مقياس لسمات الشخصيه على أساس الملاحظه الفعلية للسلوك وتقيس نواحى متعددة مثل الحالة الجسمية والقدرة العقلية والتحصيل الدراسى والإنحرافات النفسية . ولقد حدد لكل صفه خمس مراتب ويمكن أن يستخدمها المدرسون والإخصائيون الإجتماعيون والنفسيون

٥ - بطاقة تقويم الشخصية إعداد الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل وسيد عبد الحميد مرسى وتصلح لدراسة الأحداث وصغار السن كما تصلح للاستخدام فى المدارس وفى عيادات الطب النفسى وتقيس سمات الشخصية .

٦ -إختبار مفهوم الذات للكبار تاليف الدكتور عماد الدين اسماعيل ويتكون من مائة عبارة يمكن أن تقال عن الذات والدرجه النهائية تعبر عن مفهوم الشخص لذاته ومدى تقبله لها ومدى تقبله للاخرين . ولقد طبق هذا الأختبار على ٤٠٥ طالبا من طلاب المدارس الثانوية والمعاهد العليا والكليات وإستخلص معامل الصدق والثبات و كذلك معايير الاختبار .

٧ - إختبار مفهوم الذات للصغار من تأليف الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل ومحمد أحمد غالى ويتكون أيضا من مائة عبارة تصف الذات ومدى قبول الفرد لذاته ولقد طبق الأختبار على ١٧٥ تلميذا بالمرحلة الابتدائيه والأعدادية ممن تتراوح أعمارهم ما بين ١٠ سنوات و ١٤ سنه وأستخلص معامل الصدق والثبات ووضعت على هذا الأساس معايير الاختبار

٨ — مقياس الصحة النفسية إقتباس وإعداد الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل وسيد عبد الحميد مرسى وهو إختبار تشخيصى وجمعى لتمييز المنحرفين عقليا ونفسيا ، ويستخدم فى الانتقاء للوظائف العامة وهو سهل التطبيق لا يستغرق تطبيقه أكثر من ١٥ دقيقة .

٩ — مقياس الارشاد النفسى ، إقتباس وإعداد الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل وسيد عبد الحميد مرسى وهو إداة لتشخيص مشكلات المراهقين ويتكون من ٣٥٥ عبارة وبه مقياسان للصدق والثبات ولقد إستخرجت معاييره من تطبيقه على حوالى ٤٠٠ حالة من البيئة المحلية ويقيس مدى تكيف المراهق العائلى والاتزان الانفعالى والشعور بالمسئولية والحالة المعنوية . الخ .

١٠ — إختبار رسم المنزل والشجرة والشخص تأليف جون . ن . - باك وإعداد وإقتباس الدكتور لويس كامل مليكة وهو إختبار إسقاطى يعطى صورة متكاملة عن الشخصية كما يقيس مدى تأثر القدرات العقلية بالحالة الإنفعالية وبعد رسم المفحوص للمنظر يناقشه فيه الإخصائى للحصول على مزيد من المعلومات .

وإلى جانب هذه الإختبارات هناك طرق أخرى لقياس الشخصية منها المقابلة Interview وهنـــاك الطرق الإسقاطية Projective techniques ومن أشهر الأختبارات الإسقاطية إختبار بقع الحبر لرور شاخ Rorshach وإختبار تفهم الموضوع Thematic Apperception Test وهو عبارة عن عدة صور يطلب من المفحوص تفسيرها (T. A. T.) .

١١ — ومن إختبارات الشخصية أيضا قائمة التفضيل الشخصى من إعداد إدواردز ، نقلها إلى العربية الدكتور جابر عبد الحميد وتتكون القائمة من عدد من الأسئلة كل منها يتكون من زوجين من العبارات تعبر عن أشياء قد تحبها

وقد تنكرها ، قد تميل اليها أو تنفر منها ، وتصف مشاعر قد تحبها وقد لا تحبها
واليك المثال التالى :

أ) أحب ان أحدث الآخرين عن نفسى .

ب) أحب أن أعمل تجاه هدف وضعته لنفسى .

وتتكون من ٢٢٥ زوجا من هذه العبارات ومن أمثلة هذه العبارات ما يلى :

أ) أحب أن اتجنب المسئوليات والإلتزامات .

ب) أحب أن أتهكم وأتندر على من يعمل أشياء وأعتبرها دالة على الحمق .

وتقيس هذه القائمة وتسمى (Edwards personal preference schedule)
سمات مثل .

١ ـ التحصيل	Achievement
٢ ـ الخضوع	Deference
٣ ـ النظام	Order
٤ ـ الإستعراض	Exhibition
٥ ـ الإستقلال الذاتى	Autonomy
٦ ـ التواد	Affiliation
٧ ـ التأمل الذاتى	Introseption
٨ ـ المعاضدة	Succorance

٩ - السيطرة Dominance
١٠ - لوم الذات Abasement
١١ - العطف Eurturanee
١٢ - التغيير Change
١٣ - التحمل Endurance
١٤ - الجنسية الغيرية Heterosexuality
١٥ - العدوان Aggressiou

ولقد حصل مصمم الاختبار على درجات ثبات الخمسة عشر متغيرا بطريقة إعادة تطبيق الاختبار The Test, Retest Method على عينه مكونة من ٨٩ طالبا من طلاب الجامعات الأمريكية بفاصل زمنى قدره أسبوع واحد وحسبت معاملات إرتباط الثبات طبقا لمعادلة سبيرمان براون . أما النسخة العربية فقد وجد معامل ثبات الاختبار بطريقة القسمة إلى نصفين ، وطبق على عينة مكونة من ١٤٤ طالبا من طلاب كلية المعلمين بالقاهرة . أما صدق الاختبار فقد أجريت عليه مجموعة من الأبحاث والدراسات منها إيجاد معامل الإرتباط بين تقدير الذات ، وتقدير الزملاء للعوامل التى يقيسها الاختبار ومنها دراسة الإرتباط بين هذا الاختبار وبين عدد من مقاييس الشخصية الأخرى منها دراسات إستهدفت إيجاد صدق التكوين لمحتويات هذا الاختبار .

١٢ - ومن إختبارات الشخصية أيضا قائمة إيزنك للشخصية إعداد الدكتور محمد فخر الاسلام والدكتور جابر عبد الحميد جابر .

وتتكون من ٧٥ سؤالا يجيب عليها المفحوص بنعم أو لا ومن أمثلة ذلك ما يلى :

١ - هل تحب كثيرا من الأثارة والصخب حولك ؟

٢ - هل تحب العمل على إنفراد ؟

٣ - هل تفتخر قليلا فى بعض الأحيان ؟

٤ - هل يحدث لك صداع شديد ؟

٥ - عندما تكون الاحتمالات ضدك فهل ترى عادة أن الأمر يستحق المغامرة على الرغم من ذلك ؟

٦ - هل تزداد دقات قلبك فى المناسبات الهامة ؟

وهذه القائمة التى يسميها أيزنك Eysenck personality Inventory وتقيس بعدين من أبعاد الشخصية هما الانبساط Extraversion والعصابية Neuroticism وتمتاز هذه القائمة بوجود صورتين متكافئتين لها مما يساعد على إعادة تطبيق الأختبار بعد تقديم أى نوع من المعالجة وذلك دون تأثير عامل التذكر ، كما أنها تحتوى على مقياس للكذب Lie scale وبذلك يمكن إستبعاد الأشخاص الذين يحوزون فى إستجاباتهم .

أما ثبات هذا الأختبار فقد وجد عن طريق إتباع طريقة إعادة الأختبار بفاصل زمنى نحو عام تقريبا كذلك حسب معامل الثبات بطريقة أخرى هى طريقة الصور المتكافئة ، أما صدق الأختبار فقد وجد أنه يمكن التنبؤ بمعرفة شخصية الذين يطبق عليهم هذا الأختبار من حيث الإنبساط والعصاب .

كذلك طلب أيزنك من مجموعة من الأخصائيين تصنيف مجموعات من الأشخاص الأسوياء والمنبسطين والمنطويين والعصابيين ثم طبق قائمة هذه ووجد أن الأختبار يميز بين هذه الجماعات ، وبواسطة مقياس الكذب فى هذه

القائمه يستطيع الباحث التعرف على الأشخاص الذين يميلون للاستجابة على نحو معين فهناك قلة من الناس يفضلون الإجابة بنعم بصرف النظر عن مضمون السؤال كذلك هناك فئة من النـــاس يفضلون القول بأنهم لايعرفون ، كذلك هناك طائفة ثالثة تميل إلى إختيار الإستجابات المتطرفة . كذلك هناك من يميل إلى جانب الموافقة أو الميل لإختيار الإستجابة المفضلة إجتماعيا التى تظهر صاحبها فى ثوب جميل .

٢ ـ اختبارات الذكاء

هناك كثير من الاختبارات التى تقيس الذكاء من أشهرها اختبـــار الذكاء لوكسلر Wechsler وهو صورتان صورة لقيـــاس ذكاء الراشدين Adults ويصلح لقياس ذكاء الأفراد من سن ١٦ سنة حتى ٦٠ سنة وصورة لقياس ذكاء الأطفال من سن ٥ سنوات . ولقد نقله إلى العربية الدكتور لويس كامل مليكه والدكتور محمد عماد الدين اسماعيل . والاختبار مكون من عدة مقاييس لفظية مثل مقياس المعلومات العامة والفهم وإعادة قراءة الأرقام والاستدلال الحسابى والمتشابهات والمفردات اللغوية .

واختبار الذكاء لوكسلر للاطفال معد لقياس ذكاء الأطفال من سن خمس سنوات حتى ١٦ سنة وهو مكون من جزء عملى وجزء نظرى . ويمكن إستخراج نسبة الذكاء لكل من الجزئين على حدة إلى جانب نسبة الذكاء العامة . ولقـد أجريت حديثا دراسات توضح أن وجود فرق كبير بين الذكاء العملى والذكاء النظرى دليل على وجود صدمات فى المخ .

ومن أسئلته ما يلى :

١ - إيه عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ؟

٢ - مين اللى بنى القلعة ؟

٣ - أيه هوه الشهر العقارى ؟

٤ - أيه اللى تعمله لو لقيت ظرف جواب مقفول وعليه طابع بوستة جديد وعليه العنوان ؟

(٢) ومن إختبارات الذكاء المعروفة إختبار الذكاء الإعدادى للدكتور السيد محمد خيرى . ومن أسئلته ما يلى :

كلمة يساوى معناها مثل كلمة

(١) يشجع (٢) يرتب (٣) يساعد (٤) يحمس

(٣) ومن اختبارات الذكاء أيضا اختبار الذكاء الاجتماعى اعداد الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل وسيد عبد الحميد مرسى ، وهو يقيس قدرة الأفراد على اصدار الأحكام المتعلقة بالمواقف الاجتماعيــة وكذلك معلوماتهم عن المواقف الاجتماعية ويصلح للاستخدام لانتقاء الأفراد الصالحين للوظائف التى تتطلب اتصالا مباشرا بالناس والتعامل معهم كأعمال السكرتارية والخدمة الإجتماعية والأعمال التجارية . ويتكون الاختبار من مقياسين مقياس التصرف فى المواقف الاجتماعية ومقياس ملاحظة السلوك الإنسانى ؟ ومعايير هذا الإختبار مستمدة من تطبيقه على عدد ٣٠٠ طالبة من طالبات المعهد العالى للسكرتارية بمقارنة درجاتهن على الاختبار بدرجاتهن فى مادة « الاتيكيت » فى السنة الثانية . وهى المادة التى تشرح كيفية التعامل مع الناس وكيفية الاتصال بالآخــرين . وقد حصل على معامل ارتباط صدق قدره ٥٤ر. وهو معامل ذو دلالة إحصائية عند مستوى ٠٥ر. (١) .

أما ثبات الاختبار فقد حصل عليه عن طريق إيجاد معامل الارتباط بين الاستجابات للاسئلة الفــردية والزوجية أى بطريقة القسمة إلى نصفين وكانت العينة المستخدمة مكونة من ٣٠٠ حالة ويبلغ معامل الثبات ٨١ر فى الاختبــار الأول و ٨٥ر. فى الاختبار الثانى وهما ذو دلالة إحصائية عالية ، ولقد وضعت معاييره على أساس تطبيقه على عدد ٣٠٠ حالة من المتقدمات المعهد العــالى للسكرتارية . ومن مفرداته ما يلى :

---

(١) راجع .. .. دلالة الاحصاء « فى كتاب الاحصاء فى بحوث النفسية الدكتور السيد محمد خيرى

أفرض أنك توليت حديثا مركزا بالمدينة . إن أحسن طريقة تكتسب بها أعجاب مرؤسيك دون أن تضحى بسياستك هى أن :

ا - تسلم لهم فى الأمور الصغيرة (البسيطة) .
ب - تحاول أن تقنعهم بجميع آرائك .
حـ - تتخذ حلا وسطا فى جميع المشكلات الهامة .
ء - تتبنى إصلاحات كثيرة وتدافع عنها .

(٤) ومن اختبارات الذكاء المحلية أيضا اختبار الذكاء العالى الدكتور السيد محمد خيرى . ومن أمثلة مفرداته ما يلى :

١ - أبيض إلى أسود مثل قصير إلى ......
٢ - عين إلى ...... مثل ...... إلى يسمع .

٣ ـ اختبارات القدرات

من اختبارات القدرات مجموعة اختبارات المهن الكتابية إعداد الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل وسيد عبد الحميد مرسى وهى عبـــارة عن وسيلة لتقييم الأفراد لمعرفة قدرتهم على القيام بالأعمال الكتابية مثل أعمال السكرتارية والبنوك والشركات والإدارات . وتتكون هذه المجموعة من ثلاثة اختبارات هى إختبار القدرة العددية وإختبار السرعة والدقة وإختبار الاستدلال اللغوى . ويمكن الحصول على درجة معيارية (١) لكل إختبار على حدة . ولقد وضعت المعايير المختلفة على أساس تطبيق هذه المجموعة من الإختبارات على ٣٠٠ طالبة من طالبات المعهد العالى للسكرتارية .

أما معامل صدق إختبار القدرة العددية فقد حصل عليه الباحثان بتطبيقه على ١٠٠ طالبة من طالبات المعهد العالى للسكرتارية وذلك بمقارنة درجاتهن على الاختبار بدرجاتهن فى مادة المحاسبة ، وبلغ معامل إرتباط الصدق ٥٤ر٠ وهو معامل ذو دلالة إحصائية عند مستوى ١٠ر٠ . أما معامل الثبات فقد حصل عليه عن طريق تطبيق الاختبار على ٣٠٠ حالة وإستخدام طريقة القسمة إلى نصفين (المفردات الزوجية والفردية) وكان معامل الثبات ٨٦ر٠ وهو ذو دلالة إحصائية عالية .

أما معامل صدق اختبار السرعة والدقة فقد حصل عليـه الباحثان بمقارنة درجات ١٠٠ طالبه من طالبات المعهد للسكرتارية على الإختبـــار وتقديرات مدرسيهن الذين قضوا معهن عاما دراسيا كاملا على أساس مـــدى نجاحهن فى الأعمال الكتابية بوجه عام ، وكان معامل الصدق ٥٣ر٠

أما معامل الثبات فقد حصل عليه بمقارنة الاجابات الفردية والزوجية وبلغ ٨٤ر٠ وذلك نتيجة لتطبيقة على ٣٠٠ حالة .

(١) [illegible] تائج الاختبارات بكتاب المؤلف علم النفس والانسان لمعرفة معنى درجه معياريه

ولقد حصل الباحثان على معامل صدق اختبار الاستدلال اللغوى بمقارنة درجات الاختبار بمادة الترجمة واستخدم فى ذلك ١٠٠ طالبة وكان معامل الصدق ٤٦ر٠ أما معامل ثباتة فكان ٨٥ر٠ باستخدام طريقة القسمة إلى نصفين

مجموعة اختبارات القدرة الفنية ، إعداد الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل وتقيس قدرة الأفراد على القيام بالأعمال الفنية كالرسم والتصوير . وتصلح هذه الاختبارات لانتقاء المشتغلين بالاعلام والدعاية والصحف والمجلات والمصالح الحكومية وأعمال الديكور والسينما ، وكذلك لاختيار الطلبة المتقدمين للالتحاق بالمعاهد الفنية ، وتتكون هذه المجموعة من اختبارين هما اختبار تكميل الأشكال واختبار تكميل الصور . ولقد وضع هذان الاختباران على أساس تحليل القدرة الفنية والخروج من التحليل بعامل عام هو عامل الطلاقة فى التعبير عن طريق الخطوط والرسوم اليدوية . ولقد استخدمت المعايير من تطبيق هذين الاختبارين على طلبة المعاهد الفنية .

ويقصد بالاختبار السرعة فى ابتكار الأشكال وليس الإجادة فى الرسم .

مقياس المهارة اليدوية عند المكفوفين تأليف الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل ويتكون من اختبارين فى مجلد واحد ، الأول للسرعة فى التناول والثانى لمهارة اليدين . ولقد استخلصت المعايير من تطبيقهما على حوالى ٨٠٠ حالة تتراوح اعمارهم ما بين ١٩ سنة و٤٥ سنة وكذلك استخرجت معاملات الصدق والثبات ، ويصلح لقياس المهارة اليدوية اللازمة للصناعات اليدوية للمكفوفين وغيرهم .

ومن اختبارات القدرة العددية اختبار القدرة العددية للدكتور محمد عماد الدين اسماعيل والعميد سيد عبد الحميد مرسى . ومن مفرداته ما يلى :

يتكون هذا الاختبار من ٣٥ مسألة حسابية وقد وضعت خمسة إجابات

أمام كل مسألة وعليك أن تختار إجابة صحيحة واحدة وذلك بوضع دائرة حول رقمها .

١ - عمر شخص الآن ٤٣ سنة فكم كان عمره منذ ١٨ سنة ؟

(أ) ٤٠ سنة (ب) ٥٠ سنة (ح) ٣٥ سنة
(ء) ٢٥ (هـ) لا شيء مما ذكر

وهناك اختبار القدرة الكتابية وهو عبـــارة عن تصنيف لعدد كبير من الأسماء والاختبار من وضع الدكتور محمد عبد السلام احمد

مجموعة اختبارات القدرة على التفكير الابتكارى إعداد الدكتور محمد عبد السلام وتتكون من الإختبارات الآتية :

اسم الاختبار	العامل الذى يقيسه
١ - اختبار الطلاقة اللفظية	الطلاقة اللفظية
٢ - احتبار الطلاقه الفكريه	الطلاقه الفكرية
٣ - اختبار الإستعمالات	المرونة التلقائيه
٤ - اختبار المترتبات	الأصالة

ومن أمثلة اختبار الطلاقةاللفظيةأن يطلب من المفحوص أن يكتب أكبر عدد ممكن من الكلمات التى تنتهى بحرف معين .

ومن أمثلة ذلك : أكتب أكبر عدد ممكن من الكلمات التى تنتهى بالحرف (ر) . فى هذه الحالة يمكنك كتابة : مهر — ماهر — كثير — بلور .

ومن أمثلة اختبار الطلاقة الفكرية ما يلى :

المطلوب منك أن تذكر أسماء الأشياء المختلفه التى تنتمى إلى نوع معين .

مثال : سوائل قابلة الاشتعال : جازولين — كيروسين — كحول .
ومن أمثلة مفردات اختبار الاستعمالات ما يلى .

يطلب من المفحوص أن يفكر فى أكبر عدد ممكن من الاستعمالات المختلفة لبعض الأشياء المألوفه مثل دبوس أبرة .

ومن مفردات اختبار المترتبات ما يلى :

ماذا يحدث لو كف الناس عن احتياجهم إلى النوم ؟

ولقد صمم الباحث هذه الاختبارات على نفس الأسس التى وضعها ثرستون جيلفورد لقياس الطلاقه اللفظيه والعوامل الأخرى .

ولقد حصل الباحث على معامل ثبات الاختبار عن طريق تطبيق الاختبارات على مجموعه من تلاميذ محافظه القاهرة يبلغ عددهم ١٢٠ تلميذا . وحصل على معاملات الثبات بطريقه إعادة تطبيق الإختبار بعد مرور ثلاثة أسابيع وكذلك أستخدم طريقه القسمه إلى نصفين وكانت معاملات ارتباط الثبات تتراوح بين ٦٢ر ، ٨٠ر . بالنسبه للاختبارات المختلفه .

أما معامل الصدق فقد حصل عليه الباحث أيضا باتباع طريقتين الأولى هى الصدق المنطقى أى تحليل محتويات الإختبار العامل المراد قياسه .

أما الطريقه الثانيه فعبارة عن إيجاد معامل الإرتباط بين التحصيل الدراسى والقدرة على التفكير الإبتكارى ولقد أستخدم فى ذلك عينه قدرها ١٨٠ تلميذا من تلاميذ مدارس القاهرة الثانوية . ووجد أن جميع معاملات الإرتباط التى حصل عليها ذات دلالة إحصائيه .

إختبار الاستدلال اللغوى

من إعداد الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل والعميد سيد عبد الحميد مرسى

ويتكون هذا الإختبار من مجموعة من الجمل التى تنقصها الكلمة الأولى والأخيرة وعلى المفحوص أن يختارهما من بين الكلمات المعطاه له بحيث تصبح الجملة ذات معنى مفيد .

مثال : —

١ - .... إلى البداية مثل الخاتمة إلى ....

١ - الاختزال .   ٢ - الستار .

٣ - محترف .   ٤ - الافتتاحية .

إختبار الميول والقيم

من إختبارات القيم إختبار القيم تأليف جوردون البورت وفيليب فرنون وجاردنر لندزى ، نقله إلى البيئة المحلية الدكتور عطية محمود هنا وهو أداة لقياس القيم الهامة التى تؤثر فى سلوك الإنسان مثل القيم الاقتصادية والاجتماعية والجمالية والسياسية والدينية . ويفيد هـذا الاختبار فى الإرشاد والنفسى وفى التوجيه التربوى والمهنى . ويطلب من المفحوص أن يوضح ماذا يفعل فى عبارات مثل :-

— هل تفضل إذا أتيحت لك الفرصة أن تكون من أصحاب البنوك ؟

— عندما تزور أحد المساجد أو الكنائس هل تجـد أن تأثرك بالرهبة والخشوع والناحية الدينية أكثر من تأثرك بجمال الفن والعمارة .

ومن إختبارات الميول المهنية اختبار الميول المهنية للرجال ، تأليف إدوارد سترونج . أعده باللغة العربية الدكتور عطيه محمود هنا ، ويقيس الميول المهنية والنضج المهنى وكذلك الميول المهنية المتعلقة بالذكورة والأنوثة. ويصلح الاختبار للاستخدام فى ميدان التوجيه التربوى والمهنى والإرشاد النفسى .

هـذا الاختبار يقيس الميول المهنية والدراسية وأنواع النشاط والتسلية . ويعطى للمفحوص عددا من المهن والمناشط ويطلب منه أن يحدد إذا كان يحب الاشتغال بها أو لا يهتم بها أو لا يحب الاشتغال بها ومن أمثلة ذلك .

محاسب فى محل تجارى

مهندس قطارات أو سيارات

صيد السمك

تصليح الساعات

إختبارات الإتجاهات التربوية للمعلمين

إختبار الإتجاهات التربوية للعلمين ، إعــداد الدكتور أحمد زكى صالح والدكتور محمد عماد الدين اسماعيل والدكتورة رمزية الغريب .

ولقد وضـــع هذا المقياس على أساس أن يكون جزء من بطارية من الإختبارات التى تقيس الإتجاه التربوى عند المتقدمين للوظائف التربوية . وقد أعد من هذه البطارية إختباران هما .

١ — إختبار المعلومات التربوية .

٢ — إختبار التصرف فى المواقف التعليمية .

ومن مقاييس الاتجاهات مقاييس الاتجاهات الوالدية .

تأليف د . محمـــد عماد الدين اسماعيل والدكتور رشدى فام منصور . ويتكون المقيـاس من ١٤٦ عبارة تقيس الاتجاهات الوالدية بطريقـة التقدير الذاتى وذلك فيما يتعلق بالتنشئـة الاجتماعية كما تظهر فى المقاييس الفرعية الآتيـة : —

التسلط والحماية الزائدة والإهمال والتدليـل والقسوة وإثارة الألم النفسى والتذبذب والتفرقة والسواء والكذب .

ولقد طبق على ٤٠٠ حالة استخلصت منهـا المعايير وكذلك استخرجت منها معاملات الصدق والثبات .

إختبار الميول المهنية

إعداد الدكتور أحمد زكي صالح وهو مقتبس عن إختبار كيودر Kuder الميول المهنية (١) . ويقيس الميول المهنية عن طريق تفضيل الأفراد لأنواع معينة من النشاط . ويحدد المفحوص أكثر هذه المناشط تفضيلا وأقلها تفضيلا .

ويقيس الميول الفرعية الآتية : —

الميل الخلوى ، الميل الميكانيكي ، الميل الحسابي أو العددى ، الميل العلمى ، الميل للعمل الفنى ، الميل للعمل الأدبى ، الميل الموسيقى ، الميل للخدمات الاجتماعية الميل للعمل الكتابي أو الإدارى .

ولقد أعد الأختبار بحيث يحتوى على مقياس لصدق استجابات المفحوص ، كذلك أعد له صفحة تخطيطية للبنين وأخرى للبنات . واستخرجت معاملات الثبات من البيئة المصرية ووصلت إلى أكثر من ٧٠ر٠

وهناك اختبار الميول للدكتور عبد السلام عبد الغفار ويتكون من عدد من العبارات التى تمثل ألوانا مختلفة من المناشط ويطلب من المفحوص تحديد إستجابته لكل عبارة من بين ثلاثة احتمالات .

١) أميل إلى مباشرته كمهنة .
٢) أو مباشرته كهواية .
٣) لا أعرف عنه شيئا .

ومن أمثلة هذه العبارات ما يلى : —

١) الإشتراك فى سباق جرى .
٢) تصليح الأزياء .
٣) العناية بالحيوانات فى السيرك .
٤) أمين صندوق فى نادى .

(1) Kudlr preference Record

أسئلة تطبيقية وتمرينات عملية

١) ما هى الأهداف التى يمكن أن يحققها القياس العقلى فى الميادين المختلفة ؟

٢) تحدث عن وسائل وطرق القياس المختلفة ؟

٣) ما هى صفات الاختبار الجيد وكيف يمكن حصولك عليها ؟

٤) ما هو المقصود بالعمر العقلى وما هى عيوبه كمعيار للمقارنات ؟

٥) كيف يمكنك تصميم إختبار من إختبارات الذكاء التى تستخدم لقياس ذكاء الأطفال ؟

٦) أذكر الاختبارات التى يمكنك استخدامها لمعرفة حالة شخص مريض نفسيـــا ؟

٧) ما هى الاختبارات التى يمكنك استخدامها فى التوجيه التربوى والمهنى ؟

٨) قارن بين أنواع الصدق المختلفة ووضح مزايا كل نوع ؟

٩) كيف يمكن تحقيق الموضوعية فى عمليات القياس ؟

١٠) أشرح الخطـــوات التى تسير فيها فى عملية تصميم إختبار لدراسة ظاهرة معينة

١١) ما هو المقصود بالصدق والثبات فى المقاييس العقلية ؟

١٢) ما هو المقصود بتقنين الإختبارات ؟

١٣) تحدث عن إختبار الشخصية المتعدد الأوجه وعن العوامل التى يقيسها وعن مجالات تطبيقه ؟

١ – القيادة فى مجتمعنا الإشتراكى

إن القيادة ظاهرة إجتماعية هامة تتأثر بظروف المجتمع السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية ، كما إنها تؤثر تأثيرا فعالا فى حياة المجتمع ، فالقادة هم الذين يقودون جماعاتهم إلى حيث الإصلاح والتقدم والمجتمع بدوره هو الذى يخلق قادته بما يوفر لهم من فرص النمو والنجاح وبما يقدم لأبنائه من تعلم وتدريب وبما يوفر لهم من فرص إكتساب الخبرات .

فالواقع أن هناك علاقة تفاعل بين المجتمع وقادته بحيث يصعب التفريق بين ما يرجع إلى المجتمع وما يرجع إلى القادة . ونظرا لهذا التفاعل فان لكل مجتمع نوع القيادة التى تلائمه ولا تلائم غيره . فالقيادة فى مجتمع العصور الوسطى تختلف عنها فى العصر الحديث ، كذلك فان القيادة فى مجتمع رعوى تختلف عنها فى مجتمع صناعى والقيادة فى مجتمع صغير تختلف عنها فى مجتمع كبير .

كذلك هناك إنماط مختلفة للقيادة على جميع مستوياتها منها القيادة الإستبدادية أو الدكتاتورية والقيادة الفوضوية والديموقراطية . ولقد أسفرت التجارب الانسانية على أن أفضل أنواع القيادات هو القيادة الديموقراطية .

ويقصد بالديمقراطية فى جانبها السياسى أن يحكم الشعب نفسه بنفسه لصالح نفسه . ولكن هذا مجرد جانب واحد من جوانب الديمقراطية هو الجانب السياسى ، أما المفهوم الحديث للديمقراطية فينظر إليها على أنها نظام حياة تام ومتطور يتضمن أسلوب حياة الفرد والجماعة ويشتمل على كثير من المبادىء الإنسانية والسياسية والإجتماعية مثل تكافؤ الفرص وحرية الرأى والعقيدة والعمل والإقامة والمساواة أمام القانون ، والعدالة والإخاء والتعاون .

ولقد أخذ مجتمعنا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على عاتقه إقامة حياة

ديمقراطية سليمة تتناول حيـــاة الفرد فى الأسرة والمدرسه والمصنع والحقل وكذلك أخذ على عاتقه مهمة إنشاء القيادة الديمقراطية السليمة : ويرسم الميثاق الوطنى معالم القيادة فى مجتمعنا الناهض فيقول : إن جماعيـة القيادة أمر لا بد من ضمانة فى مرحلة الإنطلاق الثورى ، وأن جماعيـة القيـادة ليست عاصما من جنوح الفرد فحسب وإنما هى تأكيد للديمقراطية على أعلى المستويات كما أنها فى الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم المتجدد »[1] .

ففى مرحلة الإنطلاق الثورى أى التغير السريع لمعالم المجتمع لا بد وأن تكون القيادة الديمقراطية .

فلقد أكد مجتمعنا بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ضرورة جماعية القيـادة وديمقراطيتها مع ضرورة خلق كوادر قيادية متجددة ، كما يؤكد الميثاق الوطنى الطبيعة الانسانية للديمقراطيـــة فى القيـــادة فى مجتمعنا المعاصر بقوله : « إن القيادة الحقيقية هى الإحساس بمطالب الشعب والتعبير عنها وإيجـــاد الوســـائل لتحقيقها » .

والواقع أن لظاهرة القيادة مكانة كبيرة فى المجتمعات المعاصرة بل ويتوقف عليها سلام العالم وتقدمه . فعلى أساس منها تتحدد معالم العلاقة بين الشرق والغرب وما يسود العالم من سلام أو توتر إنما هو نتيجة مباشرة لسلوك القيادات العالميه

وللقيادة مستويات متعددة فالى جانب هذا المستوى العالمى هناك القيادات القوميه والقيادات السياسيه ثم هناك القيادات العلميـه والفنية والأدبيه والمهنيه فى الصناعه والزراعة والتجارة .

ومن أبرز خصائص القيادة انها نوعيه بمعنى أن القائد فى ميدان لا يكون قائدا فى ميدان آخر . فهناك القائد العسكرى والقائد السياسى والقـائد فى العلم أو الفن أو الدين أو الفلسفه .

---

(١) الميثاق الفنى .

٢ - تعريف القيادة

يمكن تعريف القيادة بالنظر إلى الشخص الذى يتولى منصب القيادة نفسه فتوصف بأنها مجموعة السمات والمهارات التى يمتاز بها القائد أو هى مجموعة السمات والمهارات اللازمة للقيام بوظائف القيادة . ولكن هذا التعريف يتجاهل المواقف العملية التى تعد عاملا أساسيا فى تحديد القائد وفى نوع القيادة الذى يمارسه . فالظروف الإجتماعية هى التى تملى القيادة ونوعها .

ومن ناحية أخرى توصف القيادة من زاوية المناشط والأدوار التى يقوم بها القائد نفسه فتعرف بأنها عبارة عن توجيه وضبط وإثارة سلوك وإتجاهات الآخرين .

Leadership = "The initiation, direction, or control of the actions or attitudes of another person or of a group" .

ولا يتضمن هذا التعريف أن هناك طائفة معينة من الناس هى التى تصلح للقيادة دون غيرها من الناس[1]

والواقع أن الأبحاث التى أجريت لحصر سمات القائد أسفرت عن عدم وجود سمات ثابتة . فسمات القيادة المطلوبة فى موقف ما تختلف عن السمات المطلوبة فى موقف آخر ، فالقيادة تتوقف على حاجات الإتباع أنفسهم ولا شك أن هذه الحاجات تختلف من موقف إلى آخر[2]

فالقادة فى ضوء هذا التعريف هم أعضاء الجماعة الذين يمارسون نوعا من

---

(1) English المرجع السابق

(2) Santord, المرجع السابق

التأثير على سلوك الجماعة وعلى ذلك فكل فرد من أفراد الجماعة يعتبر قائدا لأنه يستطيع أن يؤثر فى سلوك الجماعة التى ينتمى إليها ، وهنـا ينبغى التمييز بين قائد Leader الجماعة كفرد له قوة التأثير على سلوك أفرادهـا وبين الرئيس الرسمى للجماعة Head الذى قد لا يكون له تأثيرا قويا ، وعلى ذلك فليس كل رئيس رسمى قائد للجماعة .

يجب أن نميز بين القيـادة Leadership والرئاسة Headship ومن أهم الفروق بين القيادة والرئاسة :-

١) الرئاسة تقوم نتيجه لنظام رسمى وليس نتيجه لإعتراف تلقـــائى من أعضاء الجماعه بقدرة الرئيس فى تحقيق أهداف الجماعه . فالرئاسه تستمد السلطة من قوة خارجه عن الجماعة نفسها .

٢) فى الرئاسـه يقوم الرئيس بتحديد أهداف الجماعة طبقـا لمصالحه هو أو لمصالح الجهه التى عينته .

٣) الأعمال المشتركة أو الجماعية فى الرئاسه قليلة .

٤) لا يوجد تقارب كبير بين الرئيس وأعضاء الجماعه ويعتقد الرئيس أن تباعده عن الجماعه يساعده على أرغامها على إطاعة أوامره .

٥) سلطه الرئيس مستمدة من خارج الجماعه نفسها وليست من داخـل الجماعه التى تقبل سلطه الرئيس خوفا من العقاب . وعلى كل حال تميل النظم الادارية الحديثه إلى التقريب بين نظام القيادة والرئاسه بحيث يصبح الرئيس قائدا [١] .

---

(1) Kineberg, O. Social psychology , N. Y· Holt, Rinchart and Winston, 1961.

٣ ـ أنواع القيادات

هناك أنواع مختلفة من القيادة أهمها :

(١) القيادة الاستبدادية .
(٢) القيادة الديمقراطية .
(٣) القيادة الفوضوية .

(١) القيادة الاستبدادية :

تتميز القيادة الاستبدادية باجتماع السلطة المطلقة فى يد القائد الاستبدادى فهو الذى يضع سياسة الجماعة ويرسم أهدافها ، وهو الذى يفرض على الأعضاء ما يقومون به من أعمال ، كما أنه يحدد نوع العلاقات التى تقوم بينهم ، وهو وحده الحاكم والحكم ومصدر الثواب والعقاب ، ويعتمد الأعضاء اعتمادا كليا عليه .

أما أهداف الجماعة فى ظل هذا النظام فلا تكون واضحة فى أذهانهم ، كما أنه يحاول أن يقلل من فرص الاتصال بين الأعضاء ، وبذلك لا يوجد تماسك قوى بين أعضاء جماعته ولذلك سرعان ما ينفرط عقدها إذا ما تغيب القائد أو اختفى .

القيادة الديمقراطية :

يسعى القائد الديمقراطى إلى ضرورة مشاركة كل عضو من أعضاء الجماعة فى نشاطها وفى تحديد أهدافها ورسم خططها . ولا يميل إلى تركيز السلطة فى يده وإنما يعمل على توزيع المسئوليات على الأعضاء كما يعمل على تشجيع إقامة العلاقات الودية بين أعضاء الجماعة . ويسعى إلى تحقيق أهداف الجماعة عن طريق الأعضاء أنفسهم ، ويقف هو موقف المحرك أو الموجه لنشاط

الأعضاء ولكن في القيـــادة الديكتاتورية أو الاستبدادية يحدد القـــائد سياستها ويكلف الأعضاء بالتنفيذ خطوة خطوة ، ويصعب عليهم التنبؤ بالخطوات التالية :

القيادة الفوضوية .

وهنا يتصف الجو الإجتماعي بالحرية التامة حيث يترك القائد للجماعة حرية إتخاذ القرارات ولا يشترك في المناقشة أو في التنفيذ ، ولا يميل الأعضاء إلى حب القائد الفوضوي ، كما أنهم يصبحون أكثر ضيقا بالجماعة نفسها . أما القائد الديموقراطي فيتمتع بحب الجماعة ، كذلك تكون جماعته أقل عدوانا وأكثر تعاونا وأكثر قابلية لتحمل المسئولية ، ويميل الأعضاء إلى الاستمرار في أداء العمل حتى في حالة غياب القائد . أما في الجو الدكتاتوري فإن الأعضاء يتوقفون عن العمل إذا ما تغيب القائد .

ولقد وجد أن القرارات التي تتخذها الجماعة ككل يميـل أفراد الجماعه إلى تنفيذها ، فقد أمكن زيادة الانتاج الصناعي نتيجة لإقتناع العمال بضرورة زيادة الإنتاج وإتخاذهم قرارا جماعيـــا بهذا الشأن . في ظل النظام الديمقراطي يجب أن يشعر كل فرد من أفراد الجماعة بأن جهوده في الجماعة هامة وحيوية وذلك يؤدي إلى زيادة تعاونه عندما يعرف أهميتــه بالنسبة للجماعة ، كما يؤدي إلى إفادة الجماعة من خبرات أكبر عدد ممكن من أعضائها .

أما القائد الفوضوي فهو الذي يترك الحبل على الغارب لأعضاء جماعتـــه ويمنحهم حرية مطلقة في تخطيط العمل وتنفيذه ، فلا يشترك في المناقشات ، ولا في إتخاذ القرارات ولا يقوم بتوجية سلوك الأفراد إلا متى طلبوا منه ذلك وفي أغلب الأحوال ما يكون وصل إلى مركز القيادة بحكم مهارته الفنية دون أن يكون لديه مهارات قيادية .

ولقد أجريت بعض التجارب لمعرفة أثر القيادة الديمقراطية Democratic

والقيادة الدكتاتورية Authoritrian وكذلك لمعرفة أثر الجو المحيط بالجماعة Atmosphere على إنتاج الجماعة وعلى العلاقات بين أفرادها . ومن أشهر هذه التجارب تجربة كيرت ليفين kurt lewin على الأطفال . ولقد وضع مجموعة من الأطفال وكلفها باداء بعض الأعمال مثل صناعة الأقنعة وذلك تحت قيادة بعض الأشخاص بحيث يخلقوا أجواء إجتماعية مختلفة . وأستمرت التجربة عدة أسابيع لوحظ خلالها تركيب الجماعة وروحها المعنوية وعلاقاتهم بعضهم البعض وعلاقاتهم بالقائد . ولقد شملت المقارنه سياسة الحرية المطلقه أيضا laissez Faire ولكننا نهتم هنا بالفرق بين السياسة الدكتاتورية والديموقراطية . فالقائد الدكتاتورى كان هو الذى يقرر سياسة الجماعة ، هو الذى يحدد طرق العمل وخطواته، ومن ثم لم يكن معروفا لأفراد الجماعه الخطوات التى ستأتى فى المستقبل هو الذى يحدد العمل لكل عضو وهو الذى يحدد زملاء العمل كذلك كان يوجه نقده ومدحه بطريقه شخصيه personal وليس بطريقة موضوعية كما أنه لم يقدم أسبابا مفهومة لنقده كما أنه ظل بعيدا عن مناشط الجماعه فيما عدا الادارة .

أما القائد الديمقراطى فكان على العكس من ذلك يترك لجماعته تحديد سياستها وهو يقف موقف المشجع فقط ، كان يعرض أ كثر من طريقه لأداء العمل ويترك للاطفال حرية تحديد الطريقة التى يستخدمونها ، كان كل عضو يختار من يشاء ليشاركه كما أنه كان يتوخى الموضوعية والحقائق فى كل من نقده ومدحه .

أما عن النتائج التى أسفرت عنها هذه الدراسه فمن أهمها أن الجماعه التى قيدت قيادة دكتاتوريه كانت تميل إلى العدوان Aggression كذلك كانت أكثر نحولا من الديمقراطيه . كانت الجماعه الدكتاتوريه أميل إلى الخضوع للقائد كما أنها كانت تميل إلى استحواذ الأنتباه . أما الأتجاه السائد لدى الجماعة الديمقراطيه فكان موجها نحو العمل وكان اتجاها وديا نحو القائد والعلاقه بين

أفراد الجماعة الدكتاتورية كانت علاقة عدوانية وعلاقة سيطرة . كذلك كان يسود الجماعة الديموقراطية شعور جماعى we-feeling بينما كان يسود الجماعة الدكتاتورية شعور فردى I-feeling وعلى ذلك فان وحدة الجماعة الديمقراطية كانت أكثر من الجماعة الأخرى . والجماعات الفرعيه كانت متماسكة فى ظل النظام الديمقراطى بينما كانت مفككه فى النظام الدكتاتورى .

عندما تغيب القائد الدكتاتورى انخفض معدل الإنتاج انخفاضا كبيراً أما فى الجماعة الديمقراطية فلم يتأثر تأثراً كبيراً . وعندما تعرضت الجماعة للاحباط والكبت فإن الجماعة الديمقراطية تكتلت لمقاومة الصعوبات . أما الجماعه الدكتاتورية فزادها ذلك تفككا وأتجهت نحو لوم بعضها البعض .

٤ ـ أهمية القيادة فى حياة الجماعة

القادة يلعبون دوراً هاماً فى تحديد أهداف الجماعة وفى وضع قيمها ومعاييرها وثقافتها كما يضعون خطط النشاط المختلف لجماعاتهم ، وبالطبع الجماعة تعد هامة جداً لأنها هى التى تقبل القيادة أو ترفضها وعلى ذلك لابد أن يعمل القائد على أشباع حاجاتهم ففى بعض المواقف قد تتطلب الجماعة قائداً يشعرها بالحب والحنان والدفء والأبوة ، وفى مواقف أخرى قد تكون هناك مواقف خطر داهم يهدد حياة الجماعة فترغب فى قائد حازم وحاسم ولو كان عدوانياً . وعلى ذلك فلمعرفة نوع القائد نقوم بتحديد الحاجات المادية والإجتماعية والسيكلوجية للجماعة وبذلك نحدد نوع القائد المناسب .

وتظهر القيادة ظهوراً تلقائياً بين الجماعات حينما يميل التأثير فى الجماعة إلى الاستقرار فى يد شخص معين أو عدد قليل من الأشخاص ولا يبقى التأثير مشتتاً بين جميع أعضاء الجماعة .

وكلما زاد حجم الجماعة وتشعبت وظائفها كلما ظهرت الحاجة إلى وجود عدد كبير من القادة الذين ينظمون شكلا هرمياً للقيادة بحيث يكون فى أعلى هذا الشكل الهرمى القائد الأول يليه طبقات أخرى من القادة فى المرتبة الثانية والثالثة وهكذا حتى ينتهى الهرم بالقاعدة حيث يوجد فيها الاتباع .

القائد الأول

قادة فى المرتبة الثانية

قادة فى المرتبة الثالثة

قادة فى المرتبة الرابعة

جمهور الاتباع

تظهر الحاجة للقادة أكثر ما تظهر عندما تمر الجماعة بأزمة من الأزمات أو تتعرض لخطر من الأخطار وتعجز عن التخلص منه ، وهنا تظهر الحاجة إلى القائد الذى يأخذ بيد الجماعة ، كذلك فإن تعرض الجماعة إلى تهديد داخلى أو خارجى يؤدى إلى إتحاد الجماعة وتماسكها تحت راية قيادة موحدة قوية .

وتعد ظاهرة القيادة ضرورية بالنسبة لتكوين الجماعات ولإستمرار بقائها ، فان مجرد وجود جمع من الناس لا ينتظمون فى تنظيم معين ولا يخضعون لقيادة معينة لا يعد تجمعهم هذا كجماعة أو مجتمع إنما يكون مجرد تجمهر ، ومن خصائص القيادة أنها تكون النواة التى يلتف حولها الأفراد والمواقف الإجتماعية بدورها تعمل على بروز بعض الصفات القيادية فى بعض الأشخاص فيتولون القيادة[1] .

وللقيادة وظائف متعددة يحددها كرتش وكوتسفيلد وتتلخص هذه الوظائف فى الإدارة والتنفيذ والتخطيط وابداء الرأى والاستشارة للجماعة وتمثيلها لدى الغير وضبط العلاقات بين أعضائها والثواب والعقاب ، والفصل فى المنازعات التى تنشأ بين أعضاء الجماعة والقائد فوق ذلك هو نموذج الجماعة ورمزها والمسئول عنها والناطق بلسانها وهو الذى يمثل الأب « وكبش الفداء » -scapegoat

يقال إن القائد يقوم بوظائف التخطيط للجاعة ويضع سياستها ويمد أعضائها بالخبرات الفنية كما يمثلها لدى الغير ويضبط سلوكها ويوجه العلاقات الداخلية بين أعضائها كما أنه هو الذى يمنح الثواب والعقاب كما يقوم بدور الوسيط بين أعضائها كما أنه يعد مثال لجماعته وعنوانها ورمزها والمسئول عنها وواضع فلسفتها، كما أنه يمثل الأب الرحيم لجماعته وهو الذى يتحمل أخطاء أفراد جماعته ويحل ما يظهر بينهم من مشكلات فهو كالقاضى وكالمرشد والموجه .

---

(١) الدكتور صلاح مخيمر و عبده ميخائيل ، المدخل إلى علم النفس الإجتماعى ، الأنجلو المصريه ١٩٦٨

٥ ـ تفسير ظاهرة القيادة

ينظر علم النفس الفردى لظاهرة القيادة على أنها سمة من سمات الشخصية التى تتوفر فى بعض الناس دون غيرهم ، ولكن ينبغى أن نلاحظ أن القيادة تعتمد على مجموعة كبيرة من سمات الشخصية وليس على سمه واحدة .

هذه السمات تنمو فى الفرد نتيجة لمروره بخبرات ومواقف معينة وليس هناك سمات مطلقة وثابته للقيادة تصلح فى كل زمان ومكان وإنما لكل جماعة ظروفها وأهدافها ومشكلاتها ومن ثم فان لها نوعا من القيادة التى تصلح لظروفها الراهنة ولا تصلح لغيرها .

وهناك نظريات كثيرة وضعت لوصف ظاهرة القيادة وتفسيرها ومن أهم هذه النظريات « نظرية الرجل العظيم » .

نظريه الرجل العظيم :

كان سير فرنسيس جالتون من أكثر الناس تشيعا لهذه النظرية التى تقول أن التغيرات تحدث للحياة الإجتماعية عن طريق أفراد من أصحاب القـــدرات والمواهب البارزة ، ولكن نحن نلاحظ أن القائد لا يستطيع إحداث أى تغيير إلا إذا كانت الجماعة مستعدة لقبول هذا التغير كالتغـــيرات الإشتراكية التى حدثت فى مجتمعنا العربى لاقت نجاحاً كبيراً لأنها وجـدت عقول الناس مهيئة لقبولها ، بل ولإحتضانها والتحمس لها .

نظرية السمات : لقد دلت البحوث النفسية التى أجريت على الأطفال على أن القادة من الأطفال كانوا ينفردون بصفات جسمية وعقلية وإجـتماعية ونفسـية دون غيرهم ، فالاطفال القادة كانوا أكثر طولا وأكبر حجما وأصح بدنا وأحسن مظهراً وأكثر ذكاء من باقى أفراد الجماعة كذلك كان القـــادة أكثر ثقـة

بأنفسهم وأكثر إنخراطاً في المناشط الاجتماعية ولديهم عزيمة قوية كما أنهم كانوا أقدر على المبادأة والمثابرة وأعلى طموحا وأكثر ميلا للسيطرة وأكثر ميلا إلى المرح كذلك كانوا أكثر قدرة على التكيف مع غيرهم من الناس .

فالذكاء مثلا تتطلبه القيادة لأن السلوك الاجتماعى والفردى يحتوى على مشكلات لابد من حلها ، ولكن مع ذلك يجب ألا يزيد الفرق فى الذكاء بين القائد والأتباع زيادة كبيرة حتى لا يؤدى ذلك إلى وجود هوة كبيرة بينه وبينهم، وبطبيعة الحال فان الذكاء وحده لا يصنع القائد بل لابد من ارتباطه بعوامل نفسية واجتماعية أخرى كالنضج والاتزان الانفعالى والمشاركة الوجدانية وقوة الإرادة والمثابرة . والثقة بالنفس من السمات الأساسية للقائد حيث تمكنه من إشعار الغير بأنه قوى ماهر وقادر على حل مشكلاتهم .

أما نزعة السيطرة فقد دلت الأبحاث الحديثة على عدم أهميتها بالنسبة للقادة فليس من الضرورى أن يفرض القائد نفسه على الجماعة .

ويوجه نقد إلى نظرية السمات هذه من حيث أنه لا يمكن أن يصبح جميع الناس الذين يملكون هذه الصفات قادة . بل إن القائد وليد الظروف الاجتماعية وكذلك فان القائد فى موقف معين ليس من الضرورى أن يكون قائدا فى موقف آخر مهما إمتلك من صفات .

فنظرية السمات تفسر القيادة على أساس توفر بعض السمات الشخصية فى القائد - ومن هذه السمات الذكاء والقدرة على المبادأة والمثابرة والحزم والطموح وسلامة الأعصاب والميل للاجتماع بالناس . ولكن يعاب على هذه النظرية أنه لا يمكن حصر جميع السمات اللازمة للقائد فى جميع المواقف ، كما أنه لا يمكن الاتفاق على عدد هذه السمات ونوعها .

النظرية الموقفية :

وجدنا أن القيادة ترجع إلى شخصية القائد فى نظريتى الرجل العظيم ونظرية السمات أما النظرية الموقفية فانها ترى أن القائد لايظهر إلا إذا تهيأت له الظروف الاجتماعية لكى يستخدم ذكاءه ومهاراته وتحقيق أهدافه وكثير من العظماء ظهروا وكانوا يسبقون عصورهم فى أفكارهم ومن ثم ماتت معهم أفكارهم ولم يصلوا إلى القيادة ، لأن الظروف الاجتماعية لم تكن مهيأة لقبول أفكارهم . وفى مجال العلم لو أن رواد الفضاء ظهروا قبل ذلك بقرن من الزمان لما إستطاعوا أن يصلوا إلى القمر لأن التكنولوجيا لم تكن قد بلغت ما بلغته من تقدم .

النظرية الموقفية من النظريات التى تركز على العوامل البيئية فى نشأة القيادة وتفسيرها ، حيث ترى أن ظهور القائد يتوقف على وجود عوامل اجتماعية خارجة عنه . وحتى إذا كانت لديه قدرات ومواهب فذة فان الظروف الاجتماعية هى التى تسمح له باستخدام هذه المواهب أو هى التى تعطلها وتطمسها ولكن يعاب على هذه النظرية مغالاتها فى تقدير أثر الظروف الاجتماعية وإغفالها للاستعدادات الفطرية اللازمة لنجاح القائد .

فالسمات التى تبدو ضرورية فى موقف لا تبدو كذلك فى غيره ، كذلك لكل عصر من العصور خصائص معينة .

النظرية الوظيفية :

القيادة فى ضوء هذه النظرية تقوم بوظائف الجماعة، فتساعد الجماعة على تحقيق أهدافها وتحريك الجماعة وتحسين العلاقات القائمة بين الأعضاء وحفظ تماسك الجماعة وعلى ذلك فليس من الضرورى أن يقوم بالقيادة شخص واحد بل يقوم بها عدة أشخاص [1] .

---

(1) Lambert, W. W., and Jambert, W. E., Social psychology, Prentic - Hall, New Jersey 1904.

٦ ـ الشروط الواجب توافرها فى القائد الكفء

سبق أن قلنا أن الأنظمة الحديثة تستهدف جعل الرؤساء قادة وعندما نتحدث عن الشروط الواجب توافرهـا فى القائد الكفء فإنما نشير إلى صفات القائد الديمقراطى وليس الاستبدادى أو الفوضوى. ويجب أن نشير إلى نقطة بالغة الأهمية وهى أنه يمكن دائما تدريب الناس على تولى مهام القيادة وبذلك يستطيع المجتمع أن يوفر القادة اللازمين لمختلف قطاعاته الاجتماعية والصناعية والمهنية والسياسية، فالانسان لا يولد قائدا وإنما يولد باستعدادات عامة يحيلها المجتمع إلى مهارات قيادية ونستطيع أن نوجز الشروط التى يجب أن تتوفر فى القائد الناجح فيما يلى : ـ

١ ـ القدرة على تنظيم المناقشـات وإدارتها وتشجيع أعضاء الجماعة على الاشتراك فى المنا ات وعلى تبادل الآراء وعلى التفاعل المثمر مع الجماعة .

٢ ـ القدرة على حماية الأقلية وإقناع المتطرفين من أعضاء الجماعة بالعدول عن التطرف .

٣ ـ القدرة على إتخاذ القرارات وإصدار الأوامر بحيث لا يتعجل فى إتخاذ القرارات ولا يتردد حتى تفوت الفرصة وأن يحسن التوقيت الصائب مع عدم الاسراف فى إصدار الأوامر والنواهى .

٤ ـ القدرة على معاملة الناس معاملة حسنة ، ويتطلب ذلك أن يتصف بالذكاء الاجتماعى والاتزان الانفعالى وضبط النفس والمشاركة الوجدانية والقدرة على أن يضع نفسه موضع الغير وعلى أن يشعر بمشاعر الغير وأن يتصف بالتسامح مع الحزم عند اللزوم .

٥ ـ القدرة على التنبؤ بالمشكلات قبل وقوعها والعمل على تفاديها .

٦ - أن يكون مستعدا للقاء أفراد الجماعة إذا رغبوا .

٧ - أن تكون علاقته بأفراد جماعته علاقة ودية وأن كان ذلك لا يعنى رفع الكلفة بينهم كلية .

٨ - القدرة على إقامة علاقات إجتماعية ناجحة .

٩ - القدرة على التنظيم الاجتماعى .

١٠ - التشابه بينه وبين أعضاء الجماعة ، فالقائد لا ينبغى أن يكون متخلفا عن أفراد جماعته بل يجب أن يشاركهم فى آمالهم وحاجاتهم .

وليس هناك سمات ثابتة للقيادة ، فى كل زمان ومكان وإنما لكل جماعة ظروفها وأهدافها ومشكلاتها ومن ثم فان لها نوع القيادة التى تصلح لظروفها الراهنة ولا تصلح لغيرها .

يجب أن يكون للقائد مجموعة من الدوافع التى تحرك نشاطه القيادى كالرغبة فى توكيد ذاته وفى تحقيق أهداف الجماعة ورغبته فى نيل تقدير جماعته .

يجب أن يتمتع بالقدرة على إدارة الغير ، ولكن مع النظر اليهم كعناصر إنسانية فى جماعته ، وإحترام ذواتهم . أما إنكار ذواتهم فانه يجعل من قيادته قيادة تسلطية تثير عداء أفراد الجماعة نحوه وتخفض من الروح المعنوية بينهم ، فلابد للقائد من أن يضع حاجات الغير موضع الاعتبار .

كذلك يجب أن يمتاز القائد بالقدرة على حل مشكلات الجماعة ، وهنا تبدو الحاجة إلى عنصر الذكاء كسمة من السمات الضرورية للقيادة .

من سمات القائد الكفء كذلك القدرة على الاتزان الانفعالى ، وعلى ضبط النفس والتحكم فى دوافعه ، فاذا كان قادرا على التحكم فى دوافعه الذاتية كان أيضا قادرا على التحكم فى دوافع الغير .

ومن الشروط الواجب توافرها فى القائد الناجح أيضا .

أن يكون لديه قدر كبير من الكفاءة الفنية أو المهنيه إلى جانب الكفاءة والخبرة .

ونستطيع أن نجمل هذه الصفات فى صفة واحدة هى النضج الشخصى [1] .

هذه السمات ضرورية للقائد الناجح لأنه على أساس من توافرها يستطيع أن يقوم القائد بوظائفه الهامة فى الجماعة والتى من بينها رفـــع الروح المعنوية للجماعة Morale إلى جانب قيامه ببناء الجماعه والجو الإجتماعى للجماعه وتحديد أهداف الجماعه Goals وكذلك ايدولوجيه الجماعه Ideology ونشاط الجماعـه . وبطبيعه الحال فإن الروح المعنوية للجماعه تتوقف على هذه الوظائف التى يقوم بها القائد . وعلى ذلك فكلما أحسن اختيار القـــائد كلما إرتفع الروح المعنوية للجماعـه

(1) Krech. D. and others, Theory. and problmes of soccial psychology, Mc Graw - Hill, H. York, 1948.

أسئلة وتمرينات عملية

١) صف القيادة اللازمة للمجتمع الإشتراكى العربى .

٢) أشرح القيادة كما يصورها الميثاق الوطنى .

٣) حاول أن تستعرض القيادات السياسية فى بعض الدول وأن تصنفها إلى أنواع القيادات المعروفة لك .

٤) حاول أن تضع تعريفا معقولا لظاهرة القيادة .

٥) قارن بين القيادة والرئاسة موضحا خصائص كل منهما .

٦) وضح أنواع القيادات المختلفة مبيناً وجهة نظرك فى كل نوع منها .

٧) وضح الوظائف المختلفة التى يقوم بها القائد الناجح .

٨) أعرض لأهم النظريات التى وضعت لتفسير ظاهرة القيادة عرضاً نقديا .

٩) ما هى الشروط الواجب توافرها فى القائد الناجح ؟

١٠) ما هى الوظائف المختلفة التى يمكن أن يقوم بها القائد ؟

ديناميات الجماعة

Group Dynamics

يشير رونالد لويس Ronald Lewis إلى اصطلاح ديناميات الجماعة بأنه عبارة عن بحث فى عمليات التفاعل داخل الجماعات الصغيرة .

Croup dynamics. An investigation of the interactiona! Processes of small goups.

ويوضح لنا ذلك التأثير والتأثر فى عمليات التفاعل التى تحدث بين أفراد الجماعات الصغيرة (1) .

أما إنجلش H. B. English فيشير إلى عدة معانى لهذا المصطلح منها أنه التغيرات الدينامية التى تحدث داخل الجماعات الاجتماعية ، ويقصد بالدينامية هنا علاقة العلية أو العلة والمعلول أو السببية - Cause - effect ومن معانى هذا الاصطلاح أيضا كيفية تكوين الجماعة وكيفية آدائها لوظائفها ، كذلك يشير إلى دراسة الوسائل والاجراءات اللازمة لتغير بناء أو تركيب الجماعة وسلوكها كجماعة وليس كأفراد .

ولمعرفة تأثير حجم الجماعة Size of the group على آداء الجماعة فى حل المشكلات قام تايلور Taylor وفوست Faust باجراء تجربة استخدما فيها مجموعة من الأفراد عددها ١٠٥ فردا ولقد كلفا ١٥ فردا من هذه العينة بالقيام

---

(1) Lewis, D. J., Seientific principles of psy.

بحل مشكلة ما على أن يعمل كل منهم بمفرده ، كذلك كونوا ١٥ مجموعة كل مجموعة مكونة من فردين أثنين ، و ١٥ مجموعة أخرى كل مجموعة مكونة من ٤ أفراد .

وكان العمل الذى كلف به جميع الأفراد عبارة عن قيامهم بسؤال الباحث ٢٠ سؤالا وكان على الباحث أن يجيب « بنعم » أو « لا » وكانت هذه الأسئلة تدور حول موضوع ما غير معروف وكان على أفراد العينة أن يتعرفوا على هذا الموضوع بعد الأسئلة ، وإذا فشلوا فى التعرف عليه كان يسمح لهم بالإستمرار فى توجيه الأسئلة إلى الباحث حتى تصل الأسئلة إلى ٣٠ سؤالا . وكانت العينة تعطى ٤ موضوعات يوميا لمدة ٤ أيام متتالية . وفى اليوم الخامس اشترك جميع الأفراد فى حل ٤ موضوعات . وكانت العوامل التى قيست فى هذه التجربة (١) عدد الأسئلة التى سألها الأفراد (٢) والزمن المستغرق فى حل المشكلة (٣) عدد المشكلات التى لم تحل .

ولقد تبين من هذه التجربة أن آراء جميع المجموعات قد تحسن تحسنا ملحوظا بالمران والخبرة ، ومعنى ذلك أن أفراد العينة توصلوا إلى حل المشكلة فى آخر أيام التجربة بعدد قليل من الأسئلة بالمقارنة بالأسئلة التى سألوها فى أول أيام التجربة وذلك بصرف النظر عن حجم المجموعة . ولقد أظهرت المجموعات تفوقا فى هذا العمل عن الأفراد ، فالآداء الفردى أقل من الآداء الجماعى . ولكن لم يكن هناك فرق واضح بين آراء المجموعات المكونة من فردين وتلك المكونة من ٤ أفراد . فالجماعة تصل إلى حل المشكلة أسرع من فرد واحد بعينه ولكن إذا ضربنا عدد الدقائق الذى استغرقته المجموعة فى آداء العمل فى عدد أفراد هذه المجموعة لوجدنا أنها استغرقت وقتا أطول من الوقت الذى استغرقه الفرد . فإذا كانت المجموعة المكونة من ٤ أفراد قد إستغرقت ٣ دقائق فى حل

المشكلة فمعنى ذلك أن المدة التى قضتها المجموعة كلها عبارة ٤ × ٣ = ١٢ دقيقة بينما استغرق فرد واحد فى حلها ٦ دقائق وهى مجموع الزمن المستغرق فى حل هذه المشكلة .

وهناك كثير من التجارب التى توضح أثر مشاركة الجماعة Group participation على قبول الجماعة للحلول التى توصلوا اليها acceptability فعندما طلب من مجموعة من العمال أن يغيروا طرق آدائهم للعمل ثاروا وقاوموا التغيير الجديد وأظهروا نوعا من العدوان ، ولكن عندما اشتركوا Participated فى اتخاذ القرار الخاص بضرورة تغيير طرق العمل هذه كانوا أكثر استعدادا لقبول هذا التغيير لأنه فى هذه الحالة الأخيرة نابع منهم وصادر عن رغبتهم وبإرادتهم ومن صنعهم .

الامتثال Conformity

من الملاحظ أن أفراد المجتمع يمتثلون لكثير من القيم والمبادىء والعادات والتقاليد والاعراف . فأفراد الجماعة الواحدة يميلون إلى أن يتحدثوا بطريقة واحدة ، وأن يلبسوا بطريقة متشابهة ويأكلوا ويلعبوا وعلى الجملة يسلكوا بطرق متشابهة . ففى الجامعات الأوربية يرتدى الطلاب ملابس متشابهة بحيث يمكن التعرف على جامعة الطالب من ملابسه . ففى المجتمع الواحد نحن نشبه بعضنا بعضا إن الامتثال للمجتمع واضح والأحرى أن نتساءل لماذا نحن نتمثل بدلا من التساؤل هل نحن نتمثل أم لا ؟

ولقد أهتم كثير من العلماء بدراسة العوامل التى تؤدى إلى الإمتثال ومن بين هؤلاء العلماء كيد وكامبيل Kidd and Campbell درسا ، نجاح الجماعة ، واعتبراه أحد الأسباب التى تدعو إلى الإمتثال للجماعة . ولقد قسما أفراد

العينة إلى ثلاث مجموعات كل مجموعة تتكون من ٣ أفراد ثم كلفا كل مجموعة القيام بعمل ما تتطلب تعاون أفراد الجماعة . وكان هناك مجموعة أخرى ضابطة Control group إلى جانب هذه المجموعات الثلاث التجريبية Experimental groups

وبعد أن انتهت المجموعة التجريبية الأولى من آداء العمل أخبرهم الباحث أنهم قد أبلوا بلاء حسنا وأحرزوا نجاحا أكثر مما كان يتوقع منهم . أما المجموعة التى تلتها فى الأداء فقد أخبرها الباحث أنهم قد نجحوا وأحرزوا نجاحا جزئيا أى نجاح فى ⅔ الآداء المطلوب ، أما المجموعة الثالثة فقد فشلت كلية وأخبرها الباحث أنها فشلت فى آداء جميع الأعمال المطلوبة ، أما المجموعة الضابطة فلم تشعر بالنجاح ولا بالفشل ولم تشارك فى هذا الجزء من التجربة .

وبعد إتمام هذا العمل المصحوب بالشعور بالنجاح أو الفشل كلفت المجموعات القيام بعمل آخر يتضمن بعض عمليات الإدراك perception فقد عرض عليهم ضوء يتحرك لمدة ٥ ثوان وكان عليهم أن يسجلوا عدد حركات أو ظهور هذا الضوء فى هذه المدة . وكان على كل فرد من أفراد الجماعة أن يقدر حركة الضوء بمفرده دون استشارة أو مشورة زملائه وكان عليه أن يكتب تقديره على شريط من الورق . ولقد جمع الباحث هذه التقديرات واستخرج المتوسط الحسابى للمجموعة وأخبرها بقيمة هذا المتوسط وبعد أن أحيطوا علما بهذا المتوسط كلفهم الباحث أن يقوموا مرة أخرى بتقدير عدد حركات الضوء .

وبعد ذلك وجد الباحث نسبة التغيير التى حدثت فى تقديرات كل فرد فى

التقدير الأخير عن تقديراته فى المرات الأولى الأصلية أى نسبة التغيير التى طرأت على تقدير الفرد بعد أن أحيط علما برأى الأغلبية ممثـــلة فى المتوسط الحسابى للتقديرات . ولقد أقتربت التقـديرات الأخيرة من المتـوسط الحسابى للمجموعة كلما وكان هذا الاقتراب دليلا على الامتثال لرأى الأغلبية .

وبالنسبة للجزء الأول من التجربة الخاص بالنجاح والفشل فقد لوحظ أن الجماعة الأولى الأكثر نجاحا كانت أكثر امتثالا more conformist من المجموعة الناجحة نجاحا جزئيا والمجموعة الفاشلة ، فالنجاح الذى نشاركه مع الجماعة يدفعنا إلى الامتثال لها والتأثر بهـا . فالشخص الذى يؤيد ناديا رياضيا يزداد تأييده له كلما أحرز كثيرا من الانتصارات فى المباريات الرياضية .

ولقد دلت تجربة أخرى أجـراها كل مـن هارفى Harvey وكونسالفى Consalvi على أن امتثال الفرد يرتبط بالمكانة Status التى يحتلها فى وسط الجماعة . فى فقد استخدما مجموعة كبيرة من الأحداث الجانحين Jnvenile delinquenis إحدى المؤسسات وطبق عليها إستخبارا سسيومتريا Sociometric questionnaire لقياس العلاقات الاجتماعية أو الروابط الاجتماعية بين أفراد هـــذه الجماعة . والمعروف أن الدراسة السسيومترية تحدد لنا الأشخاص المنعزلين الذين يعيشون على هامش الجماعة أى الذين لا يرغب فى الإشتراك معهم كما تحـــدد لنـــا الأشخاص المكـروهين من الجماعة الذين لا يرغب أحد فى مشاركتهم . كما تحـدد لنـا الأشخاص المحبوبين الذين يرغب أفراد الجمـــاعة فى الجلوس بجوارهم أو تبـادل الزيارات معهم أو الإشتراك معهم فيما يقومون به من نشاط ، هؤلاء الأفراد المحبوبين يعرفون باسم النجوم أو القادة . ومعـــنى ذلك أن الدراسة السسيومترية تحدد لنا الشخص القـــائد أى الشخص الذى يتمتع بمكانة اجتماعية

وسط جماعته [١] .

ولقد قسمت العينة إلى مجموعات صغيرة وتتكون كل مجموعة من خمسة أفراد. وكانت التجربة تتلخص فى وضع هذه المجموعة فى حجرة مظلمة وكان يطلب من كل مجموعة صغيرة أن تحدد المسافة أو البعد بين نقطتين من الضوء كانتا تظهران فى وقت واحد على أحد جدران الحجرة . وكانت الحجرة مصممة بحيث يظهر فيها أربع نقط من الضوء كل اثنين معا ، ولكن أفراد المجموعة كانوا يعتقدون أن الحجرة سيكون بها نقطتان فقط . ولقد أخبر الباحث أفـــراد العينة بأنهم سوف يمنحون جوائز قيمة إذا قدروا المسافة بين الضوئين تقـــديرا دقيقا وهنا نوجه اهتماما خاصا فى هذه التجربة لتقدير القائد للمسافة والصبى الذى يليه فى المكانة ثم الصبى الذى لا يتمتع بأية مكانة وسط جماعته على الإطلاق . وفى أول خطوات التجربة ظهر ضوءان تفصلهما مسافة طولها ١٢ بوصة دون أن يعلم الأفراد . وطلب من كل فرد تقدير هذه المسافة .

وبعد ذلك ناقش أفراد المجموعة تقديراتهم وأتوا إلى إصدار حكم جماعى يعبر عن تقدير الجماعة ككل .

وفى الجزء الثانى من التجربة ظهرت نقط من الضوء تبعد كل منها ١٢ بوصة عن النقط الأخرى ظهرت أمام أفراد المجموعة دون الشخص القائد ومساعده والشخص عديم المكانة الاجتماعية . هؤلاء الثلاثة عرض عليهم نقط من الضوء

---

(١) لمعرفة المنهج السوسيومترى راجع باب أسس العلاقات الاجتماعية بكتاب المؤلف علم النفس فى الحياة المعاصرة دار المعارف .

تبعد عن بعضها بمسافات مختلفة هى ٤٨ بوصة ثم كررت التجربة ، بمعنى قيام كل فرد من أفراد الجماعة بعمل تقدير للمسافة بمفرده ثم ناقشت الجماعة أحـــكامها وأصدرت حكما جماعيا بالمسافة وبعد ذلك طلب منهم القيام بتقدير المسافة تقديرا فرديا مرة أخرى .

والجدول الآتى يلخص نتائج هذه التجربة موضحا تقديرات ثلاثة أشخاص هم القائد صاحب أعلى مكانة اجتماعية والثانى فى مرتبة القيادة ثم صاحب أقل مكانة اجتماعية وذلك قبل التأثير برأى الأغلبية وفى أثناء هذا التأثير وبعده والفرق بين هذه التقديرات [1] .

الفرد	(١) قبل التأثير	(٢) أثناء التأثير	(٣) بعد التأثير	الفرق بين ١ — ٣	الفرق بين ٢ — ٣
القائد	٤٧ر٧٠	٣٢ر٠٨	٤٠ر٥٣	١٥ر٦٢	٨ر٤٥
الثانى فى القيادة	٥٦ر٦٧	١٧ر٥٢	٢٤ر٨٦	٣٩-١٥	٧ر٣٤
الأخير فى المكانة الاجتماعية	٤٦ر٨٧	٢٧ر٢٠	٣٦ر٨٨	١٩ر٦٨	٩ر٦٨

وتوضح هذه الدرجات تقديرات الأفراد قبل المناقشة الجماعية وأثنـــاء وبعد المناقشة ، وواضح أن الشخص الثانى فى القيادة كان أكثرهم تأثرا بالجماعة وخضوعا لها ، ويتضح من هذه الدرجات أيضا أن التقديرات قد تحركت نحو تقدير الجماعة أو نحو الاتفاق . وتدلنا هذه التجربة على أن درجة امتثال الفـرد تتوقف على مكانته الاجتماعية بالنسبة للشخص العادى أما القـــائد والأخير فلم

---

(1) cited in, Lewis, D.J., Scientific principles of psychology.

يمكن الفرق الذى يرجع إلى تأثير الجماعة فى تقديراتهما ذو دلالة إحصائية .

وهناك دراسات أخرى أكثر وضوحا تدلنا على أنه كلما زادت رغبة الفرد فى الانتماء إلى الجماعة كلما زادت قابليته للامتثال لمعايير الجماعة ومثلها .

The more a person wants to belong to a group, as indicated by a paper - and - pencil test, the more he will conform to the standards of that group. (١)

فالفرد عندما يرغب رغبة شديدة فى الانضمام إلى أحد الأندية أو الجمعيات أو المنظمات فانه يقبل مبادئها ومعاييرها وقيمها ويمتثل لها .

من مظاهر دينامية الجماعة سهولة الاتصال بين أفرادها ، وهناك كثير من الدراسات التى تناولت موضوع الاتصال Cemmunication بين الجماعات الصغيرة وصلته بالعلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد .

من بين هذه الدراسات دراسة ليفيت Leavitt التى تناولت التفاعل الاجتماعى ، ونمط العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد الجماعات الصغيرة ولقد قسم ليفيت أفراد العينة إلى مجموعات قوام كل منها خمسة أفراد . جلس أفراد كل مجموعة على مائدة مستديرة وكان بينهم حاجز أو فاصل يمنع رؤية كل منهم الآخر ولكن كان هناك فتحات فى كل حاجز يسمح للأفراد للاتصال بعضهم البعض عن طريق كتابة ما يريدون على كروت خاصة ودفع هذه

---

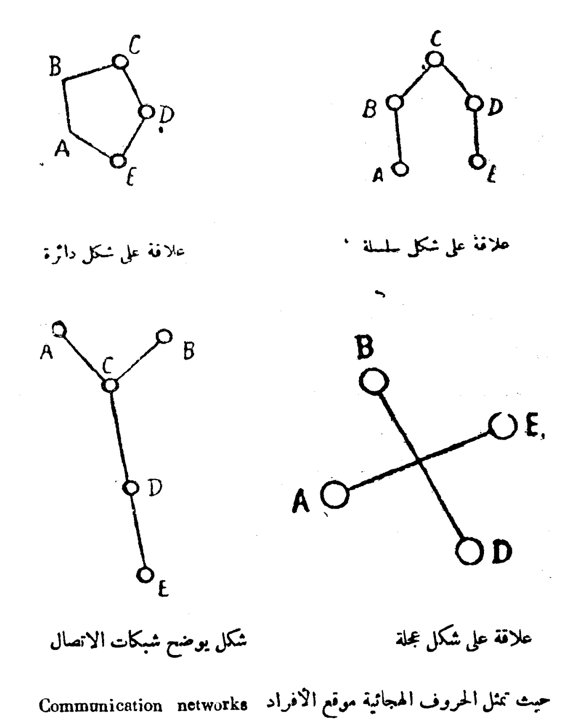
(1) Lewis, D.J., Scientific principles of psychology.

الكروت حيث يستطيع أن يسلم ويتسلم الرسائل من الفرد الذى يتصل به بخط ولكنه لا يستطيع الإتصال بأى شخص آخر .

ولقد حسب الزمن الذى استغرقه الفرد فى حل المشكلة أى فى الوصول إلى معرفة الرموز الشائعة ، وكذلك حسب عدد الرسائل التى تبادلها أعضاء الجماعة حتى تمكنوا من التعرف على الرمز ... ولقد أوضحت هذه التجربة أن العلاقة التى تتخذ شكل عجلة wheel هى أكثر الشبكات الاجتماعية قدرة وكفاءة فى حل هذه المشكلة ويليها فى الكفاءة العلاقة التى تتخذ شكل حرف Y ثم يليها علاقة السلسلة whain وأخيراً العلاقة التى تتخذ شكل دائرة circle .

للزملاء من خلال هذه الفتحات . وكان كل فرد يعطى كرت عليه ٥ رموز Symtols على شرط أن يظهر أحد هذه الرموز فقـــط فى الكرت الآخر الذى أعطى للمفحوص الثانى . وكان على المفحوصين أن يكتشفوا الرموز العـــامة أو الشائعة أى التى توجد عند كل منهم . وكانت التجربة تنتهى عندما يصل أفراد المجموعة الخمسة إلى اكتشاف الرمز ثم تبدأ محاولة أخرى وهكذا .

وكانت الفتحات الموجودة فى الحاجز مختلفة فى كل مجموعة وكان الأفراد يجلسون بطريقة خاصة وكان يسمح للفرد بالاتصال فقط بالفرد المجاور له والمتصل به . والشكل يوضح مواقع الأفراد الذين يمثلهم حروف هجائية .



علاقة على شكل دائرة
علاقة على شكل سلسلة
شكل يوضح شبكات الاتصال
علاقة على شكل عجلة

حيث تمثل الحروف الهجائية موقع الأفراد Communication networks

والجدول الآتى يوضح متوسط عدد الرسائل التى أرسلها كل فرد من أفراد الجماعات المختلفة فى كل الأشكال الإجتماعية :

الجماعة	الأفــراد				
	A	B	C	D	E
دائرة	٧٨ر٤	٩٠ر٠	٨٣ر٦	٨٦ر٢	٨١ر٠
سلسلة	٢٤ر٨	٧٠ر٨	٨٢ر٤	٧١ر٨	٢٧ر٦
حرف Y	٢٨ر٠	٢٣ر٨	٨٩ر٨	٦٣ر٨	٢٥ر٦
عجلة	٢٩ر٤	٢٦ر٢	١٠٢ر٨	٢٦ر٦	٣٠ر٢

فنمط الإتصال أو نوعه يؤثر فى آداء الجماعة .

ويلاحظ أن الفرد C فى نمط أو نموذج العجلة يحتل مكانا دائريا أو مركزيا حيث تمر خلاله جميع الوسائل فهو حلقة الإتصال بين بقية أفــراد الجماعة (E — D — B — A) . وكان يتخذ القرار الأخير حول التعرف على الرمز الشائع وكان عليه أن يخبر زملائه بهذا القرار . وبالمثل كان للشخص C فى النمط الذى يتخذ شكل حرف Y كان يحتل مكانه مركزية أكثر من بقيـة الأعضاء فكان يقوم بمعظم القرارات بالنسبة لهم .

وفى شكل السلسلة نلاحـظ أن الأشخاص B . C . D يحتلون مـكانة متساوية بالنسبة لمركز الجماعة بينما كان A . E يحتلان مكانة بعيـدة نسبيا عن مركز الجماعة وقاما بجهد أقل فى تبادل الرسائل وإتخاذ القرارات . وفى عـلاقة الدائرة كان جميع الأشخاص فى مكانة متساوية بالنسبة لمركز الجماعة ولم يكن

لاحد من الأعضاء ميزة عن غيره . ونلاحظ أن أعضاء جماعة الدائرة قد تبادلوا عددا من الرسائل أكبر من جميع الجماعات الأخرى . مما يدل على صعوبة حل المشكلة بالنسبة لهم .

وبعد إتمام التجربة سأل الباحث أفراد العينة عن مدى شعورهم بالرضا عن العمل الذى قاموا به وعن المواقع التى كانوا يحتلونها ، ولقد تبين أن الجماعات المنظمة تنظيما دقيقا والتى مكنها هذا التنظيم بالآداء المطلوب منها بكفاءة عالية لا يشعرون جميعهم بالرضاء والسعادة عن عملهم وإنما كان يشعر فقط بالرضاء والسعادة قائدهم وهو الشخص الذى كان يحتل مكانة مركزية فى علاقة العجلة ومعنى ذلك أن القادة هم الذين يشعرون بالرضا عن مواقعهم بينما لا يشعر الاتباع بهذا الشعور .

مثل هذه التجربة تؤكد أن مكانة الفرد فى الجماعة تؤثر على سلوكه وعلى شعوره العام بالرضاء . كذلك تدل هذه التجارب على أن قدرة الفرد على ضبط جماعته والتحكم فيه تعتمد على المكانة التى يحتلها فى بناء هذه الجماعة .

من العوامل تتأثر بدينامية الجماعة ظاهرة القيادة Leadership ، والمعروف أن هناك نظريات متعددة تفسر ظاهرة القيـــادة منها نظرية الرجل العظيم Great man theory وتعتبر هذه النظرية أن القائد شخصية بارزة وعظيمه وقوية powerfui يستطيع أن يطوى غيره من الاشخاص تحت إدارته وهو الذى يستطيع أن يصنع الظروف المحيطة به ويشكلها كما يشاء ويتحكم فى مصير أمته ويستطيع أيضا أن يتحكم فى القوى الإجتماعية . فالأحداث لا تقع بالصدفة وإنما هو الذى يصنعها . وتبعا لهذه التجربة فإن القائد يعد فـوق الظروف وفوق البيئـة التى ينشأ فيهـا .

هذاهو تفسير نظرية الرجل العظيم ، أما النظرية الموقفية Situaticnal theory فترى أن القائد مثله مثل أى فرد آخر من أفـــراد الجماعة ، وليد الظروف الإجتماعية المحيطة به ويتأثر بهذه الظروف كما يتأثر غيره من الأفراد . فالظروف هى التى تحكم سلوكه وتضبطه ، فالظروف والأحداث هى التى تصنع القائد وتشكله وتحدد نوع قيادته . بل إنه لا يصبح قائدا إلا إذا كانت الظروف أو الوقت ملائما وممهدا لقيادته . فإذا فرض أن ظهر هتلر وتشرشل وروزفلت مثـلا فى زمان غير الزمان الذى ظهروا فيه ما كانوا قادة ... فالجماعة يجب أن تـكون معدة ومهيئة لإستقبال قيادة القائد وفلسفته وآرائه وإصلاحاته .

والواقع أن المفهوم المناسب للقيادة يستمد من إتخاذ موقف وسط بين هاتين النظريتين المتطرفتين . فسلوك القائد ليس بمجرد ترديد لسلوك أفراد الجماعة ، وفى نفس الوقت ليس القائد شخصية قوية يحرك أفراد الجماعة ويشدهم كما يشد صانع مسرح للعرائس هياكله بالحبال فتتحرك كما يريد بلا إرادة أو معارضة أو مقاومة منهم . إن القائد يؤثر فى سلوك الجماعة بحكم قدراته وإرتباطاته ومناطاته ولـكنه يتأثر أيضا بسلوك الجماعة وهو ليس معصوما كما تتصوره نظرية الرجل العظيم .

وهناك بعض الدراسات التى توضح تأثير الاتباع على سلوك القادة منها دراسة قام بها كل من بيبنسكى pepinsky وهمفيـل Hemphill وشيفتز Shevitz [١] حيث تعرض بعض القادة لمواقف يقبلهم فيها الاتباع ومواقف أخرى يرفضونهم ويرفضون قيادتهم وقراراتهم ومناشطهم فى جماعة كانت مكلفة بصنع بعض لعب الأطفال وبيعها . وطبق فى هذه التجربة دراسة سيسومترية لمعرفة مدى حب

Pepineky, P. N. Hemphill, J. K., and ehevitz , R. N- 1958, " Attempts to lead, group qroductivivty, and morale under conditions of acceptance and rejection J. ab. Soc. psy.

الاتباع لقيادتهم ، وكانت هذه النتيجة يحاط القائد بها علما ، فيعرف إذا كانت جماعته تقبله أو ترفضه وكان الباحثون يعطون تعليمات الاتباع بحيث يعبرون عن القبول أو عن الرفض . ولقد تبين أن القيادة كانت أسهل فى حالة قبول الجماعة للقائد ، كذلك كانت الروح المعنوية Morale أكثر إرتفاعا فى حالة القبول ، وكانت الجماعه تقوم بمناشط أكثر عن الجماعات التى رفضت قادتها .

ولقد عرضنا لتجربة كيرت ليفين Lewin التى أجراها على نمط القيادة أو أسلوب القيادة والتبعية Styles of leadership and followship

ولقد قارن بين الأسلوب الديمقراطى والدكتاتورى فى القيادة وكان القادة من الكبار بينما الاتباع مجموعة من الصغار . فى الموقف الدكتاتورى كان القائد يعطى أوامر مشددة للاتباع لما يقومون به من أعمال ، أما فى التنظيم الديمقراطى فكان القائد يناقش معهم خططهم ، وكانوا يعملون جميعا فى الآداء المطلوب . وكانت النتيجة إرتفاع الكفاية الإنتاجية للاطفال فى النظام الديمقراطى من حيث الكيف وإرتفاع الروح المعنوية . ولكن كمية الإنتاج زادت تحت القيادات الدكتاتورية .

لقد اهتم الكتاب عبر العصور التاريخيه المختلفه بظاهرة القيادة وخاصة أولئك الكتاب الذين كانو هم أنفسهم قادة . وفى أخريات أيام القائد غالبا ما يعود — إلى تأمل ذاته محاولا أن يحدد العوامل التى جعلت منه قائدا عظيما . وفى الغالب ما ينتهى القائد إلى وضع قائمة من السمات الشخصية التى يعتقد أنها جعلت منه قائدا أو التى كانت حاسمه فى تشكيل حياته القيادية .

ولكن لسوء الحظ أن هذه القوائم كانت مختلفه من كاتب إلى آخر ، بل إنها فى النهاية لم تزد عن مجرد مجموعه من الكلمات البعيدة عن سلوك القائد الواقعى .

والواقع أن البحوث العملية فى موضوع القيادة تعتبر حديثة نسبيا ولذلك فاننا نجد كثيرا من الاختلاف حول هذا الموضوع أكثر مما نجد من الاتفاق وما زلنا ننتظر أن يمدنا العلم بالنظريات التى تفسر ظاهرة القيادة وتحددها .

وخير وسيلة لإزالة الغموض من ذهن القارىء هو عرض تعريف مبسط لما هو مقصود بالقيادة ، وخير وسيلة لذلك أيضا هى وصف الوظائف التى يقوم بها القائد leadership functions .

وتحدد وظائف القيادة بثلاث وظائف هى (١) تحديد أهداف الجماعة Croup goals وقد تتضمن هذه الوظيفة صياغة أهداف جديدة للجماعة لكى تسعى إلى تحقيقها وقد تكون مجرد توضيح وإبراز للأهداف والآمال الموجودة فعلا فى الجماعة . وقد يحدد القائد الأهداف أولا قبل عرضها على جماعته للمناقشة فى الجيوش تعرف هذه الوظيفة باسم الاستراتيجية العسكريه Strategy هى نوع متخصص من القيادة لا يستطيع أن يقوم به إلا كبار الجنرالات فى الجيش .

وعلى المستوى القومى يهتم القائد بوضع الخطط والسياسة العامة للمجتمع . وقد تؤثر فى هذه الخطط كتابات الكتاب أو الصحفيين أو رجال الفكر والعلم والقلم عامه ومن أمثلة ذلك كارل ماركس Karl Marx وأفلاطون .

(٢) أما الوظيفة الثانية للقائد فهى تحديد كيفية تحقيق هذه الأهداف أو تحديد الوسائل التى تمكن الجماعة من تحقيق أهدافها .

How gosals are to be achievved ومعنى ذلك قيام القائد بدور عملى أكثر مما هو الحال فى الوظيفة الأولى . ففى حالة الجماعة التى تعتزم تنظيم رحلة بحرية مثلا يكلف القائد بعض الأتباع بإعداد القوارب والبعض الآخر بإعداد المؤن والوقود كما يكلف البعض بادارة هذه القوارب والبعض الآخر بالحراسة وهكذا

وفى الجيوش هذه الوظيفة الثانية يقوم بها الضباط الذين يشرفون على الإمدادات وخطوات التنفيذ وكم من المؤن أو الذخيرة أو المهمات munition ينبغى نقلها إلى المواقع الحربية وكم من التعزيزات وقطع الغيار والبدلات . وبطبيعة الحال فإن الشخص الذى يقوم بتحديد الوسائل قد يحدد للجاعة بعض الأهداف الفرعية Sub-gools اللازمة لتحقيق الأهداف الكبرى .

(٣) أما الوظيفة الثالثة فهى ضبط سلوك Control فالقائد هو الذى يكلف غيره من الأفراد للعمل للوصول للأهداف المطلوبة . وهذه الوظيفة الأخيرة هى التى تفكر فيها عندما تتكلم عن موضوع القيادة . فالقائد يدفع الناس ويشجعهم للعمل والأداء والنشاط . وليس من الضرورى أن يقوم القائد بوظيفة ضبط سلوك الجاعة وتوجيههم بطريقة مباشرة بمعنى أن يتصل هو مباشرة بكل فرد من الأفراد ولكنه قد يقوم بهذا العمل بطريق غير مباشر عن طريق ما يصدره من تعليمات أو يضع من أهداف أو عن طريق غيره من القادة الذين يلونه فى الرتبة.

وقد يستخدم القائد فى سعيه لضبط سلوك الجاعة المكافآت والعقاب Rewards and punishments ويمكن تمييز طريقتين لضبط سلوك الجاعة ومواقفها :

(أ) الطريقة الرسمية Formal control .

(ب) الطريقه الفجائية الطارئة Emerg ent

الضبط الرسمى يوجد فى الجاعات المنتظمة تنظيما دقيقا والمكونة تكوينا مستمرا وكذلك الجاعات التى بسطت فيها قواعد للضبط والربط والنظام . ومن أمثلة هذه الجاعات الجيش الذى يعد حدة رسمية منظمة . فقواعد الجيش توضح

المكافآت التى تمنح للسلوك الممتاز البارز وتحدد أنواع العقاب التى تفرض على إنتهاك القواعد المعمول بها كما أنها تحدد الشخص المسئول الذى يقوم بفرض هذه العقوبات وبطبيعة الحال فى مثل هذه المنظمات لا يحدد الشخص المسئول بالأسم وإنما تبعا للوظيفة التى يشغلها كالعقيد والعميد والرائد أو اللواء فإى شخص يشغل أى من الوظائف الإدارية أو القيادية أو الإشرافية يخول إليه سلطات فرض العقوبات ومنح المكافآت بصرف النظر عن كفاءته الحقيقية فى القيادة .

أما الضبط الفجائى فغالبا ما يظهر فى الجماعات أو المنظمات غير الرسميه Informal organizations . مثل الجماعات الصغيرة التى يلتقى أفرادها لفترة قصيرة لحل مشكلة طارئة أو راهنة أو مشكلة وقتية مثل قيام مجموعة من الطلبة الأصدقاء بعمل حفل ما . فى الجماعات غير الرسمية لا يوجد رتب ثابتة للوظائف وذلك على الرغم من أن القائد قد يمارس الضبط والربط كما يمارسه قائد الجماعة الرسمية ، وعلى الرغم من أن القائد فى الجماعة غير الرسمية لم يعين رسميا قائدا ولم ينتخب أو يختار بأى وسيلة من الوسائل الرسمية إن ضبطه يظهر ببطء نتيجة لنشاطه وحيويته الشخصية .

وقد لا يظهر العقاب أو الثواب إلا فى أمور بسيطة كأن يمتدح القائد أو يثنى على فرد ما ويؤيده وقد يعبر عن رأى غير موال لشخص ما ، وهو بذلك يمارس نوعا من الثواب والعقاب لأفراد الجماعه .

والمعروف أن الحدود ليست واضحه أو حاسمه بين الجماعات الرسميه وغير الرسميه هناك نوع من التداخل بينهما . وتوضيح الدراسات السيسيومترية اتفاق ميول الأفراد فى بعض الحالات مع التنظيم الرسمى أو اختيار القائد الرسمى اختيارا حرا من قبل الاتباع .

صفات القائد الخاصة :

فى الغالب ما يمتاز القائد بالمعرفة النادرة أو القدرات البارزة exceptional knowledge or ontstanding abilities حتى فى المنظمات الرسمية حيث قد تؤثر المحاباة أو التحيز فى اختيار القائد أو الرئيس ، وقد يحتل بعض الناس المتوسطين المراكز الرأسية فى قمة التنظيم . ولكن فى الأعم الأغلب أن الشخص يعين رئيسا على أساس من وجود القدرات الخاصة أو المواهب Talents التى أظهرها . وإنما هذه الحقيقة لا تعنى أن هناك سمات محددة للقيادة ، أجريت دراسات متعددة استهدفت عزل هذه السمات ولكنها باءت بالفشل . لن القيادة ، فيما يبدو ، لا يعتمد على بعض الصفات النوعية المحددة ، ولكنها أكثر ارتباطا بموقف معين Situation فالقائد السياسى العظيم قد يكون قائدا عسكريا فاشلا ولكن القيادة قد تكون عامة فى الموقف المتشابهة ، فالقائد العسكرى يصبح قائدا ناجحا فى إدارة الأعمال على شرط أن تكون منظمه على غراو التنظيم العسكرى ولكن فى المنظمات الطليقه قد يجد صعوبات فى القيادة .

والواقع أن سمات القائد الناجح تختلف باختلاف الميدان الذى يعمل فيه ، فالقائد فى الميدان التربوى لا بد أنه يمتلك مجموعه من السمات تختلف عن تلك المجموعه التى يمتلكها القائد فى الميدان السياسى ، كذلك فإن القيادة فى المجالات الإجتماعيه تختلف عن سمات القيادة فى المجالات العلميه أو العسكرية ، وإن كان هذا لا يمنع من أن هناك قلة نادرة من الأشخاص الذين يتولون القيادة أينما

وضعوا لأنهم مرهوبين ومع ذلك فهم يتأثرون أيضا بالبيئه التى يظهرون فيها .
وعلى الرغم من التحفظات التى ينبغى أن نتخذها فى مسألة الصفات , إلا أن

هناك بعض الصفات التي يشترك فيها القـــادة وإن كان من غير الضروري أن يمتلكها كل قائد . من هذه الصفات الثقة بالنفس Self-confidence .

ولقد وجد في إحدى الدراسات وجد معامل إرتباط قدره ٦٠ر بين الشعور بالثقة بالنفس كما قدرت عن طريق المقابلة وبين إختيار أحد المجالس للقادة .

وهناك دراسة أخرى أسفرت عن وجود معامل إرتباط قـدره ٥٩ر بين الثقة بالنفس المـكانة القيادية للشخص .

من السمات التي وجد أنها متصلة بالقيادة سمة الشعبية أو النزعة الإجـتماعية Sociability . إن النزعة الإجتماعية ذات أهمية في قيادة الجماعات الصغيرة حيث يسود علاقة الوجه - للوجه - بين أفراد الجماعة ويحدث تفاعل مباشر بين الأفراد face-To-face interaction . أما المجالات الفنية أو العقليـة فانه يبدو أن هذه السمة ليست أساسية في ظهور القائد .

الذكاء أيضا من السمات التي ترتبط لدرجة كبيرة بالقيادة . فعلى العموم يعتبر القائد أعلى ذكاء من الاتباع ، وخاصة أولئك القواد الذين يتولون صيـــاغة وتـكوين آراء الجماعة . ولـكن القـــائد الـكفء لا ينبغي أن يتفوق بكثير عن زملائه في الذكاء . وذلك حتى لا يشعر الأتباع بهوة واسعة بينهـم وبين القائد وحتى لا يشعر هو بتخلفهم الشديد عنه . وهناك بعض الـكتاب الذين يرون أن الفرق بين القائد والأتباع في الذكاء لا ينبغي أن يزيد عن ٣٠ نقطة I Q . فاذا زاد الفرق في الذكاء بين القائد والأتباع عن هذا الحد فان هـذا الفرق سـوف يظهر أيضا في الإتجاهات والأهداف والميول وسوف يصبح من المتعـذر على القائد والاتباع أن يفهم كل منهما الآخر . وليس من الضروري أن يـكون

جميع القادة من مرتفعى الذكاء لأن المسألة تتوقف بدورها على مستوى ذكاء الأتباع أنفسهم.

وهذا مثال آخر على أن القيادة ليس لها سمات نوعية محددة . إن الموقف هو الذى يحدد السمات المطلوبة فى القائد .

وهناك بعض الدراسات التى أوضحت أن معرفة القائد بمجال تخصصه تعتبر من العوامل الهامة فى نجاح قيادته . فلقد قام همفيل Hemphill بدراسة قسم فيها أفراد العينه إلى ٢٤ مجموعة قوام كل ثلاثة أفراد ووضع فى كل مجموعة من هذه المجموعات الصغيرة شخصا خبيرا فى النشاط الذى ستقوم به الجماعة ، وكان هذا النشاط عبارة عن حل مسائل إحصائية والكترونية ، وكان الأعضاء الباقون من غير المتخصصين . ماذا تتوقع من نتيجة هذه التجربة ؟ لقد أصبح على الفور هؤلاء الخبراء أو المتخصصون Experts or Specialists أصبحوا قادة لجماعاتهم . ولقد اكتسبوا منزلة القيادة بسبب ما يتمتعون به من الخبرة والدراية والمعرفة بمجال نشاط الجماعة ولقد إختفت مظاهر قيادتهم وسلطتهم هذه عندما كلفت الجماعات القيام بنشاط أخرى بعيد عن مجال تخصصهم .

إن القائد يظل متمتعا بسلطته القيادية طالما كان ناجحا أما عندما يصيبه الفشل فإن قيادته تختفى .

هل يستطيع الأتباع أن يتنبئوا بالشخص الذى سوف يتبوأ منزلة القيادة بينهم ؟ إن الأشخاص الأتباع يستطيعون بعد أن يكتسبوا معرفة الشخصيات بعضهم البعض ، يستطيعون أن يتوقعوا أو يتنبوا بالشخص الذى سوف يبرز ويتزعم القيادة فلاعب الكرة الذى تلاحظ عليه الكفاءة والمهارة والخبرة والروح الرياضية والإلمام بقواعد اللعبه ، والذى يمتلك القدرات الطبيعيه اللازمه

لمارسة رياضة كرة القدم نستطيع أن نتنبأ بأنه سوف يصبح بسهولة قائدا فى هذا المجال ، ولكن إذا تغير النشاط الذى تقوم به الجماعة وليكن القيام برحلة إلى الصحراء وإذا حدث وقام نفس هذا اللاعب الممتاز بقيـــادة الجماعة وتنظيم الرحلة ، وإذا حدث وقام نفس هذا اللاعب الممتاز بتنظيم الرحلة ، وكان تنظيمه رديئا بحيث تعطلت بهم وسيلة المواصلات ، وكان الطعام قليلا ورديئا وكانت وسائل الترفيه منعدمة ووسائل الراحة قليلة فإن خبرة الجماعه هذه سوف تجعلها تتردد فى قبول قيادته فى المواقف المقبلة ، وإذا تكرر مثل هذا الفشل فإن الجماعه سوف تأتى إلى النقطة التى ترفض فيها قيادته كلية . وإن كان هذا لا يمنع من من إستمرار ولاء الجماعة لقيادته فى مجال كرة القدم . ومعنى هذا أن الجماعة استطاعت أن تميز المجالات التى تقبل فيها قيادته وتلك التى ترفضها فيها . إن الشخص يصبح قائدا فى موقف معين وليـــس من الضرورى أن يكون قائدا فى مواقف أخرى .

وليس من المستغرب أن نجد أشخاصا من ذوى القدرات المختلفة والشخصيات المتباينه الذين يتولون القيادة فى مجال أحد بعينه ، فنظار المدارس تختلف شخصياتهم إختلافا واسعا ، وكذلك مدير المصانع أو قواد الوحدات العسكرية فنحن نلاحظ ناظر المدرسه صاحب الشخصيه الغليظه الجافه الدكتاتورية وبجواره ناظر ديمقراطى متعاون متفاهم :

ولقد حاول أحد السيكلوجين الأمريكان دراسه شخصيات قادة القوات البحرية الأمريكيه وذلك بغيه تحديد الصفات التى تصنع قائد الفرقه البحرية الناجح .

ولقد تبين له أن قواد الفرق تختلف شخصياتهم ولا يوجد بينهم إلا القليل

من الصفات المشتركة ، فقد وجد أن أحـد القادة الناجحين ينخفض مسـتوى ذكائه انخفاضا شديدا ، وكذلك وجد أن الولاء للجاعـة ليس من الضرورى أن يكون من صفات القائد الناجح فلقد كان أحد القواد يـكره أفراد فرقته . ولـكنه كان يتظاهر بإحترامهم حتى يضمن القيام بمهام الفرقة .

من مظاهر ديناميه الجماعه أيضا الإتصال الجماعى Mass Communication هناك كثير من البحوث الحديثه التى تتناول موضوع الإتصال . ويقصد بالإيصال عامه نقل الآراء أو الأفـكار ، أن التأثير عن غير وسائل النقل المادية .

ومعنى ذلك أننا نستخدم فى الإتصال أو الأعلام الموجات الصوتيه إلى آذان الناس فى عمليه الاتصال هناك مصادر المعلومات وهناك أشخاص تستقبل هـذه المعلومات أو الاشارات أو الرسائل عن طريق الـكلمات أو الرموز أو الحركات نقلها من شخص إلى آخر . ويشترط أن تـكون هذه المعلومات مفهومـه ومميزة لطرفى الإرسال والإستقبال .

ويهمنا فى دراسه موضوع الإتصال أن تحدد أربع عوامل أو عناصر هى :

١ — مصدر المعلومات — The communitcator

٢ — مادة الاتصال أى موضوع الأعلام — The communication

٣ — وسيلة الاتصال — The medium

٤ — المستمعين — The audience

ولعل كارل هو فلاند Carl Hovland عالم النفس الذى اشتغل بإجـــراء التجارب الـكلاسيكية فى الاشتراط Conditioning ، هو أكثر العلماء الذين قاموا بإجراء البحوث والتجارب فى موضوع الاتصال .

ومن تجاربه الاولى فى موضوع الإتصال دراسة تناولت منزلة مصدر الاعلام أو ما يتمتع به من خطورة ومن أعتقاد الناس فى صدقة . ولقد أعتبر المصدر الموثوق به هو أحد علماء الفيزياء ، أما المصدر الذى لا يتمتع بالثقة فكان فى هذه التجربة إحدى الصحف الروسية أما المستمعون فى هذه التجربة فكانوا مجموعتين من الطلاب. ولقد عرض عليهم قصة صحفية واحدة عن إحتمال أختراع غواصة ذرية Atomic submarine . وفى ذلك الوقت الذى أجريت فيه هذه الدراسة (١٩٥١) كان هناك شك فى إمكانية تصميم غواصة ذرية على الأقل بالنسبة لعامة الناس

ولقد إستقبلت إحدى مجموعات الطلاب هذه القصة على أساس أنها صادرة عن عالم الفيزياء الشهير بينما أستقبلتها المجموعة الثانية على أنها صادرة عن تلك الصحف الروسية .

ومعنى ذلك أن هذه القصة بعينها رويت لمجموعة من الطلاب على أنها صادرة عن عالم الفيزياء الذى يتمتع بالسمعة الطيبة بينما رويت للمجموعة الاخرى على أنها صادرة عن مجلة معينة . ولقد كانت النتيجة أن صدق المصدر الاول ٦ر٦٥ ٪ من الطلاب بينما يصدق المصدر الثانى إلا ٩ر٥٤ ٪ من الطلاب مع العلم بأن القصة واحدة بعينها . [الفرق ٥ر٦٥ - ٩ر٥٤ = ٧ر١٠]

ومن الدراسات التى أستهدفت معرفة أثر الشعور بالخوف على وسائل الإتصال تجربة قام بها جانيس Janis وفشباك Feshback (١٩٥٣) فلقد أفترضنا أن الإتصال يصبح أكثر قوة إذا صاحبه شعور الفرد بالخوف . ولذلك قسما عينه البحث إلى ثلاث مجموعات، وكانوا من طلاب المدارس الثانوية الامريكية . ولقد

حضروا محاضرة لمدة ١٥ دقيقة مع عروض سينمائية عن موضوع «صحة الانسان» Dental hygiene ولقد تعرض أفراد المجموعة الاولى لمشاعر الخوف الشديد ، مع تركيز شديد على مشاعر الالم Pain مع عروض سينمائية عن أمراض اللثة وعن نماذج من هذه الامراض ، مع تهديدات شديدة بما يمكن أن يصيب اللثة إذا أهملت .

أما المجموعة الثانية من الطلاب فلم تعط إلا درجة خفيفة من مشاعر الخوف المعقول a moderate fear appeal . أما المجموعة الثالثة فلم تعط إلا الحد الادنى من الخوف وكان هناك مجموعة رابعة لم تعط محاضرات على الإطلاق عن صحة الاسنان

وبعد ذلك سأل الباحث هذه المجموعات ما إذا كانوا يشعرون بالقلق والخوف إزاء صحة أسنانهم .

ولقد أسفر تحليل إجابة الطلاب عن النسب المئوية الآتية :

١ ـ المجموعة الاولى التي تعرضت للخوف الشديد ٧٤٪ شعروا بالقلق .
٢ ـ المجموعة الثانية التي تعرضت لخوف معتدل ٦٠٪ شعروا بالقلق .
٣ ـ المجموعة الثالثة التي تعرضت للحد الادنى من الخوف ٥٠٪ «

وكذلك سأل الباحث أفراد العينة ما إذا كانوا سيتبعون توصيات المحاضر من عدمه فى حياتهم الخاصه ، ووجدت النسب المئوية الآتيه :

١ ـ المجموعه الأولى الخائفه ٨٪ .

٢ ـ المجموعة الثانية الخائفة خوفا معتدلا ٢٢٪ .

٣ ـ المجموعة الثالثة التى لم تخف ٣٦٪ .

ومعنى هذا أن الخوف ليس دافعا قويا لحصـــول التغير المطلوب فى سلوك الأفراد .

هل ينجح إخصائى الاعلام أكثر إذا طالب جماعته بتغيير جذرى وكبير فى آرائها أكثر من الأخصائى الذى لا يدافع عن تغييرات أساسية فى آراء الجماعه. ولقد درس « هوفلاند » Hov land وبرتزيكر Pritzker (١٩٥٧) هـذه المسألة ولقـد بدآ بقياس آراء الجماعه فى عده موضوعات ، وبعـد ذلك تعرض أفراد الجماعة إلى مستويات مختلفة من مثيرات تغيير الرأى :

١ - تغيير بسيط	Slight change
٢ - تغيير معتدل فى الآراء	A moderate opinion change
٣ - تغيير قوى أو أساسى	Marked opinion change

ولقد دار الحديث مع أفراد الجماعات حول موضوعات شيقة مثل :

١ - أيهما أفضل فى إختيار زوجتك : العقل أم الجمال ؟

Brains versus Beauty in the Selection of a wife

٢ - إحتمال نجاح الطب فى الوصول إلى علاج للسرطان فى خلال السنوات الخمس القادمة .

Likelihood of a cancer cure within five years

وبعد ذلك قاس الباحثان اتجاهات أفراد الجماعات ووجدا أن الاتصال الذى استهدف تغييرا أساسيا قويا كان أكثر فاعليه وتأثيرا فى احـداث تغيير حقيق فى الآراء عن الإتصال الذى إستهدف إحداث تغيير معتدل ، وبالتالى هذا النوع الأخير كان أكثر تأثيرا وفاعليه من الإتصـــال الذى استهدف تغييرا بسيطا . ولقد قاس الباحثان أيضا الاتجاه العكسى الذى اتخـذه بعض الأفراد المعارضين .

وكان عدد هؤلاء المخالفين متساويا فى المجموعات الثلاثة .

وهناك تجربة أجريت أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٤) لمعرفة تأثير عرض وجهتى النظر المتعارضتين على الأفراد ومقارنة ذلك بعرض وجهة نظر واحدة . كأن تقدم لأفراد المجموعة محاضرة لتأييد إشتغال المرأة ، ومحاضرة أخرى لتأييد تفرغها للبيت ، أو وجهة النظر المؤيدة لتنظيم النسل ووجهة النظر المعارضة لذلك . ولقد قام بهذه التجربة كل من هوفلاند Hovland ولامسيدان Lumsdaine وشيفيلد Sheffield . ولقد أعطى أفراد المجموعة الأولى محاضرة لمدة ١٥ دقيقة تؤكد أن حرب أمريكا مع اليابان سوف تكون حربا طويلة ، أما أفراد المجموعة التجريبية الثانية فقد أعطيت نفس المحاضرة لنفس المدة وبعدها اعطيت كلمة لمدة ٤ دقائق تمثل وجهة النظر المعارضة ، أى أن الحرب مع اليابان لن تكون حربا طويلة وإنما سوف تنتهى بسرعة .

وكان هؤلاء البحاث قد سألوا أفراد العينة أن يقدروا الزمن الذى سوف تستغرقه الحرب مع اليابان وذلك قبل المحاضرات ، وبعد أن حضروا هذه المحاضرات طلبوا منهم أن يعيدوا تحديد هذه المدة مرة أخرى .

ولقد وجدت النسب الآتية من الأفراد الذين غيروا اتجاهاتهم فى الاتجاه الذى استهدفه اخصائى الإعلام .

الذين سمعوا وجهة نظر واحدة ٣٦ ٪

الذين سمعوا وجهتى النظر ٤٣ ٪

وذلك بالنسبة للأفراد الذين كانوا يعارضون فى الأصل فى موضوع الأعلام أما بالنسبة للأفراد الذين كان لديهم اتجاه موال لفكره الأعلام فقد وجدت النسب الآتية :

الذين سمعوا وجهة نظر واحدة ٥٢ ٪

الذين سمعوا وجهتى النظر ٢٣٪

إن وجهة النظر الأصلية عند الفرد تحدد مدى تأثير وسائل الأعـــلام على اتجاهاته . ولقد وجدوا أن الأفراد الأكثر تعليما تأثروا أكثر من غيرهم عندما عرض عليهم وجهتى النظر .

والآن نتساءل ما هو أثر الثقافة فى ديناميكية الجماعة ؟ ويقصد بالثقـــافة Culture كما يعرفها لويس Lewis بأنها تشير إلى أى سلوك يكتسبه أو يتعلمه أى عضو فى المجتمع من عضو آخر أو أعضاء آخرين .

Any behaviour learned by member of a society from someone else (١) .

أما جيمس درفر James Drever فيعرفها بأنها تنطبق على وجه الخصوص على الجانب العقلى intellectual من الحضارة أو المدنية civilization وتؤكد على الظواهر العقلية من إنجازات المجتمع ، كما تشير إلى درجـــة التقدم العقلى الذى يحرزه الفرد . والاستخدام الفنى لهذا الاصطلاح فى نظر درفر عبارة عن مجموع الفنون والعلوم والعادات الإجتماعية والأهداف التربوية للناس باعتبـــار هذه الأمور كل متكامل .

ويرى إنجلش English أن الثقافة تشير إلى نمط النظم السلوكية أو المادية والتى تسبب شعور الجماعة بالرضا والسعادة والإشباع أكثر من مجرد الاعتماد على الطبيعة وحدها . وهى بذلك تتضمن المنظمات الإجتماعية أو المؤسسات الإجتماعية

---

(1) Lewis, D. J. Scientific Principles of psychology

Social institutions والمعارف والمعتقدات Beliefs والفنون والآداب والأخلاقيات والعادات والقدرات والعادات الأخرى التى يكتسبها الفرد باعتباره عضوا فى مجتمع . ومن المعانى التى يوردها انجلش أيضا أنها تشير إلى تنمية الجوانب العقلية والجمالية فى الحياة esthetic كعمل متميز عن مجرد الحياة العملية الصرفة ، ومعنى ذلك تنمية الذوق السليم فى الأفراد وفى سلوكهم الشخصى ، ومعرفة التراث العقلى للجنس الانسانى ، وتذوق الفنون واستحسانها وكذلك الآداب ، والاحساس بالجمال Beauty فى الطبيعة ، ووجود فلسفة للحياة دائمة ومستمرة وثابتة ثباتا نسبيا .

a reasonably consistent personnal philosophy of life (١)

لقد ساهم علماء الانثربولوجيا فى إثراء مفهوم الثقافه وتنميته . ولقد ظلوا يدرسون سلوك أنواع متعددة من المجتمعات فى أماكن متعددة فى العالم تضمنت شعوبا بدائية وسكان المناطق المتجمدة والبلاد الأفريقية والعمال فى أمريكا وغير ذلك . كل هؤلاء الشعوب لها ثقافات .

ويختلف المعنى الذى يقصده الانثربولوجى من اصطلاح الثقافة عما يقصده غيره من الناس فالثقافة بالنسبة لعالم الأنثربولوجيا عبارة عن حشد منظم من الاستجابات المتعلمة التى تميز شعبا معينا من الشعوب . وبعبارة أخرى تتضمن الثقافة النمط الكلى للسلوك المتعلم الذى يشترك فيه كافة الناس والذى تناقله أفراد مجتمع معين عبر الأجيال . فالثقافة عبارة عن السلوك الذى يتعلمه الفرد من غيره من أفراد المجتمع فيتعلم الفرد الطرق التى يصنع بها غيره الآلات والمعدات وطرق استخدامها أو استعمالها ، كما يتعلم دينهم وطقوسهم وحفلاتهم ، وطرق

(١) المرجع السابق English and English

استجاباتهم إزاء رجال السلطة وطرق بناء منازلهم واستعمالها ، ومعنى ذلك كل أنماط السلوك التى يتعلمونها من الآخرين والتى يورثونها لأبنائهم .

لقد جمع علماء الانثربولوجيا حشدا كبيرا من المعلومات عن كثير من الثقافات النوعية وعن الثقافة الإنسانية عامة ، وكثير من هذه المعلومات له فائدة كبرى لكل مهتم بفهم السلوك الإجتماعى للإنسان ففى كثير من الأحيان نصبح أكثر إستبصارا وفهما لسلوكنا نتيجة لدراستنا لسلوك الآخرين ولأنماط حياتهم وطرق عملهم وذلك فى المجتمعات الأخرى .

وتدلنا دراسة الثقافة على أن هناك كثيرا من أوجه التغير الثقافى أى من العناصر الثقافية التى تختلف من مجتمع إلى آخر . فالمعروف أن سلوك الأفراد يختلف إختلافا بينا من مجتمع إلى آخر ويقصد بالتغير الثقافى Cultural variability . أنماط السلوك المختلفة التى يشترك فيها أفراد مجتمع معين تختلف إختلافا بينا من مجتمع إلى آخر . فما تنال عليه الثواب والمكافأة فى مجتمع ما قد تنال عليه الجزاء والعقاب فى مجتمع آخر . ففى معظم المجتمعات مثلا تقضى التقاليد الإجتماعية عليك بأن ترتدى بالضرورة على القليل بعض الملابس بينما فى مجتمعات أخرى تقضى اللياقة والذوق الإجتماعى أن تكون عاريا وبعض المجتمعات تشجع ضرورة الإحتفاظ بالعفة والطهارة للفتاة قبل الزواج بينما يعد هذا الشرط فى مجتمعات أخرى مثارا للسخرية ، وفى مجتمعات أخرى تطلق الحرية الجنسية للفتاة دون قيد ولا شرط حتى تلد طفلها الأول وحينئذ يتعين عليها ضبط النشاط الجنسى ، وفى أنواع أخرى من المجتمعات يستحيل على الفتاة أن تحصل على زوج قبل أن تبرهن بالدليل العملى قدرتها على الخصوبة والأنجاب الفعلى ومعنى ذلك أنها لا تحصل على الزوج إلا بعد أن تحمل وبعد ذلك تصبح وفية ومخلصة لزوجها .

إن ما يعتبر صوابا وما يعتبر خطأ , وما يعتبر خلقيا ولا خلقيـــا يختلف إختلافا واسعا من جماعة إلى أخرى ، فى بعض الأحيان نسمع إن المنافسة جزء من الطبيعة البشرية Cempetitiveness is part of human nature إذا صح ذلك لاستحال تحويل الناس إلى الفضيلة والإيثار عن طريق التعليم . إنما الواقع أن هناك بعض المجتمعات التى لا تقبل المنافسة . ففى أحـــد مجتمعات الهنود (زونى) zuni لا يمكن إثارة أحد أعضاء المجتمع لكي ينافس غيره من أفراد هذا المجتمع .

واذا حاول أحد أعضاء هذا المجتمع أن ينافس زميلة أو جاره فإن المجتمع سوف ينبذه أو يطرده من القبيلة tribe . ونظرا لأن هذا المجتمع مجبول على عدم المنافسة ، فإن تلاميذ المدارس فيه يرفضون آداء الامتحانات حتى لاينافس بعضهم بعضا ، وإذا دخلوا الإمتحان فإنهم لا يأخذونه مأخذا جديا . لا توجد عندهم رغبة فى أن يبذل كل منهم قصارى جهده ، إنها فكرة غريبة عليهم . إن كل منهم يرغب فقط فى أن يعمل كما يعمل غيره من الناس . وفى أوساط طلابنا فى مجتمعنا يمثل الطالب الذى يقنع ويرضى بتقدير « مقبول » هذا المجتمع .

هذه أمثلة لتغير المظاهر الثقافية واختلافها من مجتمع إلى آخر ، ونستطيع أن نستمر فى سرد هذه الأمثلة إلى ما لا نهاية ، ونترك المجـال للقـارىء لكى يقارن بنفسه بين مظاهر الثقافة العربية المحلية والقوميـة وبين مظـاهر الثقافات الأوربية الأخرى مثلا .

إن تغيير الثقافة حقيقة واضحة لا جدال فيها ، ولكن المهم هو لماذا يحدث هذا التغيير ؟

إن السبب فى حصول هذا الاختلاف يكمن فى مبادىء التعلم ، وعلى وجه

الخصوص مبدأ التعزيز أو المكافأة Reinforcement . المعروف أن الانسان يتعلم الاستجابات التى ينال من جرائها الثواب والجزاء والمكافأة ، والتى يشعر بعدها بالرضا والإرتياح والسعادة ، فالسلوك الذى يكافأ عليه الفرد هو الذى يثبت فى خبرته وهو الذى يتعلمه الفرد ، فالتعزيز يؤدى إلى تغيير السلوك . فاذا فرضنا أن الآباء أخذوا فى تشجيع أبنائهم على أن يأكلوا باستخدام أصابعهم ، اذا فعل هذا كل الآباء فإن المجتمع بأسره سوف يأتى إلى الوقت الذى يأكل أفراده باصابعهم . وإذا استهجن الآباء الشخص الذى يقطع اللحوم باستخدام « السكين » فإن المجتمع سوف يأتى إلى النقطة التى يستهجن فيها هــذا العمل ويعتبره عملا منافيا للذوق السليم والخلق الرفيع .

إن التغير الثقافى يقودنا إلى الإيمان بأنه لايوجد صواب أو خطأ بالمعنى المطلق وإنما كل مجتمع يضع طائفة من المعايير والقيم والمثل العليا التى ينبغى على جميع أفراده أن يلتزموا بها ، ويفرض ألوانا من العقاب على كل من ينتهك هذه المعايير

الصراع الثقافى Cultural conflict

فى بعض المواقف يجد الفرد أنه إذا قام بنوع معين من السلوك فإنه ينال العقاب ، وفى بعض المواقف الأخرى اذا قام بنفس السلوك ناله الثواب والجزاء. ومعنى هذا أن مقتضيات الثقافة تحتم على الفرد القيام ببعض مظاهر السلوك أحيانا وفى أحيان أخرى تحرم عليه القيام بهذا العمل فى الحياة اليومية كثير من مظاهر الصراع الثقافى هذا فى المواقف التى تتغير فيها « قواعد » الســـلوك Rules . فالطفل الصغير قد تربى على أن يمسك ملعقته أثناء تناول الطعام كالو كان ممسكا بشدة بدرع بكل يده وتسعد الأسرة فى أول الأمر اذا نجح فى هذه المهمة، ولكن عندما يتقدم به العمر تعاقبه الأسرة اذا أمسك بملعقته بهذه الطريقة إنما

لابد أن يمسك بالطريقة التى تليق بآداب المائدة ، فيتعين على الطفل أن يمسك الملعقة بين إبهامه والسبابة .

إن آباء هذا الطفل قد يتعجلون هذا التغيير المطلوب ويرغبون أن يكون تلقائيا ولذلك يلزم أن ينال الطفل التوجيه والإرشاد فى أصول هـــذه العملية . ويستطيع هذا الطفل أن يتوقع المكافأة والجزاء طالما ظل ملتزما بالقواعـــد الجديدة لآداب المـــائدة Dinner table Rules ولكنه اذا ارتد إلى عاداته القديمة أو اذا رفض الاذعان للتعليمات الجديدة فإنه ينال العقاب .

هذا مثال بسيط للصراع الثقافى ولكن هناك أمثلة معقدة أكثر عمقا وأكثر تعقيدا . ولكن ينبغى أن ندرك أن مفهوم الصراع الثقافى لا يدل مباشرة على شىء موجود وجودا مستقلا بمعنى أن للصراع الثقافى كيانا واقعيا مجسما ومحددا وملموسا ومحسوسا ، وإنما كل ما يوجد حقيقة هو مجموعة من العوامل التى يمكن لنا ملاحظتها وقياسها والتحكم فيها ، هذه هى :

١ — سلوك معين .

٢ — جزاء أو ثواب أو مكافأة عن السلوك .

٣ — عقاب أو لوم أو تأنيب عن نوع من السلوك .

فالسلوك المطلوب إجتماعيا ، أو السلوك المتوقع أى الذى يتوقعه المجتمع من الفرد هو الذى يجلب الثواب ، والسلوك الغير مقبول إجتماعيا هو الذى يجلب العقاب . وإذا استطاع الفرد أن يميز بين هذين النوعين من السلوك فإنه إما أن يأتى بالسلوك أو يكف عنه .

كما يوجد صراع ثقافى ،هناك أيضا صراع فردى، يعانى منه الفرد ،ويتمثل

موقف الصراع فى وجود مثيرين يجذب أحدهما الفرد نحوه ، بينما يبعده الآخر ، كالرغبة فى الهرب من القتال والمحافظة على الحياة والرغبة فى القتال واحراز النصر والبطولة والتمتع بشرف الدفاع عن الوطن [١] .

ومعنى ذلك أن موقف الصراع يثـــير فى الفرد أو يحرك فيـه استجابتين متعارضتين فى نفس الوقت كالرغبة فى السرقة والرغبـــة فى التمتع بالشرف والأمانة .

وبالمثل فان الطفل الذى تعلم كيفية القبض على ملعقته كما يطبق على الدرع لأنه كان يثاب على هذا العمل ووجد هذه الطريقة سهلة فى نقل الطعام من المائدة إلى فمه ، ولـكنه الآن وفجائيـــا ، أصبح مطالب بالقيام بنمط آخر من الإستجابة ، فعليه أن يستعمل ملعقته برشاقة ورقة أكثر عن ذى قبل . فالملعقة هنا مثل المثير Stimulus هذا المثير يحرك فيه نوعين من السلوك : السلوك القديم السهل والسلوك الجديد الصعب . وهنا يبدو الصراع بين القديم والجديد . هذا هو الصراع المعروف فى علم النفس الفردى ،عندما يستخدمه علماء الإنثربولوجيا فإنهم يطلقون عليه اسم الصراع الثقافى .

من أمثلة الصراع الثقافى الواضحة صراع المسئولية Responsibility conflict فى معظم ثقافات العالم وفى ثقافتنا العربية ينظر لمرحلة الطفولة على أنها مرحـلة تحرر وانطلاق carefree ، فالطفولة فترة اللعب والمـــرح ، ولا نتوقـع من الأطفال أن يتحملوا كثيرا من المسئوليات . فقوانين العمل تحمى الأطفال من

---

(١) لمعرفة معنى الصراع وأنواعه راجع كتاب المؤلف « اتجاهات جديدة فى علم النفس الحديث » دار الـكتب الجامعية بالاسكندرية .

العمل وهم فى سن مبكرة حتى لا يستخدموا كسلعة إقتصادية وحتى نحميهم من الاستغلال الاقتصادى economic exploitation وغير ذلك من المآسى كالإصابات أو التشوهات أو الإرهاق الشديد ولذلك يحرم عملهم فى ورديات الليل أو فى الأعمال الشاقة أو الخطيرة .

وفى الأسر المتوسطة يعفى الأطفال من تحمل أى شىء من المسئوليات المنزلية ولكن لابد أن يأتى الوقت لامحالة الذى تتوقع فيه الأسرة والمجتمع أن يتصرف الصغار كما يتصرف الراشدون ، فلا بد أن يشتغلوا فى بعض المهن أو الوظائف ولابد أن يساعدوا ربات البيوت وأخيرا لابد أن ينجبوا هم أنفسهم أطفالا ولم يعد الآباء يتحكموا فى كيفية إنفاق المصروف اليومى وإذا انتقدهم الكبار فإنهم لا يستسلمون بسهولة كما كانوا أطفالا . فالسلطة وهى مثير معين أصبحت تثير نوعين من الإستجابة إستجابة الطاعة وإستجابة العصيان فى نفس الوقت

فى بعض المجتمعات لا يوجد هذا الصراع الثقافى أو عدم الاستمرار هذا ويسمى الإنقطاع الثقافى Discontinuity لأن أنماط السلوك المطلوبة فى الطفولة ينقطع استمرارها ويصبح على الفرد أن يتعلم أنماطا أخرى جديدة. فى مثل هذه المجتمعات يتعلم الأطفال تقريبا منذ الميلاد القيام بالمناشط اليومية المطلوبة من الكبار . فالآباء يصطحبون معهم أبناءهم إلى الحقل أو الغابة والأنهار والبحيرات لكى يتعلموا صيد الأسماك والحيوانات . وبعض الآباء فى هذه المجتمعات يفرضون على الأبناء بعض الواجبات أو التمرينات التى يقوم بها الكبار. فى هذه المجتمعات أيضا لا توجد صراعات حادة فى مرحلة المراهقة لأن المراهق ينتقل فجأة إلى مجتمع الرجال ، حيث يقوم بأعمالهم ويتزوج مثلهم ويشبع الدوافع الجنسية المتدفقة ،

ويستقل إقتصاديا ، ولا يعانى من حالة « البين بين » الموجودة فى المجتمعات المتحضرة حيث يظل المراهق بين الطفولة والرجولة لمدة تصل إلى ٩ سنوات .

والطالب الجامعى عندما يدخل الجامعة ، يعانى كثيرا من الصراعات الثقافية بسبب مرحلة لا المسئولية السابقة التى تعلمها وتعود عليها وألفها يصبح عليه فجأة أن يتحمل مسئوليه نفسه وأن يدير شئون نفسه وعليه أن ينافس غيرة فى الدراسة وأن يصنع لنفسه مكانة اجتماعية وعلمية بين أخوانه الطلاب ، وأن يشبع تطلعات والديه وأصدقائه وجيرانه . والواقع أن تعود الشباب عدم تحمل المسئولية فى المرحلة السابقة تعود راسخ ولذلك يصبح من الصعب عليه إزالته والتخلص منه . فقد تعود أن يعتمد على غيره وأن يطيع تعليمات الأسرة ، وأن يعتمد على مدرسيه ولكن فى الجامعة عليه أن يعتمد على نفسه . ولذلك فليس من المستغرب أن نجد سلوك الشاب الجامعى وقد اختلطت فيه عناصر من سلوك الطفولة وسلوك المراهقة .

وإن المقررات الدراسية الجامعية نفسها قد تسبب وجود نوع من الصراع الثقافى ففى دراسة الاقتصاد مثلا يدرس طلاب الجامعة مشكلات إقتصادية معقدة جدا ويطلب منهم تحليل هذة المشكلات وأن يقترحوا حلولا مناسبة لها . ويواجه الطالب أعمق المشكلات هى نفسها التى تواجه رؤساء المؤسسات الكبرى بل هى نفسها التى تواجه رؤساء الحكومات .

هل ينبغى رفع سعر الودائع فى البنوك ؟ كيف يمكن تمويل مشروعات الكهرباء ؟ كيف يمكن تحقيق التوازن التجارى ؟ وعندما يتخرج الشاب إلى ميدان العمل فانه يواجه تناقضا بين مادرسه فى الجامعة وبين واقع الحياة .

حتى الآن كنا نصف أنماطا من الصراع الثقافى التى تحدث داخل مجتمع

معين ، ولكن هناك صراع ثقافى آخر يحدث بين ثقافات مختلفة . ويواجه الفرد مثل هذا الصراع عندما ينتقل من ثقافة إلى أخرى . فالشخص الذى يهاجر إلى بلد غريب يواجه باتجاهات جديدة ، ولغة جديدة ، وميول وقيم ومثل وأساليب حياة جديدة وعادات وتقاليد ولهجات وكثير من المواقف التى لم يألفها فى مجتمعه الأصلى . ولذلك يتبين له أن طرق السلوك التى اعتادها لم تعد صالحة أو مناسبة لبيئته الجديدة .

وقد يقابل الناس هذه الحالة بنوع من التسامح وسعة الأفق أو الصبر أو نوع من الضيق أو التسلية . وكثير من المهاجرين يحمون أنفسهم من هذه الصراعات عن طريق الاحتجاب عن الظهور فى البيئة الجديدة وعدم الاحتكاك أو الانخراط فيها . وعلى ذلك تجدهم يهرعون إلى المناطق التى يوجد فيها مهاجرون غرباء مثلهم . وعلى ذلك يظلون يقرأون ويكتبون بنفس لغتهم السابقة ، ويقرأون صحف بلدهم الأصلى ، ويعدون طعامهم بنفس الطريقة القديمة كما يرتدون نفس الملابس السابقة . هذه الظاهرة تلاحظ بوضوح شديد على الهنود الذين يهاجرون إلى الدول الأوربية حيث يتجمعون فى أحياء معظمها من الهنود ، ويأكلون نفس الأطعمة الهندية ويلبسون نفس الملابس الهندية التقليدية . ولذلك يتحاشون الشعور بالصراع الثقافى لأنهم لا يتعرضون للمواقف التى يوجد فيها مثير واحد يثير نوعين مختلفين من الاستجابة أو السلوك .

هذا بالنسبة للمهاجرين أنفسهم ، ولكن الأمر يختلف بالنسبة لأبنائهم أبناء الجيل الثانى من المهاجرين . إنهم يذهبون إلى المدارس الوطنية فى المجتمع الجديد ، ويختلطون بالأطفال الآخرين وينخرطون فى الحياة الجديدة وينغمسون فيها ويتوحدون مع البيئة الجديدة ويتقمصون مبادئها أكثر من آبائهم .

ولكن فى نفس الوقت يقضون ساعات طويلة من يومهم فى وسط الأسرة ويتعلمون الاستجابات الملائمة لهذه البيئة الأسرية . فيتعلمون مثلا أحترام الكبار وطاعة الوالدين ، ولكنهم يجدون الاطفال الآخرين خارج أسرهم لا يحترمون الكبار ولا يطيعون الآباء وفى هذا نوع من الصراع ، ولاشك أن المراهقين أبناء المهاجرين يشعرون بالتناقض والصراع بين البيئة المنزلية والبيئة الخارجية شعورا حادا . وعلى ذلك يجد المراهق أن ما هو مناسب وملائم فى موقف معين غير ملائم فى مكان آخر . فما هو صواب هنا يعد خطأ هناك . ويبدو العالم فى نظر المراهق وكأنه غير مستقر وقد يبدو أن الجزاء والثواب الفاظ لا معنى لها ولذلك يستنتج أنه يمكن أن يفعل ما يشاء . هذا بالنسبة لأبناء الجيل الثانى من المهاجرين أما الأجيال التالية فإنها لا تشعر بهذا الصراع بنفس هذه الحدة (1) لأنها تكون قد تعودت على أنماط السلوك الجديد المطلوب للمجتمع الجديد ونسيت الاستجابات القديمة .

---

(1) Lewis, D. J. Scientific Principles of psychology.

الفصل العشرون

دراسة حقلية لمشكلات طلبة وطالبات جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان

للدكتور عبد الرحمن محمد عيسوى

أهداف الدراسة :

إستهدفت هذه الدراسة التى أجراها الباحث أثنـــاء عمله بتلك الجـامعة ومعايشة المجتمع السودانى ، التعرف على حجم المشكلات التى يعانى منها الطلاب والطالبات ، ونوعية هذه المشكلات بقصد إقتراح الحلول التى تخلص الطلاب منها واقتراح البرامج اللازمة للوقاية من المعاناة من مثل هذه المشكلات فى المستقبل.

وتلقى هذه الدراسة المتواضعة الضوء على مشكلات الشباب السودانى بصفـة عامة وتعد فيما نعلم الأولى من نوعها فى نطاق العينة التى طبقت عليها فى السودان(*).

عينة البحث :

تم إختيار هذه العينة التى طبقت عليها الدراسة من جميع الكليـات الأربـع التى تضمها هذه الجامعة وهى :

كلية الدراسات الإجتماعية .

كلية الدراسات الإسلامية .

كليـــة الآداب .

كلية البنـات .

والباحث يتقدم بمزيد الشكر والتقدير للسيد الأستاذ الدكتور كامل الباقر رئيس جامعة أم درمان على ما تفضل به من عون وتشجيع فى إجراء هذه

---

* أقام البـاحث فى السودان الشقيق وأجرى هذه الدراسة فى الفصل الدراسى الاول من العام الجامعى ٧٨ — ١٩٧٩ .

الدراسة . كما يدين بالشكر العميق للسادة عمداء هذه الكليات الذين أبدوا إستعدادا طيبا لإجراء الدراسة وذللوا كل ما وقف فى سبيلها من عقبات ، ويخص بالشكر الأستاذ الدكتور يوسف العالم والأستاذ الدكتور احمد الأزرق والأستاذ الدكتور حسن الفاتح والأستاذ الدكتور محمد البصير وكذلك الأستاذ الدكتور محمد أبوسم وجميع الإداريين والمعيدين والطلاب والسيد / حسين عبد الله الإخصائى الإجتماعى للجامعة وغيرهم من الذين كان لهم الفضل فى إخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود فى تلك البيئة الخصبة للدراسات النفسية والإجتماعية ، والباحث يدين بالعرفان لما قوبل به البحث من ترحاب وتشجيع من كل العاملين بالجامعة وخاصة الأستاذ مبارك إدريس السكرتير الأكاديمى بالجامعة والأستاذ الدكتور احمد جلى رئيس قسم الدراسات الفلسفية والإجتماعية والسادة مسجلى الكليات وجمهور الطلاب .

ولقد تناولت الدراسة عددا كبيرا من الطلبة والطالبات تم إختيارهم عشوائيا بواقع واحد كل أربعة أسماء من قوائم تسجيل الطلاب بالكليات الاربعة فى جميع أقسام الدراسة بها فى العام الجامعى ٩٧٨ — ١٩٧٩ وبعد فرز الأوراق غير الصالحة تبقى أوراق ٤٣٠ طالبا وطالبة منها ٣٥٨ طالبا ، ٧٢ طالبة ورحب الطلاب بالدراسة وأبدوا تجاوبا طيبا وعبروا عن آرائهم ومشاعرهم بمزيد من الصدق والتلقائية والأمانة ، وهى من السمات الرئيسية التى لمسها الباحث فى الشعب السودانى الشقيق بصورة عامة .

فالشعب السوانى يمتاز بالهدوء والأدب الجم والتعاون الزائد وطيبة القلب وإحترام النظام والقانون وفوق كل ذلك يمتاز بالتواضع الجم والتمسك بآداب الدين .

وطلاب الجامعة بالذات معظمهم وافدون من أقاليم السودان المتأخرة مع

العاصمة الخرطوم وهم فى جملتهم من أبناء المسلمين ومن أبناء الطبقات الاجتماعية الكادحة .

ولذلك تقدم لهم الجامعة هناك المساعدات المالية فى شكل منح شهرية لكل طالب وطالبة يبلغ قدرها خمسة وعشرون جنيها شهريا ، كما توفر لهم الاقامة بمساكنها الخاصة ، وتدبر لهم وسائل الإنتقال على نفقتها . وكذلك تقدم لهم الخدمات الطبيه والصحية والإجتماعية والمكتبية . وتسهم الجامعة إسهاما إيجابيا فى نفقات شراء الكتب والمراجع بأن تتحمل نصف قيمة الكتاب الذى يقتنيه الطالب عن طريق الجامعة ، كما تقدم مذكرات الاستنسل الخاصة بالمحاضرات بلا مقابل . ويتمتع الطلاب بقسط كبير من الحرية ، وتسود روح الديمقراطية فى الإدارة ، وكذلك تسود روح الإخاء والتعاون بين الطلاب فيما بينهم وبين الطلاب والاساتذة . ويشترك الطلاب فى كثير من الأنشطة الثقافية والتربوية والعلمية والرياضية ، كما يقومون بالكثير من الرحلات العلمية والميدانية .

وتستضيف الجامعة كل عام نخبة من كبار الأساتذة والمتخصصين من البلدان وخاصة من جمهورية مصر العربية التى يسهم أساتذتها إسهاما إيجابيا فى آداء رسالة هذه الجامعة ولكن هذه الجامعة فى حاجة إلى المزيد من الإمكانيات المادية والبشرية والإدارية . وتقوم الدراسة فى هذه الجامعة على أساس الفصل بين الجنسين من الطلاب ولا تبيح الإختلاط ، كما تقتضى التعليمات بأن يرتدى الطالبات زيا جامعيا خاصا . وتوفر لهم الجامعة نوعاً من التعليم العلمى والمهنى فى كثير من فروع المعرفة العصرية الحديثة مطبوعا بالطابع الدينى والخلق ، حيث تشبه الدراسة هناك الدراسة فى جامعة الأزهر الشريف ولذلك يدرس الطلاب فى السنوات الدراسية الأولى كثيرا من المواد الدينية كالقرآن والحديث وأصول الفقه . ولا تقتصر الخدمات التعليمية بهذه الجامعة على الطلاب من أبناء

السودان ، وإنما تقبل الجامعة إعدادا من أبناء الأقطار العربية والإسلامية الشقيقة . وتضع الجامعة نظاما دقيقا يربط الطالب بالجامعة وتلزمه بضرورة حضور المحاضرات عن طريق أخذ الغياب وخصم الأيام التى يتغيبها الطالب من قيمة المكافأة أو المنحة التى تمنح له شهريا ، ولذلك يحرص الطلاب على مواظبة الحضور وحسن الإنتظام فى الدراسة .

منهج الدراسة :

إعتمدت هذه الدراسة على تصميم استمارة طلب من كل طالب أن يملأها بعد أن شرح الباحث بنفسه الهدف منها وهو التعرف على ما يعانيه الطلاب من مشكلات ، وأنه ليس لاستجاباتهم أى أثر على نتائج الامتحانات ، وأنها سوف تعامل معاملة سرية تامة ، وذلك لحثهم على توخى الصدق والصراحة ، ومن ذلك عدم كتابة اسم الطالب على الاستمارة حتى يطمئن إلى عدم إمكان التعرف على شخصيته وكانت الاستمارة قدعرضت على خمسة من الأساتذة المشتغلين بالمجال النفسى والإجتماعى للتأكد من صدق محتواها ومن وضوح عباراتها ثم خرجت فى صورتها النهائية بعد إدخال التعديلات التى إقترحها هؤلاء الحكام .
وطبقت تحت التعليمات الموحدة الآتية :

معظم الناس لديهم مشكلات ، والمطلوب منك معرفة المشكلات التى تعانى منها فى الوقت الحاضر . أمامك قائمة من المشكلات والمطلوب منك أن تعطى لنفسك درجة لكل مشكلة حسب شدتها . تبدأ الدرجة من صفر إذا لم توجد المشكلة عندك . أما إذا كانت المشكلة شديدة جداً فاعطها الدرجة عشرة ، واعط درجات أخرى تتراوح ما بين واحد وتسعه حسب شدة كل مشكلة (لكل مايتعلق بالحجم مثلا درجته القصوى عشرة) ، ثم اشرح بأسلوبك وبعباراتك أنت وحسب إحساسك ماهى هذه المشكلة :

المشكلة	الدرجة	المشكلة هى
١ — مشكله جسمية	... ...	... ...
٢ — « نفسيه	... ...	... ...
٣ — « إقتصادية أو مادية	... ...	... ...
٤ — « عائلية أو أسرية	... ...	... ...
٥ — « عقائد دينية أو فكرية	... ...	... ...
٦ — « إسكانية	... ...	... ...
٧ — « مواصلات	... ...	... ...
٨ — « أخلاقيــة	... ...	... ...
٩ — « عاطفية	... ...	... ...
١٠ — « دراسية أو تعليمية	... ..	.. ..

وشرح لهم الباحث شفويا تعريفا مبسطا وموحداً للمقصود بكل نـوع من هذه المشكلات .

وكان القصد من إعطاء قيم رقية لكل مشكلة تتراوح ما بين صفر وعشرة هو إمكان المعالجة الإحصائية لحجم تلك المشكلات وانتشـارها وكثافتهـا وشدتها ومدى ثقلها ، لان مجرد الإنتشار بين عـدد كبير من الطلاب يختلف عن مدى الاحساس بكثافة المشكلة وشدتها . وكذلك لإمكان عقـد المقارنات القائمة على أسس موضوعية واحصائية دقيقة على النحو الذى سيجىء عند عرض النتـائج وتحليلها واستخلاص النتائج من هذه الدراسة .

وتضمنت الاستمارة بيانات عن سن الطـــالب وجنسه ومستواه التعليمى وآخر شهادة حصل عليها ونتيجة آخر إمتحان دخله وذلك لإمكان معرفة العلاقة بين كثافة المشكلات وبين عوامل السن والجنس والفرقة الدراسية والمستوى التحصيلي.

كذلك تضمنت الاستمارة سؤالا آخر لتحديد متوسط عـــدد ساعات الإستذكار اليومية التى يقضيها الطالب فى الإستذكار العلمى الاكاديمى المتعلق بدراسته الجامعية .

ويلاحظ أن هذه الدراسة أجريت فى مستهل العام الجامعى ٧٨-١٩٧٩ وذلك لاختلاف معدلات ساعات الاستذكار فى أول العام الجامعى عنها فى آخره.

وكان الهدف من الحصول على معطيات عن ساعات الاستذكار هو التعرف على مدى جدية الطالب من ناحية ومتوسط الساعات التى يكرسها للاستذكار ومدى اهتمامه بالتحصيل من بداية العام الجامعى أى مدى أتباعه لطريقة التدريب الموزع أو الجهد الموزع وهى من بين شروط التحصيل الجيد هذا من ناحية ومن ناحية أخرى استهدف الحصول على تلك المعطيات معرفة العلاقة بين ساعات الإستذكار ونوع المشكلات وحجمها التى يعانى منها الطالب ومعرفة الهدر أو الوقت الذى يبدده الطالب ولا يستفيد منه فى الاستذكار وفى آخر الاستمارة ورد سؤال مفتوح النهاية طلب من أفراد العينة أن يوضح كل منهم أهم المشكلات عنده وذلك بأسلوبه الحر الطليق وحسب تعبيره وطبقا لاحساسه الذاتى بتلك المشكلة .

وطلب من أفراد العينة إبداء أى ملاحظات أخرى من شأنها التخفيف من وطأة تلك المشكلات أو بيان أسبابها أو الوقاية منها .

وأرسلت الكلية كتابا تطلب الموافقة على إجراء الدراسة فى الكليات الأخرى طالبة تعاون السادة عملائها .

عرض النتـــائج وتحليلها

تم تحليل مفردات الاستمارة وتفريغها لمعرفة عدد تكرارات كل مشكلة ثم نسبتها المئوية بين جموع الطلاب والطالبات ككل ثم بين أفراد كل جنس على حده وثم إيجاد الفرق الجنسى فى هذه المشكلات .

وجدول رقم ١ يوضح هذه التكرارات ونسبها المئوية ويتضح منه أن أكثر ثلاث مشكلات إنتشاراً بين أفراد العينة ككل هى :

١) المشكلة الإقتصادية ٧١٫١٦ ٪

٢) المشكلة الدراسية أو التعليمية ٦٠٫٩٣ ٪

٣) مشكلة المواصلات ٥٤٫٦٥ ٪

وواضح أن أكثر المشكلات إنتشارا هى المشكلة الإقتصادية أو العوز المادى، وذلك على الرغم مما تقدمه تلك الجامعة من مساعدات مالية للطلاب . وتتفق هذه النتيجة مع حقيقة كون هؤلاء الطلاب من أبناء الطبقات السودانية الكادحة الذين تكرس هذه الجامعة جهودها فى خدمتهم بنوع خاص - ويلى هذه المشكلة - فى الإنتشار المشكلة الدراسية أو التعليمية حيث يعانى منها ٦٠٫٩٣ ٪ أى ما يقترب من ثلثى الطلاب ، الأمر الذى يتعين معه ضرورة العمل على علاج مثل هذه المشكلات التعليمية التى قد تتصل بنوع التخصص وميول الطالب أو محتوى المناهج أو طرق التدريس أو ندرة المراجع العلمية وأكبر عامل يبـــدو أنه قد يرجع إلى عدم إتباع الجامعة للأساليب الموضوعية فى إختيار من تقبلهم من من الطلاب وقد يرجع ذلك إلى ضعف مستوى الطلاب الإقتصادى . وقد يرجع

إلى إنخفاض مستوى التعليم فى المراحل السابقة على التعليم الجامعى أو فى ضعف قدرات الطلاب التحصيلية وعدم توفر إستعدادات الدراسية أو كبر حجم المقررات الدراسية أو صعوبة المادة العلمية وما إلى ذلك من الأسباب ... الخ .

المشكلة التى احتلت المكانة الثالثة هى مشكلة المواصلات وذلك على الرغم من قيام الجامعة بتوفير سيارات نقل أتوبيس لنقل الطلاب من وإلى الجامعة إلا أن المسألة يبدو ، فى نظر الطلاب ، أنها فى حاجة إلى مزيد من التنسيق . على كل حال لوحظ ارتفاع أجور سيارات التاكسى فى السودان بصورة مبالغ فيها

وهنا نتساءل ما هى أقل المشكلات إنتشـــارا ؟ لقد كانت أقل المشكلات انتشاراً المشكلة الإخلاقية . أما أصغر ثلاثة مشكلات فكانت :

مشكلة اخلاقية وتوجد بنسبة	٢١ر٨٦ ٪
مشكلة عقائدية أو فكرية وتوجد بنسبة	٢٦ر٠٤ ٪
مشكلة إسكانية وتوجد بنسبة	٤١ر٦٢ ٪

وواضح أن هذه المشكلات ما زالت توجد بنسب كبيرة إلى حد ما إذ تقترب من ربع العينة فى حالة المشكلة الاخلاقية وما يزيد عن ذلك الربع فى حالة المشكلة الفكرية والعقائدية وما يقترب من النصف فى حالة المشكلة الاسكانية (٤١ر٦٢ ٪) . وبقية المشكلات لم تقل نسبة وجود أى منها عن نصف العينة كلها باستثناء المشكلة العائلية التى قرر (٤٢ر٥٥ ٪) من مجموع الطلاب إنهم يعانون منها . ومعنى هذا أن هناك أكثر من نصف الطلاب يعانون من المشكلات الجسمية والنفسية والإقتصادية والمواصلات والعاطفية والدراسية . وهى نسب كبيرة جديرة بتوجيه الإهتمام اليها لتحرير الطلاب من تلك المشكلات .

---

* راجع بحث ميدانى للمؤلف عن أساليب تطوير التعليم الجامعى العربى تحت الطبع - منشأة المعارف بالاسكندرية .

جدول رقم (١)

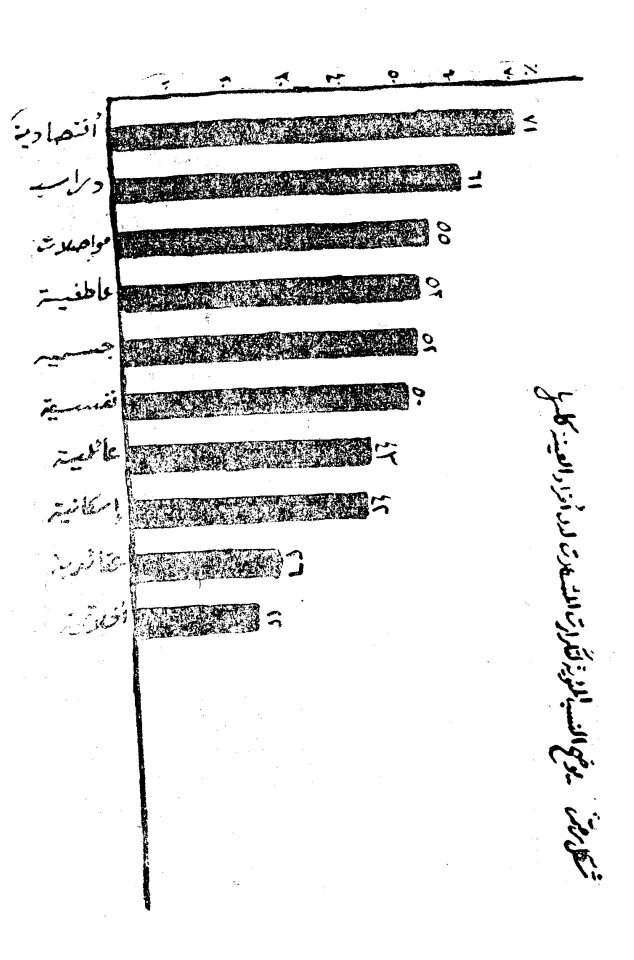
يوضح حجم المشكلات التي يعاني منها أفراد العينة كلها وكل جنس على حده

تكرارات ونسب مئوية ٣٥٨ / ٧٢ } ٤٣٠

المشكلة	العينة كلها ك ٤٣٠	العينة كلها ٪	ذكور ك ٣٥٨	ذكور ٪	أناث ك ٧٢	أناث ٪	الفرق الجنسي ٪	ن - ح
جسمية	٢٢٤	٥٢ر٠٩	١٨٦	٥١ر٩٥	٣٨	٥٢ر٧٧	ر٨٢	ر١٢٧
نفسية	٢١٤	٤٩ر٧٦	١٨٧	٥٢ر٢٣	٢٧	٣٧ر٥٠	١٤ر٧٣	ر٣٣
إقتصادية	٣٠٦	٧١ر١٦	٢٧٠	٧٥ر٤١	٣٦	٥٠	٢٥ر٤١	٤ر٠٣**
عائلية	١٨٣	٤٢ر٥٥	١٦٣	٤٥ر٥٣	٢٠	٢٧ر٧٧	١٧ر٧٦	٣ر٠١**
عقائدية	١١٢	٢٦ر٠٤	١٠٠	٢٧ر٩٣	١٢	١٦ر٦٦	١١ر٢٧	١ر٩٣
اسكانية	١٧٩	٤١ر٦٢	١٥٩	٤٤ر٤١	٢٠	٢٧ر٧٧	١٦ر٦٤	٢ر٨٢**
مواصلات	٢٣٥	٥٤ر٦٥	١٩٨	٥٥ر٣٠	٢٧	٥١ر٣٨	٣ر٩٢	ر٦٠
اخلاقية	٩٤	٢١ر٨٦	٨٨	٢٤ر٥٨	٦	٨ر٣٣	١٦ر٢٥	٤ر١٧**
عاطفية	٢٢٦	٥٢ر٥٥	١٨٨	٥٢ر٥١	٣٨	٥٢ر٧٧	ر٢٦	ر٠٤
دراسية	٢٦٢	٦٠ر٩٣	٢٢٩	٦٣ر٩٦	٣٣	٤٥ر٨٣	١٨ر١٣	٢ر٨٣**
م	٤ر٧٣		٤ر٩٤		٣ر٧١		١ر٣٣	

ك = التكرارات

ن - ح = النسبة الحرجة للفرق الجنسي


اقتصادية
دراسية
مواصلات
عاطفية
جسمية
نفسية
عائلية
اسكانية

شكل رقم ( ) يوضح النسب المئوية لتكرارات المشكلات لدى أفراد كل جنس على حده

ذكور ▨ اناث

%
٧٥
٧٠
٦٠
٥٠
٤٠
٣٠
٢٠
١٠

مشكلة صحية ٥٢ ٥٣
مشكلة نفسية ٥٢ ٣٨
مشكلة اقتصادية ٧٥ ٥٠
مشكلة عائلية ٤٦ ٢٨
مشكلة غذائية ٢٦ ١٧
مشكلة اسكانية ٤٤ ٢٨
مشكلة مواصلات ٥٥ ٥١
مشكلة اخلاقية ٢٥ ٨
مشكلة عاطفية ٥٣ ٥٢
مشكلة دراسية ٦٤ ٤٦

وهنا نتساءل هل يتفق الجنسان : أى الذكور والاناث فى نوعية المشكلات التى يعانون منها وفى مدى انتشارها ؟

ولقد رؤى ضرورة التعرف على متوسط عدد المشكلات التى يعانى منها الطلبة والطالبات بصورة عامة ووجد أن متوسط عدد مشكلات العينة كلها هو ٤ر٧٣ ما يقرب من خمس مشكلات من عشرة والذكور متوسطهم ٤ر٩٤ والاناث ٣ر٧١

الفروق بين الجنسين :

لقد حسبت الفروق بين الجنسين فى شكل نسب مئوية من مجموع أفراد كل جنس ممن شملتهم الدراسة . ويتضح من جدول رقم ١ أن أكثر المشكلات إنتشاراً لدى كل من الاناث والذكور هى كالآتى :

ذكور	اناث
١) اقتصادية ٧٥ر٤١ ٪	جسمية ٥٢ر٧٧ ٪
٢) دراسية ٦٣ر٩٦ ٪	عاطفية ٥٢ر٧٧ ٪
٣) مواصلات ٥٥ر٣٠ ٪	مواصلات ٥١ر٣٨ ٪

وواضح أنه بينما تحتل المشكلة الإقتصادية مكان الصدارة عند الذكور نجدها تحتل المنزلة الرابعة ، عند الاناث . ويرجع ذلك بالطبع إلى ميل الذكور للانفاق فى مجالات أكثر وأوسع من الاناث كالتدخين أو التنزه وما إلى ذلك . وقد يرجع ذلك إلى عدم ميل الأسر العربية للتقطير مع الانثى ، فالأسرة دائما أكثر سخاء فى عطائها للانثى عن الذكر . أما المشاكل التى تحتل المكانة الأولى والثانية لدى الاناث فهى المشاكل الجسمية والمشاكل العاطفية . وتتفق هذه النتيجة الأخيرة مع ما يعرف عن الأنثى من تأثرها بالعوامل العاطفية أو الإنفعالية أكثر من الذكر : والمشكلة الوحيدة التى توجد لدى أفراد الجنسين وتحتل مكانة أولية هى مشكلة المواصلات وهى مسألة مادية لا دخل فيها للعوامل الجنسية ولذلك تحتل المنزلة الثالثة عند أفراد كل جنس على حدة كذلك بينما نجد أن المشكلة الدراسية

تحتل منزلة متقدمة عند الذكور لا نجد لها تلك المكانة عند الاناث لما عرف عنهن من السهر والإنكباب على الدروس والتحصيل أكثر من الذكور الذين ينشغلون عن الدراسة بمسائل أخرى . إما زيادة نسبة المشاكل الجسمية لدى الإناث فقد يرجع ذلك إلى ظروف النمو الجنسى نفسها وما قد تعانيه الأنثى فى حالة المرض الشهرى .

على كل حال الانطباع العام عن مشكلات الاناث أنها أقل إنتشاراً إذا ماقورنت بمشكلات الذكور ، فأعلى نسبة هى ٧٧ر٥٢ وأقلها هى ٣٣ر٨ ٪ عند الاناث ، أما عند الذكور فهما على التوالى ١ر٧٥٤ ، ٥ر٨ ٢٤ . وكانت أقل أربعة مشكلات إنتشاراً لدى الاناث هى :

المشكلة الاخلاقية	٨ر٣٣ ٪
المشكلة العقائدية	١٦ر٦٦ ٪
المشكلة العائلية	٢٧ر٧٧ ٪
المشكلة الاسكانية	٢٧ر٧٧ ٪

ومن المتوقع ألا تعانى الانثى من المشكلات الأخلاقية أو العقائدية أو الفكرية أو العائلية ، فالغالب أن تكون الانثى على وئام وإنسجام مع أسرتها أكثر من الذكر ، وبالنظر إلى حجم الفروق الجنسية يتضح أنها كبيرة بالنسبة لمعظم المشكلات فيما عدا المشكلة الجسمية ومشكلة المواصلات والمشاكل العاطفية ، وهنا نستطيع أن نفترض تساوى الجنسين فى الإحساس بهذه المشكلات . وكانت جميع الفروق الجنسيه الكبيرة دالة على ان الاناث أقل معاناة من الذكور من تلك المشكلات . وفيما يلى حجم هذه الفروق حسب ترتيب كبرها :

المشكلة الاقتصادية وبها فرق قدره	٢٥٫٤١ ٪
المشكلة الدراسيــــة « «	١٨٫١٣ ٪
المشكلة العائلية « «	١٧٫٧٦ ٪
المشكلة الاسكانية « «	١٦٫٦٤ ٪
المشكلة الاخلاقية « «	١٦٫٢٥ ٪
المشكلة النفسية « «	١٤٫٧٣ ٪
المشكلة العقائدية « «	١١٫٢٧ ٪

فالاناث أقل معاناة من المشكلات وخاصة الاقتصادية والدراسية والعائلية والاسكانيه والاخلاقية والنفسية والعقائدية . وتتفق هذه الدراسة مع كثير من الدراسات السابقة التى تؤكد أن الانثى أكثر تمتعا بالصحة النفسية وأكثر تكيفاً من الناحيه النفسيه الاجتماعيه . على كل حال روعى حساب دلالة الفروق الملاحظه أحصائيا :

دلالة الفروق الجنسية :

الخطأ المعيارى للنسبة الأولى وهى نسبة الذكور طبقا للقانون الآتى :

$$ع_ن = \sqrt{\frac{ط\ ق}{ن}}$$

حيث ط = نسبة أجابات الذكور

ق = (١ — ط) أى النسبة المتبقية

ن = عدد حالات الذكور

وبالمثل بالنسبة للأناث

ويحسب الخطأ المعيارى للفرق بين النسبتين طبقا للقانون الآتى :

$$ع_{ن_١ - ن_٢} = \sqrt{ع^٢_{ق_١} + ع^٢_{ق_٢}}$$

$$= \sqrt{\frac{ط_١ ق_١}{ن_١} + \frac{ط_٢ ق_٢}{ن_٢}}$$

ط = نسبة الذكور

ق = المتبقى من النسبة لتكمل واحد صحيح

ط + ق = ١

بالمثل للاناث

الخطأ المعيارى للنسبة الأولى $ع_{ن_١} = \sqrt{\frac{ط ق}{ن}}$

الخطأ المعيارى للفرق بين النسبتين

$$ع_{ن_١ - ن_٢} = \sqrt{\frac{ط_١ ق_١}{ن_١} + \frac{ط_٢ ق_٢}{ن_٢}}$$

وبعد ذلك تم إيجاد النسبة الحرجة للفرق بين النسبتين لكل المشكلات وذلك طبقا للقانون الآتى :

$$\text{النسبة الحرجة} = ن - ح = \frac{\text{الفرق بين النسبتين}}{\sqrt{\frac{ط_١ ق_١}{ن_١} + \frac{ط_٢ ق_٢}{ن_٢}}}$$

حيث $ن_{١}$ = عدد حالات الذكور

وحيث $ن_{٢}$ = عدد حالات الأناث[١]

وعلى سبيل المثال كانت النسبة الحرجة للفرق الجنسى فى المشكلة الجنسية كالآتى :

$$\text{ر٠٠٨٢}$$

$$\sqrt{\frac{\text{ر٥٢} \times \text{ر٤٨}}{\text{٣٥٨}} + \frac{\text{ر٥٣} \times \text{ر٤٧}}{\text{٧٢}}} = \text{ر١٢٧}$$

يبدو أن الجنسين متساويان فى الأحساس بالمشكلات الجسمية والنفسية والعقائدية والمواصلات والعاطفية وإن كان الفرق الملاحظ فى المشكلة العقائدية يقترب من الوصول إلى حد الدلالة الإحصائية مشيراً إلى أن الذكور أكثر معاناة من هذا النوع من المشكلات .

أما المشكلات التى يختلف فيها الجنسان إختلافا جوهريا فهى المشكلة الإقتصادية والعائلية والإسكانية والأخلاقية والدراسية وجميعها يشعر بها الذكور أكثر من الأناث بصورة جوهرية .

---

(١) د. رمزية الغريب ، التقويم والقياس النفسى والتربوى مكتبة الانجلو المصريه ١٩٥٧ القاهرة .

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعينة الذكور والاناث معا

دراسة وزن المشكلات

عرفنا حتى الآن مدى إنتشار المشكلات بين أفراد العينة ككل والذكور والاناث كل على حدة ولاحظنا الفرق الجنسي فى تكرارات هذه المشكلات ولكن مجرد إنتشار المشكلة لا يعطى صورة عن حجم الاحساس بالمشكلة أو كثافتها ، ولذلك رؤى التعرف على كثافة تلك المشكلات ومقدار الاحساس بها ولذلك تم حساب المتوسطات الحسابية لكل مشكلة وكذلك تم حساب الانحرافات المعيارية لإلقاء الضوء على مدى تشتت تلك الدرجات ، ولإمكان معرفة الدلالة الاحصائية للفروق الجنسية فى هذه المشكلات . والجداول الآتية توضح التوزيع التكرارى لتلك المشكلات والدرجات التى اعطيت لكل مشكلة . ولقد تم أيجاد المتوسطات الحسابية طبقا للقانون الآتى :

$$\text{المتوسط} = م = \frac{مجـ\ ك\ س}{ك}$$

حيث م = المتوسط

ك = تكرارات كل درجة

س = الدرجة

وكذلك تم إيجاد الانحراف المعيارى طبقا للقانون الآتى :

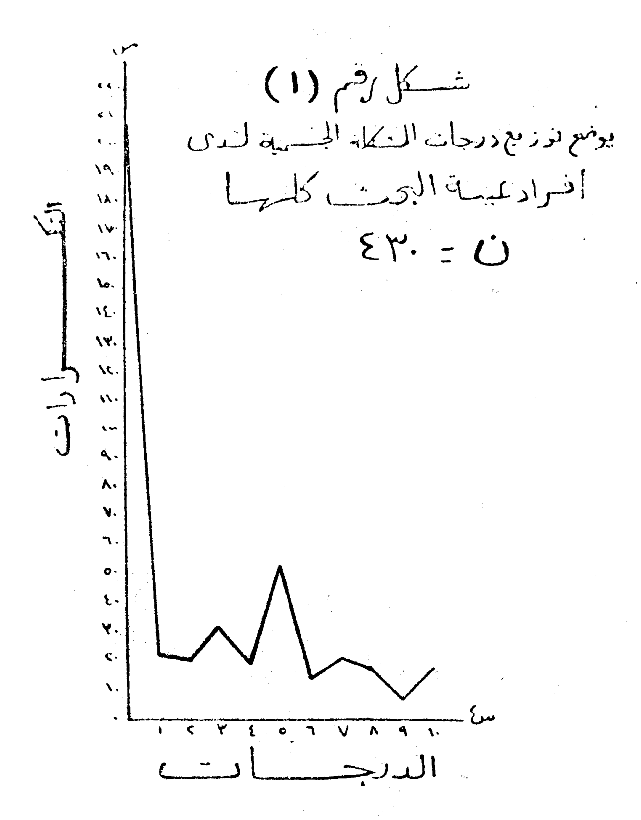
$$ع = \sqrt{\frac{مجـ\ ك\ ح^2}{ك}}$$ حيث $ح^2$ = مربع الانحرافات

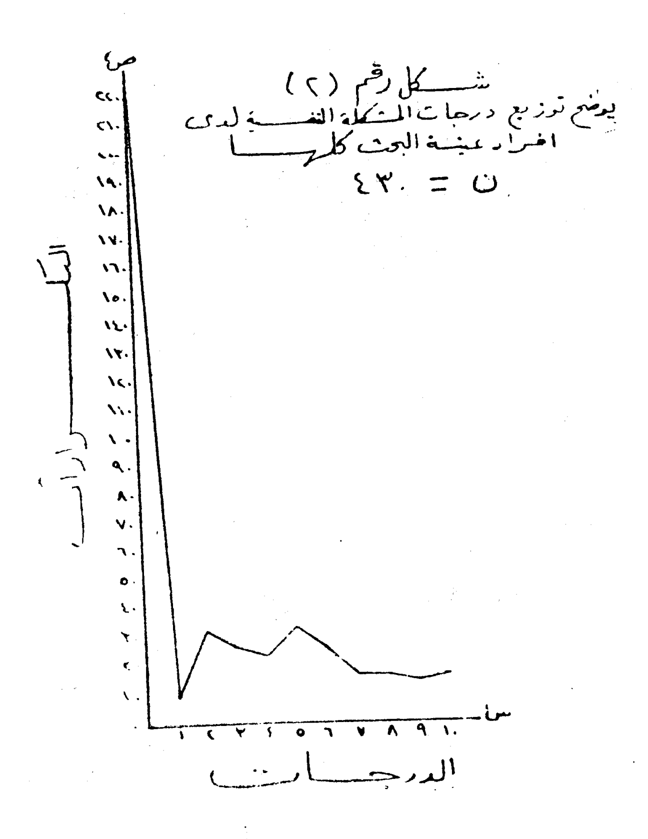
جدول رقم (٢)

يوضح تكرارات العينة ككل فى المشكلات المختلفة حسب كل قيمة معطاة

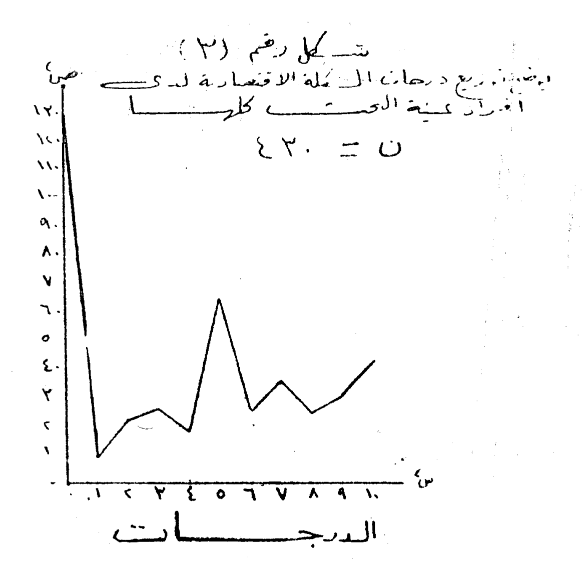
لكل مشكلة « وزن »

الدرجة	جسمية	نفسية	اقتصادية	عائلية	عقائدية	اسكانية	مواصلات	اخلاقية	عاطفية	دراسية
صفر	٢٠٧	٢٢٠	١٢٩	٢٥٣	٣١٨	٢٥٢	١٩٤	٣٣٢	١٩٩	١٦٤
١	٢٢	٩	٩	١١	١١	٨	١٤	١٥	٩	١٠
٢	٢٠	٣٢	٢٢	٢١	١٦	١٨	٢٤	١٦	٧	٢٦
٣	٣٢	٢٦	٢٦	٢٢	٢٣	١٦	٢٠	١٩	٢٣	٣٠
٤	١٩	٢٣	١٨	٩	١١	١٣	١٨	٥	٢٣	٢٩
٥	٥٣	٣٣	٦٥	٣٥	١٦	٤٣	٣١	١٦	٣٨	٣٧
٦	١٤	٢٥	٢٥	٨	٦	٢٣	١٦	٦	٢٩	١٦
٧	٢١	١٦	٣٦	١٣	١٣	١٢	٢٣	٥	٢٨	٢٢
٨	١٧	١٦	٢٥	١٨	٦	٢٠	٢١	٩	٢٣	٣٧
٩	٧	١٤	٣١	١٩	٣	٩	١٧	٣	٢١	٢٤
١٠	١٨	١٦	٤٤	٢١	٧	١٦	٥٢	٤	٣٠	٣٦
مج	٤٣٠	٤٣٠	٤٣٠	٤٣٠	٤٣٠	٤٣٠	٤٣٠	٤٣٠	٤٣٠	٤٣٠

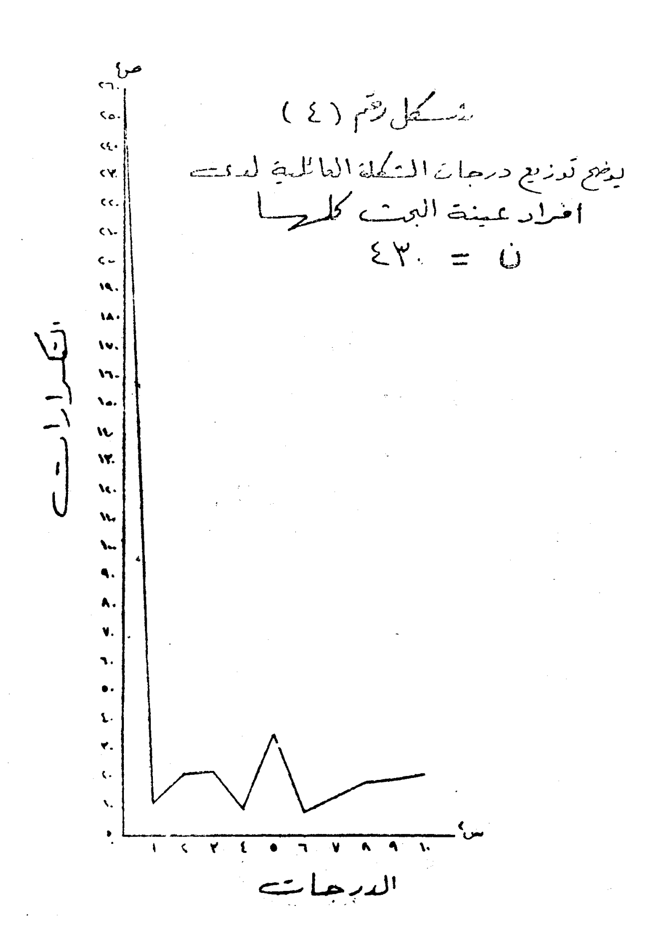

شكل رقم (١)
يوضح توزيع درجات المشكلة الجسمية لدى
أفراد عينة البحث كلها
ن = ٤٣٠
ص
التكرارات
س
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠
الدرجات



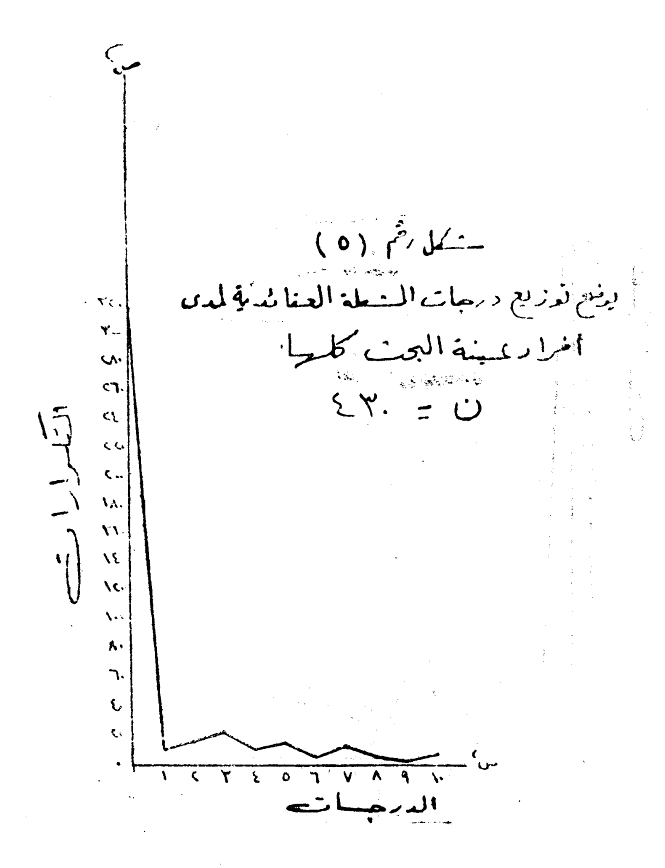
شكل رقم (٢)
يوضح توزيع درجات المشكلة النفسية لدى
افراد عينة البحث كلها
ن = ٤٣٠
ص
التكرارات
الدرجات
س



شكل رقم (٣)
يوضح توزيع درجات المشكلة الاقتصادية لدى أفراد عينة البحث كلها
ن = ٤٣٠



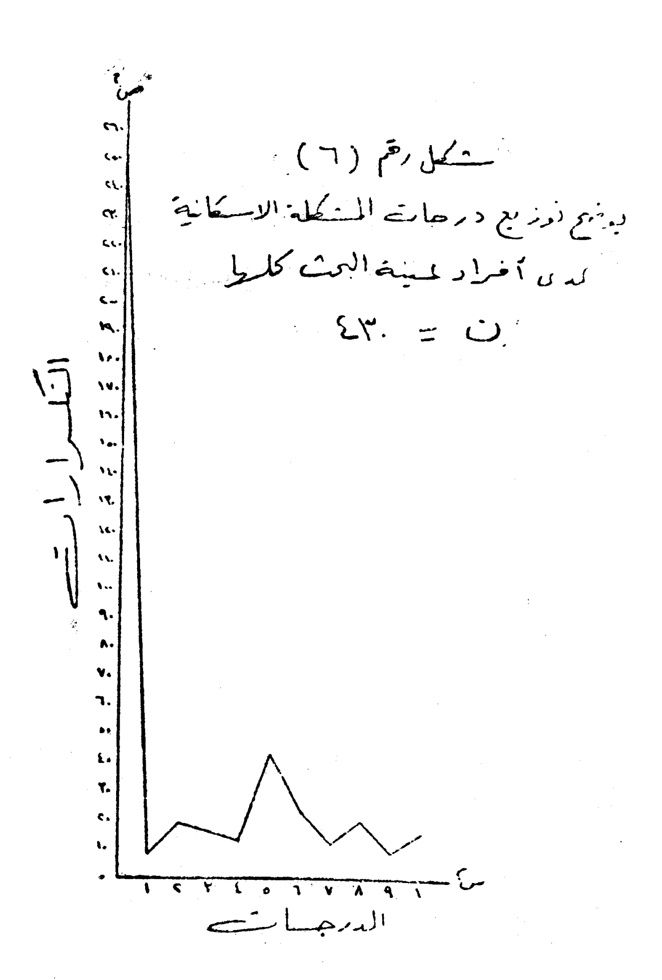
شكل رقم (٤)
يوضح توزيع درجات الشكلة العائلية لدى
افراد عينة البحث كلها
ن = ٤٣٠
التكرارات
الدرجات
ص
س

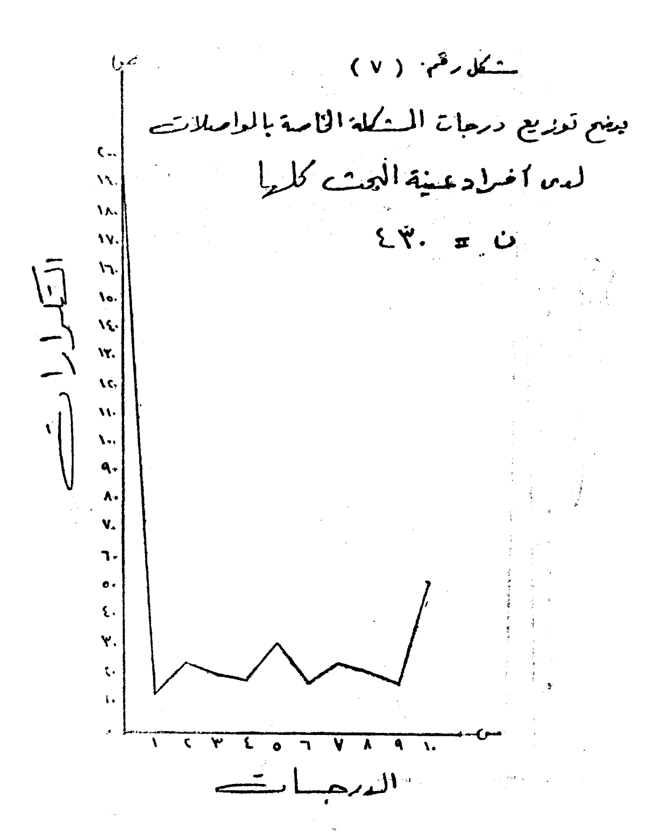


شكل رقم (٥)

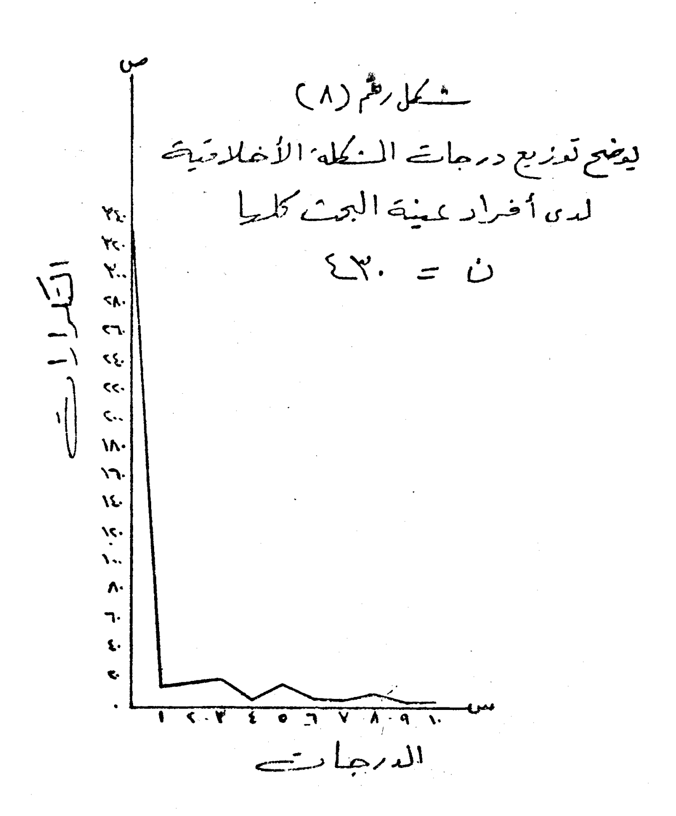
يوضح توزيع درجات السلطة العقائدية لدى أفراد عينة البحث كلها

ن = ٤٣٠

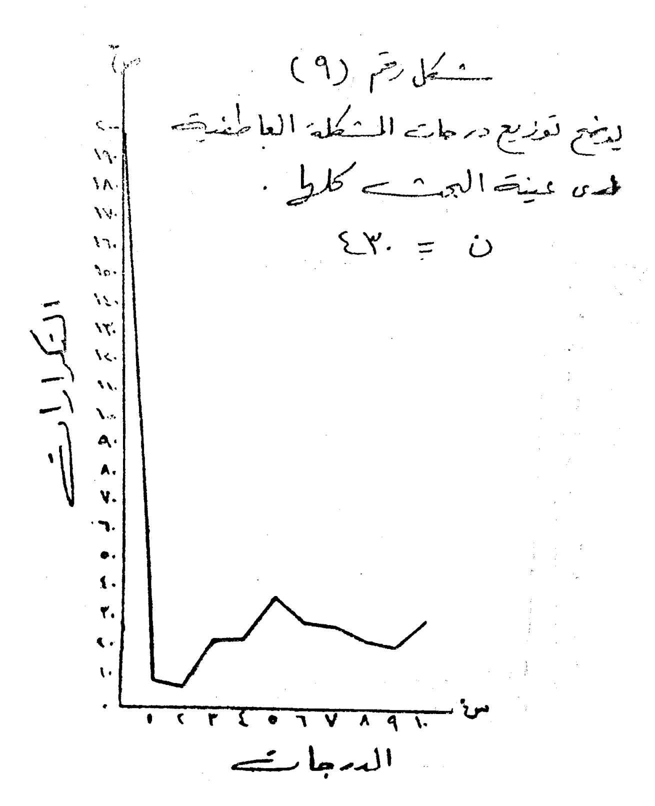

شكل رقم (٦)
يوضح توزيع درجات المشكلة الاسكانية
لدى أفراد عينة البحث ككل
ن = ٤٣٠
التكرارات
الدرجات



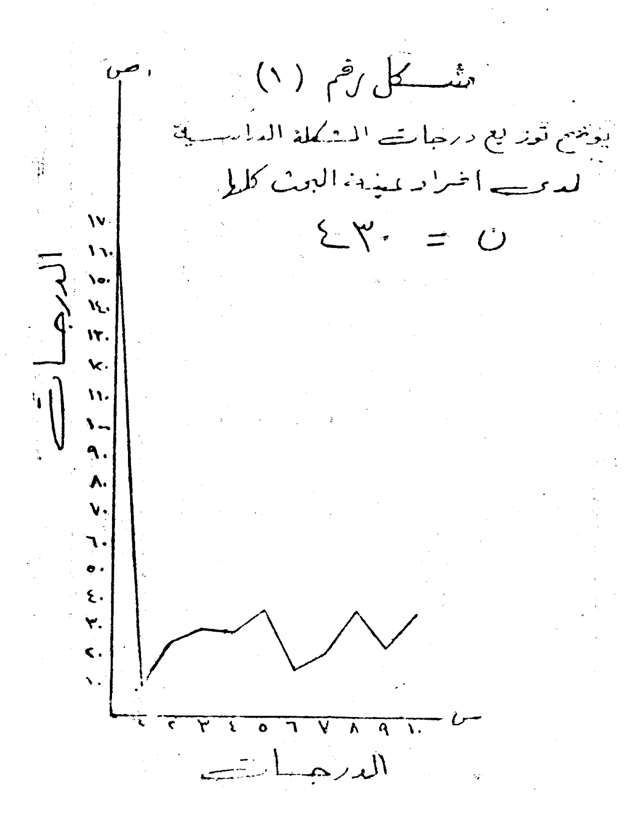
شكل رقم (٧)
يوضح توزيع درجات المشكلة الخاصة بالمواصلات
لدى أفراد عينة البحث كلها
ن = ٤٣٠
التكرارات
الدرجات
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠



شكل رقم (٨)
يوضح توزيع درجات السلطة الأخلاقية
لدى أفراد عينة البحث كلها
ن = ٤٣٠
ص
التكرارات
س
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠
الدرجات



شكل رقم (٩)
يوضح توزيع درجات الشطحة العاطفية
لدى عينة البحث كلها .
ن = ٤٣٠


شكل رقم (١)
يوضح توزيع درجات المشكلة الدراسية
لدى أفراد عينة البحث كاملا
ن = ٤٣٠
ص
س
الدرجات
الدرجات

جدول رقم (٣) - يوضح تكرارات مشكلات كل جنس على حدة فى جميع المشكلات فى كل قيمه من القيم المعطاه للمشكلات « وزن »

الدرجه	جسميه		نفسيه		اقتصاديه		عائليه		عقائديه		اسكانيه		مواصلات		اخلاقيه		عاطفيه		دراسيه	
	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث
صفر	١٧٦	٣١	١٧٥	٤٥	٩١	٣٨	٢٠٤	٤٩	٢٥٧	٦١	١٩٨	٥٤	١٦٠	٣٤	٢٦٨	٦٤	١٦٧	٣٢	١٢٨	٣٦
١	١٧	٥	٨	١	٨	١	٩	٢	٩	٢	٨	٠	١١	٣	١٢	٣	٦	٣	٩	١
٢	١٦	٤	٢٧	٥	١٩	٣	١٧	٤	١٤	٢	١٧	١	٢٣	١	١٦	٠	٥	٢	١٨	٨
٣	٢٢	٥	٢٢	٤	١٩	٧	١٧	٥	٢٢	١	١٥	١	١٦	٤	١٩	٠	١٨	٥	٢٦	٤
٤	١٩	٠	٢١	٢	١٤	٤	٩	٠	١١	٠	١٣	٠	١٦	٢	٥	٠	٢٠	٣	٢٤	٤
٥	٣٩	١٤	٢٨	٥	٥٧	٨	٣٠	٥	١٤	٢	٣٦	٧	٢٧	٤	١٤	٢	٣٢	٦	٣٤	٣
٦	١٣	١	٢١	٤	٢٣	٢	٨	٠	٦	٠	٢٠	٣	١٤	٢	٦	٠	٢٦	٣	١٤	٢
٧	١٧	٤	١٥	١	٣٢	٤	١٣	٠	١٢	١	١٢	٠	١٨	٥	٣	٢	٢٣	٥	١٩	٣
٨	١٥	٢	١٥	١	٢٥	٠	١٦	٢	٦	٠	١٨	٢	١٨	٣	٩	٠	١٩	٤	٣٢	٥
٩	٥	٢	١٣	١	٢٨	٣	١٧	٢	٢	١	٧	٢	٧	١٠	٣	٠	١٧	٤	٢٢	٢
١٠	١٤	٤	١٣	٣	٤٢	٢	١٨	٣	٥	٢	١٤	٢	٤٨	٤	٣	١	٢٥	٥	٣٢	٤
مج	٣٥٨	٧٢	٣٥٨	٧٢	٣٥٨	٧٢	٣٥٨	٧٢	٣٥٨	٧٢	٣٥٨	٧٢	٣٥٨	٧٢	٣٥٨	٧٢	٣٥٨	٧٢	٣٥٨	٧٢

جـــدول ٤

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات وزن أو ثقل المشكلات لدى عينة البحث ككل

ن = ٤٣٠ ، وكذلك لدى أفراد كل جنس على حده ، والفرق الجنسى

العينة/المشكلات	جسمية		نفسية		اقتصادية		عائلية		عقائدية		اسكانية		مواصلات		أخلاقية		عاطفية		دراسية	
	م	ع	م	ع	م	ع	م	ع	م	ع	م	ع	م	ع	م	ع	م	ع	م	ع
عينة البحث كلها	٢ر٥٨	٣ر٩٣	٢ر٥٢	٤ر٠١	٤ر٣٠	٣ر٦٣	٢ر٣١	٤ر٢٧	١ر١٨	٤ر٥٠	٢ر٢٩	٤ر١٦	٣ر٣٩	٤ر١٠	٠ر٩٧	٤ر٥٧	٣ر٣٠	٣ر٩٦	٣ر٦٦	٣ر٨٤
عينة الذكور فقط	٢ر٥٢	٣ر٩٥	٢ر٦٥	٣ر٩٦	٤ر٦٩	٣ر٥٦	٢ر٢٦	٤ر٢٣	١ر٢٧	٤ر٤٤	٢ر٤٣	٤ر٠٩	٣ر٣٦	٤ر١٠	١ر٠٥	٤ر٥٣	٣ر٣٠	٣ر٩٥	٣ر٨٦	٣ر٨٠
عينة الاناث فقط	٢ر٨٦	٣ر٨٧	١ر٨٦	٤ر٢٧	٢ر٣٨	٣ر٩٨	١ر٥٨	٤ر٤٧	٠ر٧٦	٤ر٧٩	١ر٥٦	٤ر٥١	٣ر٤٢	٤ر١٤	٠ر٥١	٤ر٨٤	٣ر٢٦	٣ر٩٧	٢ر٦٥	٤ر٠٨
الفرق الجنسى	٠ر٣٤	٠ر٠٨	٠ر٧٩	٠ر٣١	٢ر٣١	٠ر٤٢	٠ر٨٨	٠ر٢٤	٠ر٥١	٠ر٣٥	٠ر٨٧	٠ر٤٢	٠ر٠٦	٠ر٠٤	٠ر٥٤	٠ر٣١	٠ر٠٤	٠ر٠٢	١ر٢١	٠ر٢٨
قيمة ت	٦٧ر		٥٢ر١		٩١ر٤		٥٩ر١		٨٧ر٠		٦١ر١		١١٣ر		٥	٩١ر	٠٨ر		٤٣ر٢	

م = المتوسط الحسابى

ع = الانحراف المعيارى

بالنسبة للعينة كلها يكشف الجدول السابق أن أشد المشكلات كثافة هى المشكلات الثلاثة الآتية :

الاقتصادية متوسطها الحسابى ٤٫٣٠
الدراسية « « ٣٫٦٦
المواصلات « « ٣٫٣٩

ويذكر القارىء أن النهاية العظمى للدرجة هى ١٠ وتتفق هذه النتيجة مع تحليل التكرارات من حيث مكانة المشكلة الاقتصادية والدراسية والمواصلات أى أن جميع المشكلات الثلاثة الموضحة أعلاه لها ما يوازى ثلث ثقل النهاية العظمى للمشكلة وهى ١٠ درجات .

أما أصغر المشكلات وزنا فكانت :

الأخلاقية = ٠٫٩٧
العقائدية = ١٫١٨
الاسكانية = ٢٫٢٩

ولكن على كل حال لم تحصل أية مشكلة على القيمة صفر بمعنى عدم وجودها إطلاقا بين جميع أفراد العينة .

الفروق الجنسية فى كثافة المشكلات :

يكشف الجدول أيضا على الفروق الجنسية فى المتوسطات الحسابية فى المشكلات العشرة، وأكثر هذه الفروق وضوحا فى **المشكلة الاقتصادية** حيث يختلف الجنسان إختلافا بينا حيث يعانى الذكور أكثر من الاناث . ويلى ذلك فى الفروق الجنسية فى المشكلات العائلية والاسكانية . ويكاد يتفق الجنسان فى المشكلة العاطفية وفى مشكلة المواصلات والمشكلات والدراسية .

على كل حال يقتضى مناقشة الفروق الجنسية التحقق من مدى وصولها إلى حد الدلالة الاحصائية ، ولذلك حسبت قيمة ت للفرق بين المتوسطات الحسابية طبقا للقانون الآتى :

$$ت = \frac{م_١ - م_٢}{\sqrt{\frac{ن_١ ع_١^٢ + ن_٢ ع_٢^٢}{ن_١ + ن_٢ - ٢} \times \left(\frac{١}{ن_١} + \frac{١}{ن_٢}\right)}}$$

حيث $م_١$ = المتوسط الحسابى للذكور

$م_٢$ = « « للاناث

$ن_١$ = عدد حالات الذكور

$ن_٢$ = « « الاناث

$ع_١^٢$ = مربع الانحراف المعيارى للذكور

$ع_٢^٢$ = « « « للاناث(١)

ولقد تطلب ذلك حساب الانحراف المعيـــارى لكل من الذكور والاناث والجـــدول السابق يوضح هذه الانحرافات وكذلك الانحراف المعيـــارى للعينة ككل .

ويدل الجدول على أن ثقل المشكلات أقل عند الاناث منه عند الذكور فى جميع المشكلات ما عدا المشكلة الجسمية ومشكلة المواصـــلات . وتتفق هذه

---

(١) د. السيد محمد خيرى ، الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، دار الفكر العربى الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧ ص ٣٦١ .

الملاحظة مع نتيجة تكرارات المشكلات التى سبق مناقشتها . وعلى كل حال تؤكد قيمة ت أن الفرق الجنسى الملاحظ الذى يصل إلى مستوى الدلالة الاحصائية عند مستوى ثقة ٩٩ ٪ هو فى المشكلة الاقتصادية حيث يعانى الذكور منها بصورة جوهرية أكثر من الاناث . وبالمثل المشكلة الدراسية وإن كان مستوى الدلالة لا يصل إلا إلى ٩٥ ٪ أما بقية الفروق فلم تصل إلى مستوى الدلالة الاحصائية وإن كانت هذه الفروق تتخذ خطا مستقيما مشيرا إلى معاناة الذكور أكثر من الاناث .

متوسط ساعات الاستذكار

لقد تضمن الاستخبار المستخدم سؤالا حـــول متوسط ساعات الاستذكار اليومية عند الطالب ويوضح الجدول الآتى نتيجة استجابات الطـــلاب لهذا السؤال :

جـدول (٥)

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية فى ساعات الاستذكار لدى العينة كلها وكل من الذكور والاناث

كل على حدة

العينـــة	المتوسطات بالساعة	الانحراف المعيارى	ن
الكل	٣ر٢٧	٤ر٥٢	٤٣٠
اناث	٣ر١٤	٥ر٢٨	٧٢
ذكور	٣ر٣١	٤ر٦٣	٣٥٨
الفرق الجنسى	ر١٧	٠ر٦٥	
ت	ر٠٧٠		

يتضح من الجدول أعلاه أن أفراد العينة ككل لايستذكرون دروسهم سوى فترة زمنية ضئيلة جداً وهى نحو ثلاث ساعات فى اليوم وواضح أن تخصيص ثلاث ساعات من الأربع والعشرين ساعة للاستذكار يعــد هدرا كبيرا لوقت الطالب وعدم استفادته من حياته الجامعية إلا بمقدار بسيط جدا . واذا عرفنا أن الطالب يقضى نحو ثلاث ساعات أخرى فى حضور المحاضرات بواقع ٢١ ساعة أسبوعيا، عرفنا أنه لا يعمل، وهو فى سن الشباب والحيوية الا ست ساعات من مجموعة يومه وهنا نتساءل ماذا يفعل الطالب فى الوقت المتبقى وهو ١٨ ساعه أخرى ؟ تدعونا مثل هذه النتيجة إلى ضرورة توجيه الطلاب إلى الاستفادة من وقتهم استفادة جادة وإيجابية لتوزيع جهدهم على إمتداد السنة الجامعيـة .

ويلزم ابتكار انظمة أخرى لتشجيع الطلاب وحثهم على الاستذكار أولا بأول كأن يؤدون إمتحانات دورية منذ بداية العـــام الجامعى حتى يمكن ربطهم بالدراسة من أول العـام .

أما بالنسبة للفرق الجنسى فى عدد ساعات الاستذكار فيبـدو الفرق ضئيـلا للغاية وإن كان الذكور يخصصون وقتا أطول نسبياً ولا يتجاوز الفرق الملاحظ ١٧ر. لصالح الذكور وإن كان هذا الفرق يدعونا إلى إفتراض تساوى الجنسين .

على كل حال تدل مقارنة قيم الانحراف المعيارى بين الجنسين أن هنـاك فروقا فردية أوسع لدى الآناث منها لدى الذكور ومعنى هـذا إختلاف عـدد ساعات الاستذكار إختلافا كبيراً بين مجموعة الطالبات من طالبه إلى أخرى .على كل حال تؤكد قيمة ت التى حصلنا عليها للفرق الجنسى الملاحظ طبقا للقانون الآتى :

$$\text{ت} = \frac{\text{م}_{١} - \text{م}_{٢}}{\sqrt{\frac{\text{ن}_{١}\text{ع}_{١}^{٢} + \text{ن}_{٢}\text{ع}_{٢}^{٢}}{\text{ن}_{١} + \text{ن}_{٢} - ٢}\left(\frac{١}{\text{ن}_{١}} + \frac{١}{\text{ن}_{٢}}\right)}} = ٫٠٧$$

وتدل على عدم وصول الفرق إلى حد الدلالة الإحصائية .

العلاقة بين الاستذكار والمعاناة من المشكلات[1]

لقد رؤى إلقاء بعض الضوء على العلاقة بين وزن المشكلات المختلفة وبين متوسط عدد ساعات الإستذكار اليومية التى يستذكرها الطالب وذلك للتحقق من صحة فرض مؤداه أن هذه المشكلات لابد أن تترابط مع بعض المشكلات موضوع الدراسة . ولذلك تم حساب معامل ارتباط بيرسون بعد تصميم جداول تكرارية مزدوجة لمتغيرى ساعات الاستذكار ودرجات المشكلات ، وتم ايجاد معامل الإرتباط طبقا للقانون الآتى الخاص بالمعطيات المجدولة .

$$\text{ى} = \frac{\frac{\text{مج ك ح}_1\text{ح}_2}{\text{ن}} - \left(\frac{\text{مج ك ح}_1}{\text{ن}}\right)\left(\frac{\text{مج ك ح}_2}{\text{ن}}\right)}{\sqrt{\frac{\text{مج ك ح}_1^2}{\text{ن}} - \left(\frac{\text{مج ك ح}_1}{\text{ن}}\right)^2} \times \sqrt{\frac{\text{مج ك ح}_2^2}{\text{ن}} - \left(\frac{\text{مج ك ح}_2}{\text{ن}}\right)^2}}$$

والجدول الآتى يلخص معاملات الإرتباط التى حصل عليها وبالرجوع إلى جـــدول جاريت أمكن معرفة دلالة معاملات الإرتباط مع درجات الحرية المقـــابلة .

---

(١) د. السيد محمد خيرى ، الاحصاء فى البحوث النفسية ... دار الفكر العربى .

جـــدول (٦)

يوضح معاملات أرتباط المشكلات المختلفة مع عدد ساعات

الاستذكار اليومية

المشكلة	حجم معامل الإرتباط	دلالة الاحصائية
(١) الجسمية	+ ٠٥٦ر	دون مستوى الدلالة
(٢) النفسية	— ٠٢٥ر	ليس له دلالة
(٣) الاقتصادية	+ ١١٢ر	له دلالة عند ٥ ٪
(٤) العائلية	+ ٠٨٧ر	ليس له دلالة
(٥) العقائدية	+ ١٠٤ر	له دلالة عند ٥ ٪
(٦) الاسكانية	+ ٠٥٢ر	ليس لها دلالة
(٧) المواصلات	— ٠٤٤٩٧ر	» »
(٨) الأخلاقية	+ ٠٤٥ر	» »
(٩) العاطفية	+ ٠٠٩٧ر	» »
(١٠) الدراسية	— ٠٠٣٢ر	» »

ولا يصل إلى حد الدلالة الإحصائية إلا الارتباط بين المشكلة الاقتصادية وساعات الإستذكار مشيرا إلى أنه كلما أزدادت حدة المشكلة الإقتصادية كلما خصص الطالب مزيدا من ساعات الاستذكار . والمعروف أن الطالب الذى يعانى من الحاجة المادية تدفعه هذه الحاجة إلى بذل الجهد والطاقة كوسيلة للتعويض عن الفقر وكوسيلة للتخلص منه . أما الطالب الموسر فقد يكون أكثر إسترخاء وتهاونا فى إستذكاره . كذلك وجد أن هناك ارتباطا بين ساعات الإستذكار والمشكلة العقائدية بمعنى أنه كلما زاد شعور الطالب بمشكلة عقائدية كلما إزداد إهتمامه بالتحصيل الدراسى ، ربما يرجع ذلك إلى رغبته فى البحث عن حلول فى طيات الكتب عن مشاكله العقائدية .

أما المشاكل النفسية ومشاكل المواصلات والمشاكل الدراسية فعلى الرغم من أن معاملاتها صغيرة إلا أنها سالبة مما يؤكد أنها تسير فى الإتجاه الذى يعنى أنه كلما زاد حجم المشكلة لدى الطالب كلما قلت ساعات استذكاره . وتؤيد هذه النتيجة - الآثار السيئة والسلبية والمعوقة للمشكلات على قدرات الطالب التحصيلية ولذلك هناك ضرورة لتوفير الخدمات التى تخلص الطالب من كل ما يكبل طاقته ويحجبها عن الخلق و الابداع والانتاج .

على كل حال ، كانت هذه النتائج قائمة على أساس معاملات الارتباط المستمدة من مجرد الانحرافات ولما كان مدى الدرجات صغيراً بعد أن وضعت فى شكل فئات لذلك رؤى استخدام منهج احصائى أكثر دقة وملاءمة للمعطيات الراهنة وهو إيجاد قيم كا^2 ى لهذه المعطيات وتطلب ذلك عمل جداول ٢ × ٢ تكرارية مزدوجة لكل من الإستذكار وحجم المشكلة كذلك رؤى تحويل التكرارات إلى نسب مئوية ليتضح للقارىء الاتجاه الذى تأخذه العلاقة بين الاستذكار والمشكلة.

استخدام مقياس كا٢ى للتأكد من مدى ارتباط المشكلات التى يعانى منها الطلاب بعدد الساعات التى يخصصونها للإستذكار

لقد رؤى اللجوء إلى إستخدام منهج آخر خلافا لمنهج معامل إرتباط بيرسون الذى تم حسابه من المعطيات المجدولة والتى أعتمد القياس فيها على انحراف الدرجات مما أدى إلى عدم وصول معاملات الارتباط إلى حد الدلالة الإحصائية . ولذلك رؤى استخدام منهج احصائى آخر أكثر حساسية وأكثر ملاءمة للمعطيات التكرارية لمعرفة مدى الارتباط بين هذين المتغيرين .

ولقد تمت وضع التكرارات فى جداول تكرارية مزدوجة على افتراض أن الطالب يعانى قليلا من المشكلة إذا تراوحت درجته من صفر إلى ٤ ، ويعانى منها كثيرا اذا تراوحت درجته من ٤٫٢٥ إلى ١٠ درجات. وكذلك على إفتراض أن الطالب الذى يستذكر دروسه بين صفر - ٤ ساعات يعد قليل الاستذكار ، وأن من يخصص من ٤٫٢٥ ساعة إلى ١٠ ساعات يستذكار كثيرا . وعلى هذا الاساس تم تصميم جداول ٢ × ٢ لكل مشكلة وحسبت قيم كا٢ى طبقا للقانون الآتى .

المشكلة الجسمية :

المشكلة / الاستذكار	قليل الاستذكار		كثير الاستذكار		المجموع	الفرق	
	ك	٪	ك	٪		٪	ك
لا يعانى منها	٢٥٠ ا	٧٤	٤٠ حـ	٥٢	٢٩٠ ذ	٢٢	٢١٠
يعانى منها	٨٧ ب	٢٦	٣٧ ء	٤٨	١٢٤ ط	٢٢	٥٠
المجموع	٢٣٧ هـ		٧٧ و		٤١٤ ن		
الفرق	١٦٣	٤٨	٣	٤			

فإذا قبلنا الفرض الصفرى فى هذه الحالة وهو تساوى من يعانى مع من لا يعانى من المشكلات فى عدد ساعات الاستذكار ومعنى هذا إنقسام مجموعة قليلى الاستذكار ممن يعانون ولا يعانون الى ٥٠ ٪ ، ٥٠ ٪ أى على أساس التقسيم الى ٥٠ ٪ ، و٥٠ ٪ أى التكرار النظرى فى مقابل التكرار التجريبى .

$$\text{كا}^2\text{ى} = \frac{\text{مجـ ن}\,(\text{ا ء} - \text{حـ ب})^2}{\text{هـ و ى ط}} = ١٤{,}٧٧^{**}$$

حيث أن مجـ ن = مجموع القيم

ا = تكرارات قليلى الاستذكار ممن لا يعانون المشكلات

ب = « « « « يعانون «

ح = « كثيرى « « لا يعانون «

ى = « « « « يعانون «

س = مجموع تكرارات ا + ح

ط = مجموع تكرارات ب + ى

هـ = مجموع تكرارات قليلى الاستذكار

و = « « كثيرى الاستذكار

$$\text{كا}^{2}\,\text{ى} = \frac{\text{٤١٤}\ (\text{٢٥٠}\times\text{٣٧}-\text{٨٧}\times\text{٤٠})^{2}}{\text{٣٢٧}\times\text{٧٧}\times\text{١٢٤}\times\text{٢٩٠}} = \text{١٤٫٧٧}^{**}$$

ولهذا الفرق دلالة إحصائية عالية تفوق مستوى ثقة ٩٩ ٪

المشكلة النفسيـة :

المشكلة / الاستذكار	قليل الاستذكار		كثير الاستذكار		المجموع	الفرق	ك
	ك	٪	ك	٪		٪	
لا يعانى منها	٢٤٧	٧٢	٥٩	٧٠	٣٠٦	٢	١٨٨
يعانى منها	٩٨	٢٨	٢٥	٣٠	١٢٣	٢	٧٣
المجموع	٣٤٥		٨٤		٤٢٩		
الفرق	١٤٩	٤٤	٣٤	٤٠			

$\text{كا}^{2}\,\text{ى} = \text{٠٫٠٦٠}$ ليس لها دلالة إحصائية

المشكلة الاقتصادية :

المشكلة / الاستذكار	قليل الاستذكار		كثير الاستذكار		المجموع	الفرق	ك
	ك	٪	ك	٪		٪	
لا يعانى منها	١٧١	٥٠	٣٣	٣٨	٢٠٤	١٢	١٣٩
يعانى منها	١٧١	٥٠	٥٥	٦٢	٢٢٦	١٢	١١٦
المجموع	٣٤٢		٨٨		٤٣٠		
الفرق	صفر	صفر	٢٢	٢٤			

كا^{2} ى = ٤ر٤٩٠

لها دلالة عالية تفوق مستوى ثقة ٩٥ ٪

المشكلة العائلية والاستذكار :

المشكلة / الاستذكار	قليل الاستذكار		كثير الاستذكار		المجموع	الفرق	ك
	ك	٪	ك	٪		٪	
لا يعانى منها	٢٦٤	٧٨	٥٨	٦٤	٣٢٢	١٤	٢٠٦
يعانى منها	٧٦	٢٢	٣٢	٣٦	١٠٨	١٤	٤٤
المجموع	٣٤٠		٩٠		٤٣٠		
الفرق		٥٦		٢٨			

كا٢ ى = ٦ر٦٨

لكا٢ ى دلالة عالية ويكشف الجدول على أن هناك نسبة كبيرة من كثيرى الإستذكار لا يعانون من المشكلة العائلية

المشكلة العقائدية :

المشكلة / الاستذكار	قليل الاستذكار		كثير الاستذكار		مجـ ن	الفرق	ك
	ك	٪	ك	٪		٪	
لا يعانى منها	٢٩٤	٩١	٦٤	٨٣	٣٥٨	٨	٢٣٠
يعانى منها	٣٠	٩	١٣	١٧	٤٣	٨	١٧
المجموع	٣٢٤		٧٧		٤٠١		
الفرق	٢٦٤		٥١				

كا٢ ى = ٣٫٧٨

لها دلالة وتكشف عن وجود نسبة كبيرة من كثيرى الإستذكار لا يعانون من المشاكل العقائدية .

المشكلة الإسكانية :

المشكلة / الاستذكار	قليل الاستذكار		كثير الاستذكار		المجموع	الفرق	ك
	ك	٪	ك	٪		٪	
لا يعانى منها	٢٤٣	٧١	٦٠	٧٠	٣٠٣	١	١٨٣
يعانى منها	٩٨	٢٩	٢٦	٣٠	١٢٤	١	٧٢
المجموع	٣٤١		٨٦		٤٢٧		
الفرق	١٤٥	٤٢	٣٤	٤٠			

كا٢ ى = ٠٧٤ر ليس لها دلالة

مشكلة المواصلات :

المشكلة / الاستذكار	قليل الاستذكار		كثير الاستذكار		المجموع	الفرق	ك
	ك	٪	ك	٪		٪	
لا يعانى منها	٢١٠	٦٣	٥٧	٦٥	٢٦٧	٢	١٥٣
يعانى منها	١٢٥	٣٧	٣١	٣٥	١٥٦	٢	٩٤
المجموع	٣٣٥		٨٨		٤٢٣		
الفرق	٨٥	٢٦	٢٦	٣٠			

كا٢ ى = ١٣٠ر٠ ليس لها دلالة إحصائية

مشكلة الأخلاق :

المشكلة / الاستذكار	قليل الاستذكار		كثير الاستذكار		المجموع	الفرق	ك
	ك	٪	ك	٪		٪	
لا يعانى منها	٣١٠	٩١	٧٨	٩٠	٣٨٨	١	٢٣٢
يعانى منها	٣٢	٩	٩	١٠	٤١	١	٢٢
المجموع	٣٤٢		٨٧		٤٢٩		
الفرق	٢٧٨	٨٢	٦٩	٨٠			

كا٢ ى = ٠٧٨ر ليس لها دلالة إحصائية

المشكلة العاطفية :

المشكلة / الاستذكار	قليل الاستذكار		كثير الاستذكار		المجموع	الفرق	ك
	ك	٪	ك	٪		٪	
لا يعانى منهـا	٢١٢	٦٢	٥٠	٥٨	٢٦٢	٤	١٦٢
يعانى منها	١٢٨	٣٨	٣٦	٤٢	١٦٤	٤	٩٢
المجموع	٣٤٠		٨٦		٤٢٦		
الفرق	٨٤	٢٤	١٤	١٦			

كا٢ ى = ١٥ر٠ ليس لها دلالة إحصائية

المشكلة الدراسية :

المشكلة / الاستذكار	قليل الاستذكار		كثير الاستذكار		المجموع	الفرق	ك
	ك	٪	ك	٪		٪	
لا يعانى منها	٢٠٦	٦٠	٤٣	٥٢	٢٤٩	٨	١٦٣
يعانى منها	١٣٧	٤٠	٤٠	٤٨	١٧٧	٨	٩٧
المجموع	٣٤٣		٨٣		٤٢٦		
الفرق	٦٩	٢٠	٣	٤			

كا٢ى = ١٫٨٧ ليس لها دلالة احصائية

الخلاصة وآفاق البحث المستقبلية

تناولت هذه الدراسة التعرف على المشكلات التى يعانى منها طلبة وطالبات جامعة أم درمان الإسلامية الشقيقة بالسودان والتعرف على نوعية هذه المشكلات ومدى إنتشارها وحجمها أو شدتها وكثافتها . كما تناولت موضوع عدد الساعات التى يخصصها الطالب للاستذكار على إعتبار أن هذه الساعات تعكس مدى إهتمام الطالب بدراسته الجامعية ومدى إتباعه لأسلوب التحصيل الدراسى الجيد الذى يتضمن من بين ما يتضمن شرط توزيع الجهد على مدار العام الجامعى بدلا من أسلوب التركيز فى الجهد فى أواخر العام العام الجامعى فقط . ذلك لأن التركيز يؤدى إلى عدم رسوخ المادة المتعلمة وعدم إتقان التعلم مما يجعله عرضة للنسيان والزوال ، فضلا عما تسببه هذه المادة الشديدة من تراكم المادة العلمية على الطلاب قبل الإمتحان مما يؤدى فى كثير من الحالات إلى شعورهم بالقلق والتوتر والضيق والإضطراب النفسى والعصبى .

وكذلك تناولت الدراسة التعرف على مدى الإرتباط بين ما يعانيه الطالب من مشكلات وبين الساعات التى يخصصها للاستذكار. ولقد كشفت هذه الدراسة عن كثير من النتائج من أهمها ما يلى :

١ ـ إنتشار جميع المشكلات العشر التى تناولتها الدراسة بين عدد كبير من الطلاب يصل فى بعض المشكلات كالمشكلة الاقتصادية إلى ثلاثة أرباع مجموع العينة مما يتطلب توجيه عناية خاصة لعلاج هذه المشكلات والوقاية منها مستقبلا . ويعانى الطلاب بمتوسط قدره ٤٫٧٣ مشكلة ـ أى أن كل طالب يصل عدد ما يعانيه من المشكلات إلى نحو خمس مشكلات ومن بين المشكلات كثيرة الإنتشار المشكلة الاقتصادية الدراسية ومشكلة المواصلات.

٢ - وفيما يختص بالفروق الجنسية كشفت هذه الدراسة عن حقيقة هامــــة وواضحة وهي أن الذكور أكثر معاناة من المشكلات عن الاناث بصورة عامة. ويتفق البحث الحالي مع كثير من الدراسات السابقة والمشابهة. ولكن تختلف حدة هذه المشكلات بالنسبة للجنسين حيث تحتل المشكلة الجسمية مكانة الصدارة لدى الاناث بينما تحتل المشكلة الاقتصادية عند الذكور تلك المــــكانة. وكذلك تبرز المشكلة العاطفية لتحتل المكانة الثانية عند الاناث. وتتفق هذه النتيجة مع ما يعرف عن الانثى من شدة العواطف وقوة الحياة الانفعالية لديها. ويتفـــق الجنسان في مقدار معاناتهم من مشكلة المواصلات حيث تحتل المكانة الثالثة لدى الجنسين. كذلك لا يعاني الاناث من المشكلة الدراسية كما عرف عنهن من الانكباب على الدراسة أكثر من الذكور.

ولقد كشفت قيم ن - ح عن وصول الفروق الجنسيه إلى حـــد الدلالة الاحصائية الجوهرية بالنسبة لمشكلات الاقتصاد، والعـــائلية، والاسكانية والاخلاقية، والدراسية مشيرة إلى معاناة الذكور أكثر من الاناث كما يتضح ذلك من (جدول رقم ١) وتأيدت هذه النسبة الحرجة بالمتوسط الحسابي لعدد ما يعانيه أفراد الجنسين من مشكلات حيث يصل هذا المتوسط بالنسبة للذكور إلى ٩٤ر٤ والاناث ٧١ر٣. وتدعونا هذه النتيجة إلى توجيه مزيد من الاشراف والعناية بالذكور بنوع خاص.

٣ - وتتفق قيم المتوسطات الحسابية لوزن المشكلات مع ما توصل اليه البحث من دراسة التكرارات حيث كانت أشد المشكلات كثافة هي المشكلات الاقتصادية والدراسية ومشكلة المواصلات ومعنى ذلك أن هذه المشكلات لا يكثر إنتشارها وحسب بين مجموع الطلاب بل إنهم يعانون منها بدرجة مكثفة عن غيرها من

المشكلات . ولم تحصل أية مشكلة على القيمة صفر فى المتوسط الحسابى بمعنى عدم وجودها على وجه الاطلاق بين الطلاب . وتؤيد هذه المتوسطات الفروق الجنسية الجوهرية فيما يختص بمشكلة الحالة الاقتصادية والمشكلة الدراسية .

٤ ـ كشفت الدراسة الحالية على أن متوسط ما يخصصه الطالب من ساعات للاستذكار يومياً لا يزيد كثيراً عن ٣ ساعات ولا يختلف الجنسان فى هذا . ويدل ذلك على إهمال الطالب لدروسه وأن هناك كثيراً من الهدر والفاقد فى وقت الطالب وجهده إذ لا يستغل سوى ٣ ساعات من الأربع والعشرين ساعة ويتطلب ذلك وضع نظام تقويمى يربط الطالب بدراسته من أول العام الجامعى حتى يستفيد من حياته الجامعية وكأن يؤدى الطلاب إمتحانات دورية شفوية أو تحريرية شهرية .

٥ ـ دلت معاملات إرتباط بيرسون عن إستقلال مشكلات الجسم والحالة النفسية والعائلية والاسكانية والمواصلات والاخلاقية والعاطفية والدراسية عن عدد الساعات التى يخصصها الطالب للدراسة والاستذكار . ولكن وجد معامل ارتباط له دلالة احصائية عند مستوى ثقة ٥ ٪ فى المشكلة الاقتصادية والعقائدية مشيراً إلى أنه كلما زادت هذه المشكلة الاقتصادية كلما اندفع الطالب نحو الاستذكار وكذلك كلما عانى من مشكلة عقائدية أو فكرية كلما لجأ إلى البحث والدرس سعياً وراء الحصول على حلول لمشكلاته . ويدل إستقلال هذه المشكلات عن الاستذكار على أن الاستذكار يعد عادة ذهنية مستقلة يستطيع الطالب أن ينميها ويقويها فى نفسه أو يتركها تضعف وتتضاءل .

وقد كشفت قيم كا ى٢ عن أن الطلاب الذين لا يعانون من المشكلات الجسمية قليلى الاستذكار . وبالمثل فإن من يعانون من المشكلة الاقتصادية يستذكرون

دروسهم أكثر من الذين لا يعانون وقد تعد الحاجة المادية هنا دافعاً نحو الاستذكار . وتتخذ العلاقة نفس الاتجاه فى المشكلة العـــائلية وكذلك المشكلة العقائدية وتفسير ذلك يبدو أن معـاناة الطلاب من تلك المشكلات بدرجة بسيطة نسبياً الأمر الذى يجعل تلك المعاناة كدافع للسلوك والمعروف أن القلق إذا كان بسيطاً أدى إلى دفع الفرد إلى الخلق والإبداع والانتاج .

وتلقى هذه الدراسة فى جملتها الضوء على مدى إنتشار تلك المشكلات وإهمالهم للاستذكار وإختلاف الجنسين فى الاحساس بالمشكلات الأمر الذى يدعونا إلى ضرورة توفير الخدمات النفسية للطلاب .

وتفتح هذه الدراسة الآفاق واسعة أمام البحث المستقبلى للتعرف على أساليب التوجيه التعليمى المتبعة وأنظمة القبول فى الجامعات المصرية . ثم التعرف على أسباب كل مشكلة من هذه المشكلات وعلى سبيل المثال نقترح إجراء دراسة للتعرف على أسباب المشكلة الدراسية وهل ترجع إلى سوء نظام التوجيه أم صعوبة المناهج أو طرق التدريس أو ندرة الكتب والمراجع أو إلى عدم إستعداد الطالب نفسه أو ضعف أنظمة التقويم بالامتحانات . وطرق الاستذكار التى يتبعهـــا الطالب وبالمثل بالنسبة لبقية المشكلات كما ينبغى دراسة مدى إرتباط ذكاء الطلاب بتلك المشكلات .

وفيما يتعلق بمتوسط عدد ساعات الاستذكار اليوميه يقترح إجراء دراسات مقارنة بين طلاب الجامعات العربيه المختلفة . كما يمكن دراسة أثر أوجـه النشاط الأخرى التى يمارسها الطالب فى عدد ساعات الاستذكار . كذلك يقـــترح إجراء دراسة لمعـــرفة مدى إعتماد نتيجة الطالب ومدى تفوقه أو ضعفه

على عدد ما يخصصه من ساعات . إذ قد تكون العبرة لا بعدد الساعات وإنما بالتركيز والاهتمام وليست القراءة الآلية الميكانيكية التى قد تصاحبها حالات من شرود الذهن والسرحان .

وقد تكشف الدراسات المقارنة بين من يتلقون منحاً وبين غيرهم عن أثر إيجابى أو سلبى لتلك المنح .

والله ولى التوفيق والسداد ؟

١٩٧٩/٤/١ دكتور

عبد الرحمن محمد عيسوى

قائمة بالمراجع العربية

د . أحمد زكى صالح   الأسس النفسية للتعليم الثانوى   مكتبة النهضة
د . أحمد زكى صالح   علم النفس التربوى   مكتبة النهضة
د . أحمد زكى صالح   التعلم أسسه ونظرياته   النهضة المصرية
د . أحمد عزت راجح   علم النفس الصناعى   الدار القومية للطباعة
د . أحمد عزت راجح   أصول علم النفس   المكتب المصرى الحديث
د . أحمد فائق   التحليل النفسى بين العلم والفلسفة   الانجلو المصرية
د . أحمد فائق   المدخل إلى علم النفس   الانجلو المصرية
د . أحمد فائق   جنون القصام   دار المعارف
د . أسحق رمزى   علم النفس الفردى   دار المعارف بمصر
أندروز .ت.ج.   مناهج البحث فى علم النفس   دار المعارف بمصر
ترجمة يوسف مراد
د . السيد محمد خيرى   الإحصاء فى البحوث التربوية والنفسية
أوجست ايكهورن   الشباب الجامح   دار المعارف
ترجمة د . سيد محمد غنيم
برنارد نوتكان ترجمة   سيكلوجية الشخصية   الانجلو المصرية
د . صلاح مخيمر
وعبده ميخائيل
بول موكور ترجمة محمد   علم النفس العسكرى   الانجلو المصرية
مصطفى زيدان وحلمى
عزيز قلادة

برأون.أ. ترجمة د. السيد محمد خيري وآخرين	علم النفس الاجتماعي في الصناعة	دار المعارف
د. جابر عبد الحميد جابر ود. يوسف محمد الشيخ	علم النفس الصناعي	دار النهضة العربية
جزل ـ أرنولد ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد	الشباب من ١٠ ـ١٦	دار الطباعة الحديثة
جوزيف جاسترو ترجمة فوزي الشتوي	الأحلام والجنس، نظرياتها عند فرويد	الانجلو المصرية
جون.ن. باك ترجمة د. لويس كامل مليكة	دراسة الشخصية عن طريق الرسم	مطبعة التأليف
جليفورد ج.ب ترجمة د. يوسف مراد	ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية	دار المعارف بمصر
جون بولبي ترجمة د. السيد محمد خيري	رعاية الطفل وتطور الحب	دار المعارف.
حسن حافظ وعزيز حنا	علم النفس والنمو	الانجلو المصرية
د. حسن محمد علي	الجريمة وأساليب البحث العلمي	دار المعارف
د. حلمي المليجي	سيكلوجية الابتكار	»
د. حلمي المليجي	القياس السيكلوجي في الصناعة	»
دوجلاس توم ترجمة د. اسحق رمزي	مشكلات الأطفال اليومية	»
د. رسمية علي خليل	الارشاد النفسي	الانجلو المصرية
د. رمزي مفتاح	تطبيقات في علم النفس	الانجلو المصرية

د. رينيه بيتوا	علم النفس التطبيقى	الانجلو المصرية
د. سامى محمود على	دراسة فى الجماعات العلاجية	دار المعارف بمصر
سريل برت ترجمة عبد العزيز عبد الحميد	محاضرات فى علم النفس	الانجلو المصرية
د. سعد جلال	المرجع فى علم النفس	دار المعارف
سعد المغربى	ظاهرة تعاطى الحشيش	«
سعد المغربى	انحراف الصغار	«
سيد خير الله ولطفى بركات أحمد	سيكولوجية الطفولة والمراهقة	الانجلو المصرية
سول شيدلنجر ترجمة د. سامى محمود على	التحليل النفسى والسلوك الاجتماعى	دار المعارف
سيرل بيلى ترجمة محمد رفعت ونجيب اسكندر ابراهيم	التربية الجنسية	
شارل بلوندل ترجمة د. محمود قاسم و د. ابراهيم سلامة	مقدمة فى علم النفس الاجتماعى	الانجلو المصرية
شارل بلوندل ترجمة د. حكمه هاشم	المدخل إلى علم النفس الاجتماعى	دار المعارف
صالح الشماع	ارتقاء اللغة عند الطفل	
د. صبرى جرجس	مشكلة السلوك السيكوباتى	

د. صلاح مخيمر وعبده ميخائيل	سيكلوجية الشخصية ودراسة الشخصية وفهمها	الانجلو المصرية
د. عبد الرحمن محمد العيسوى	الايدولوجية العربية الجديدة ووسائل تحقيقها	الدار القومية
د. عبد الرحمن محمد العيسوى وعلى عبد الحميد	صحتك النفسية والجنس	منشأة المعارف (توزيع)
د. عبد الرحمن محمد العيسوى	دراسات سيكلوجية	منشأة المعارف الاسكندرية
د. عبد الرحمن محمد العيسوى	علم النفس والإنسان	منشأة المعارف الاسكندريه
د. عبد الرحمن محمد العيسوى	علم النفس ومشكلات الفرد	منشأة المعارف الاسكندريه
د. عبد الرحمن محمد العيسوى ود. جلال أبو الفتوح شرف	سيكلوجية الحياة الروحية فى المسيحية والإسلام	منشأة المعارف الاسكندرية
د. عبد الرحمن محمد العيسوى	علم النفس فى الحيا المعاصرة	دار المعارف
د. عبد العزيز القوصى	أسس الصحة النفسية	النهضة المصرية
د. عبد الرؤوف ثابت	الطب النفسى المبسط	دار النهضة العربية
د. عبد المنعم المليجى	تطور الشعور الدينى عند الفرد	دار المعارف
عبده ميخائيل ود. صلاح مخيمر	المدخل إلى علم النفس الاجتماعى	الانجلو المصرية

د. عزيز حنا داود	سيكلوجية الاهمال	الانجلو المصرية
فرويد ترجمة	ما فوق مبدأ اللذة	دار المعارف
د. اسحق رمزى		
فرويد ترجمة	تفسير الاحلام	»
د. مصطفى صفوان		
فرويد ترجمة	الموجز فى التحليل النفسى	»
د. سامى محمود على		
وعبد السلام القفاش		
فرويد ترجمة	ثلاث مقالات فى نظرية الجنس	»
د. سامى محمود على		
فرويد ترجمة	مقدمة فى التحليل النفسى	دار المعارف
د. اسحق رمزى		
فرويد ترجمة	محاضرات تمهيدية فى التحليل	الانجلو المصرية
د. أحمد عزت راجح	النفسى	
د. فؤاد البهى السيد	علم النفس الاجتماعى	دار الفكر العربى
د. فؤاد البهى السيد	الذكاء	»
د. فؤاد البهى السيد	الأسس النفسية للنمو من الطفولة	»
	إلى الشيخوخة	
د. فؤاد أبو حطب	مشكلات التقويم النفسى	مكتبة الانجلو
ود. سيد أحمد عثمان		
د. كالفن .س. هول	علم النفس عند فرويد	الانجلو المصرية
ترجمة د. أحمد		

عبد العزيز سلامة		
و د. سيد احمد عثمان		
د. كمال دسوقى	سيكلوجية إدارة الأعمال	الأنجلو المصرية
د. كمال دسوقى	علم النفس العقابى	دار المعارف المصرية
د. كمال الدين	الغرضية فى السلوك الانسانى	الأنجلو المصرية
عبد الحميد نايل		
د. كيندى. خ. ترجمة	القلـــق	دار الفكر العربى
د. جمال زكى		
د. لويس كامل	الشخصية وقياسها	مكتبة النهضة
ومحمد عماد الدين اسماعيل		
د. عطية محمود هنا		
د. لويس كامل مليكه	سيكلوجية الجماعات والقيادة	مكتبة النهضة المصرية
ماكبريد . وج. ترجمة	الخوف	دار الفكر العربى
د. سيد محمد غنيم		
محمد جعفر	الغيرة	الأنجلو المصرية
د. محمد خليفة بركات	مدخل علم النفس	دار مصر للطباعة
محمد عاطف سعيد	الشخصية العسكرية	دار المعارف
د. محمد عثمان نجاتى	علم النفس فى حياتنا اليومية	الأنجلو المصرية
محمد محمود رضوان	الطفل يستعد للقراءة	دار المعارف
د. محمد مصطفى زيدان	معجم مصطلحات علم النفس	الأنجلو المصرية
ود. أحمد محمد عمر		
د. محمد مصطفى زيدان	القدرات ومقاييسها	
ومحمد خير الله		

د. مختار حمزة	سيكلوجية المرضى وذوى العاهات	دار المعارف
د. مصطفى سويف	مطالعات فى النفس	الانجلو المصرية
د. مصطفى سويف	التطرف كأسلوب للاستجابة	«
د. مصطفى سويف	علم النفس الحديث ، معالمه ونماذج من دراساته	«
د. مصطفى سويف	مقدمة لعلم النفس الاجتماعى	«
د. مصطفى سويف	الأسس النفسية للابداع الفنى	دار المعارف
د. مصطفى سويف	الأسس النفسية للتكامل الاجتماعى	«
د. مصطفى فهمى	سيكلوجية الطفولة والمراهقة	مكتبة مصر
منير وهبه الخازن	معجم مصطلحات علم النفس	دار النشر للجامعيين لبنان
مكرم سمعان	مشكلة الانتحار	دار المعارف
مكسويل جونز وآخرين ترجمة د. صمويل مغاريوس	الطب النفسى الاجتماعى	«
هادفيلد ج.أ. ترجمة صلاح الدين محمد لطفى	الحلم والكابوس	الانجلو المصرية
د. يوسف مراد	مبادىء علم النفس العام	دار المعارف
د. يوسف مراد	الكتاب السنوى فى علم النفس المجلد الأول	«

المراجع الأجنبية

Adbt. L. E. and Bellak, L. Projective psychology,
N. Y. knopl, 1950.

Anastasi, A. and J. P. Foley, Differential Psychology,
Macmillan, 1949.

Andrews, T. G., Methods of Psychology, New York, 1948.

Boriny. E. G., History of Experimental Psychology,
New York, Appelton. Century Crofts, 1950.

Buros, O. K. (ed), Third Measurements. Yearbook, 1948.

Carmichacel, M, Manual of Child Psychology,
New York, John Wiley.

Carroll, A. H., Mental Hygiene, Prentice - Hall, 1964.

Carroll, A. H., Mental Hygiene, Prentice - Hall, 1964.

Cronbach L. J. Essentials of psychology testing,
Harper and Row, 1961.

Edwards, A. L. Techniques of Attitude Scale Construction

English. H. B. and B. C. A Comprehensive Dictionary of Psychological and Psycho - analytical Terms, Longmans, 1958.

Erkson, E. H. Childhood and Society, New York, Norton, 1950.

Esawi. A., Drawing and Extraversion-Introversion, Master Thesis.

Esawi, A,, Ethico-Religious Attitudes and Emotional Adjustment.
Ph, D., Thesis, Nottm Univ.

Guilford, J. P. Fundamental Statistics in Psychology.
and Education N. Y. Mc Graw-Hill book. Co., Inc., 1942.

Gilmer. B. Y. Industrial Psychology. Mc Graw-Hill, 1966.

Green D. R. Educational Psychology, Prentice - Hall, 1964.

Hepner, H. W., psychology Applied to life and work,
Prentice — Hall, 1966.

Hilgard, E. R, Introduction to Psychology,
New York, Harcourt Brace and Co., 1953.

Hilgard E. R. Theories of Learning.
New York, Appelton Crofts, 1960.

Harrell, T. W. Industrial Psychology, New York, Rinehart 1949.

Harrocks, J. E. The Psychology of Adolescence,
Boston, Houghton Miffling, 1951.

Kiny, F. B., Intrsduction to General Psychology,
Boston, Heath and Co. 1953.

Klineberg, O., Social Psychology, Riuehart, 1961.

Knight, F. B., Introduction to General Psychology, Boston,
Helth & Co. 1953.

Krech, D., Theory and Problems of Sociol psychology,
Mc Graw — Hill, 1948.

Lambert, W. W., and A. W., Social Psychology,
Prentice — Hall, 1964.

Landis. C. and Bolles M.M, Textbook of Abnormal Psychology, 1950

Lazarus, R.S., Personality and Adjustment, Prentice - Hall, 1963,

Lewis, D. J., Scientific Principles of Psychology,
Prentice — Hall 1963.

Newcomb, T. M. et al, Reading in Social Psychology,
New York, Holt, 1947.

Remmers. H H., and N. L. Cage. Educational Measurement Evaluation, Harper 1943.

Sanford. F. H., Psychology : A scientific study of man, Wadsworth Co.

Sperling, A., Psychology Made Simple, W. H, Allen, London 1967.

Stevens, S, S., Handbook of Experimental Psychology, New York, Wiley, 1961.

Strange, J. R., Abnomal Psychology, Mc Graw - Hill, 1965.

Tyler, L. E., Tests and Measurement, Prentice - Hall, 1963.

Whiting, W.M. and Child I. E, Child Training and Personality: New Haven, Yale Univ. Press 1953.

Wolpe, J. and Lazarus. A.
Behaviour Therapy Techniques,
Pergamon Press, 1966.

Woodworth, R. S., Experimental Psychology, New York Holt 1938.

Woodworth, R. S., and Marquis, D. G., Psychology, Methuen, London 1947.

Young K., Personality and Problems of Adjustment, N. Y. Appelton. Gentury - Crofts, 1942.

فهرس الكتاب

الموضوع صفحة

